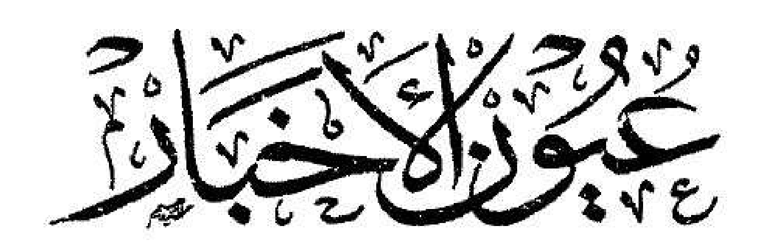


عيون الأخبار

تأليف

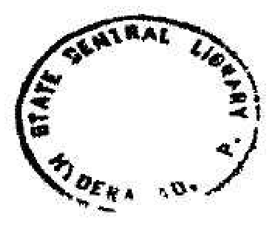
أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

٢١٣ — ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب





وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنـ

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

كتاب الحوائج

كتاب الطعام

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاخوان

الحثّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سَهْل بن محمد قال حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا العِجْليّ قال بعض الأدباء لابنه : يا بنيّ ، إذا دخلت المصرَ فاستكثرْ من الصديق فأمّا العدو فلا يُهِمَّنَّكَ ، وإيّاكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوارُ[1] كثيرُ العِثارِ .

قال : وبلغني عن الأوزاعيّ عن يحيى بن كَثير : أن داود النبيّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : "يا بُنيّ ، لا تَستَبْدِلَنّ بأخٍ لك قديمٍ أخاً مُستفاداً ما استقامَ لك ، ولا تَستَقِلَّنّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ ، ولا تَستَكثِرَنّ أن يكون لك ألفُ صديقٍ" .

وكان يقال : أعجزُ الناس مَنْ فرّط في طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضَيّع مَنْ ظَفِر به منهم .

وفي الحديث المرفوع : "المرءُ كثيرٌ بأخيه" . وأنشد ابن الأعرابيّ :

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

---

(١) هكذا في لسان العرب مادّة « شور » والمشوار : الشوط . وفي الأصل : « مشوا » .

قال أبو الخَرِيج العُقَيلي وجدتُ أعراض الذيب ودخائرها بِعَرْض المتالف لا ذخيرةَ الأدب وعَقِيلةَ الحُلّة ، فاستكثِروا من الإخوان واستعصِموا بعُرَا الأدب ،

وكان يقال . الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ ، وقال الشاعر .

إذا لم يكن للقوم عزٌّ ولم تكن * لهم رَجُلٌ عند الإمام مَكِينُ

فـجاءوا كأيدٍ أوهَن الله بطشَها * تُرى أشمُلًا ليستْ لهنّ يمينُ

قد يُوبُ السُّحـ ... (١) ... بلعى موت أخٍ لى فكأنما سقط عضوٌ منّى .

وقال القطامىّ (٢) :

وإذا يُصِيبُكَ ... حَدَثُ حَدَاثَك إلى أخيك الأوثق

وقال آخر (٣)

أخاك أخاك إنّ من لا أخًا له * كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

وإنّ ابن عمّ المرء فاعلمْ جَنَاحه * وهل يَنهضُ البازى بغير جَناحِ

قال الثَّقفى

من كان ذا عضدٍ يُدرِكْ ظُلَامتَهُ * إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ

تَنبـــو يداه إذا ما قَـــلّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيمَ إن أثرَى له عَدَدُ

وقال آخر .

وبغضــاءُ التقىّ أقلُّ ضَــيْرًا * وأسلَمُ من مودّة ذى الفُسُــوقِ

ولن تنفكَّ تُحْسَــدُ أو تُعــادَى * فأكْثِرْ ما آستطعتَ من الصَّديقِ

---

(١) فى الأصل : « إذ ... ... كأنما ... ... » . (٢) بفتح القاف وضمها وهو عمير ابن شُيَيم التغلبىّ من بنى جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت فى ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا يُصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارمىّ واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦) .

وقرأتُ فى كتاب العتّابىّ : تأنّينا إفاقتك من سكر غفلتك، وترقّبنا آنتباهك من وَسَنِ رَقدتك، وصبرنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك، فها نحن قد عرفناك حقّ معرفتك فى حذيك لطويل حقّ مَنْ غَلِط فى آختيارك .

وقال الشاعرُ :

فأيُّهما يا لَيلَ إن تفعلى بنا * فآخرُ مهجورٍ وأوّلُ معتب

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب . يجب على المرءوس اذا تجاوز به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله ، وكان تفضيلُه إنما وقع له بجمعته على القلب ومحلّه من الأدب ، أن يقابل ذلك بمثله إن كان محاماً على محلّه ، وإلا فلن يؤمَنَ عليه . معنى بيتِ شريح :

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصّدر والأذى * إذا آجتمعا لم يَلبَث الحبُّ يَذهبُ

باب الوَداع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا مسلم حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة عن ابراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ[1] بن أمية عن نافع عن آبن عمر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ودّع رجلا "أَسْتَودِعُ اللهَ دينَكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملِكَ وآخرَ عمرِكَ[2]" .

قال وحدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن ابراهيم عن سعيد بن أبى كعب الأزدىّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالك . أن رجلا أتى النبىَّ

(١) كذا فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى والخلاصة وأسماء الرجال للخزرجى فيمن اسمه إبراهيم . وفى الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر به هذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أُريدُ سفرًا غدًا فقال " فى حفظِ اللهِ وكَنَفِه زوّدك الله التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجّهكَ للخيرِ حيثُ كنتَ " .

المعتمِرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال : رأيت الحسَـنَ ودّع رجلا وعيناه تَهْمِلان وهو يقول :

٥ وما الدهرُ إلا هكذا فاْصطَبِرْ له . رَزِيئَـــةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

قال وودّع رجلٌ صديقا له وهو يقول :

وَدَاعُكَ مثـــلُ وداعِ الربيعِ * وفقدُكَ مثـــلُ اْفتقادِ الدِّيَمْ[1]

عليـــكَ الســـلامُ فكمْ من وفاءٍ . نُفَارِقُه منـــكَ أو من كَرَمْ

وقال الطـــائى :

١٠ بِيّنَ البينُ فَقْـــدَها، قَلَّمـــا تعـــ ـرِفُ فقـــدًا للشمسِ حتى تغيبا

وقال جريرٌ :

يا أُختَ ناجيـــةَ الســـلامُ عليكمُ * قبلَ الرحيلِ وقبـــلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهـــدِكم * يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعـــلِ

أو كنتُ أرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ * لقنِعتُ أو لسألتُ ما لم يُسْأَلِ

١٥ وبلغنى عن بكرٍ المـــازنىّ أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أُمر بحملى، فقال لى : ما اْسمُكَ؟ فقلت : بكرٌ، قال : مَنْ خلّفت وراءكَ، قلتُ[2] : بُنَيّةٌ، قال : ما قالت عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

اذا غِبتَ عنّا وخلّفتنا * فإنّا سواءٌ ومَنْ قد يَتِمْ

---

(١) الديم : جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٢) فى الأصل : «قال» .

أبانا فلا رِمْتَ مِنْ عندنا[1] * فإنا بخيرٍ اذا لم تَرِمْ
أبانا اذا أضمرتكَ البلا[2] * دُ نُجفَى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها أنتَ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِي بالله ليس له شريكٌ * ومِنْ عند الخليفةِ بالنَّجاحِ

كان لبنى عُقَيلٍ عبدٌ رضيعٌ بلِبانٍ بعضهم فباعوه، فقال حين شخص به مواليه ٥
شعرا :

أشوقًا ولمَّا يمضِ بى غيرَ ليلةٍ[3] * فكيف إذا سار المطىُّ بنا شهرا

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإنّى وإسماعيلَ عند وداعه * لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ زايَلَه النَّصلُ
فإن أغشَ قومًا بعدهم وأزورهم * فكالوحش يُدْنيها من الأَنَس[4] المَحْلُ ١٠

وقال آخرُ عند توديعه :

عجبتُ لتطويح النوى مَنْ نُحِبُّهُ * وتدنو بمَنْ لا يُستلَذُّ له قُربُ

وقال آخر :

مالتْ تُودِّعنى والقلب يَغلِبُها * كما يَميل نسيمُ الريح بالغُصُن
ثم ٱستمرتْ وقالتْ وهى باكيةٌ * ياليتَ معرفتى إيّاكَ لم تكنِ ١٥

وقال آخرُ لرجل ودّعه : بقى علينا أن نَكُفَّ من غَرْبِ الشُّؤونِ[5]، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُب، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة .

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادة «ضمر» : أرانا اذا أضمرتك أخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض : غيبته إمّا بموت أو سفر .
(٣) الرواية المشهورة : أشوقا ولم يمض لى غير ليلة * فكيف اذا خبّ المطى بنا عشرا ٢٠
(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع، والشؤون : الدموع .

وقال البُحتري :

اللهُ جارُكَ في انطلاقكْ * تِلْقاءَ شامِكَ أو عِراقِكْ

لا تَعــذُلَنِّي في مَسِيـ * ـرِي يومَ سِرتُ ولم أُلاقِكْ

إنّي خشِيتُ مَوَاقِفًا * لِلبَيْنِ تَسفَحُ غَرْبَ ماقِكْ

وعلمتُ ما يَلقَى المُوَدِّعُ عند ضَمِّكَ[1] واعتناقِكْ

فتركتُ ذاكَ تعمُّدًا * وخَرَجْتُ أهرُبُ من فِراقِكْ

الهــــدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحارث بن عتبة عن العَلاء بن كَثيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصافَحُوا فإنّ المصافحةَ تُذْهِب غِلَّ الصدور، وتَهادَوْا فانّ الهدية تَذْهَبُ بالسَّخِيمَة[2]" .

وحدّثني أبو الخطاب قال حدّثنا بشر بن المفضَّل عن يونس بن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهدِيَتْ لي ذِراعٌ[3] لَقبِلت، ولو دُعيتُ الى كُرَاع[4] لأجبتُ" .

و في حديث آخر : " تهادَوْا تحابُّوا فإنّ الهديةَ تفتَحُ البابَ المُصْمَتَ[5] وتَسُلُّ سخِيمةَ القلب " .

قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : سمعتُ نافعا يحدّث قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنه

---

(١) كذا في ديوان البحتري . وفي الأصل : «شمك» . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .
(٣) كذا في الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث في البخاري ج ٣ ص ١٥٤ هكذا : "ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إليّ ذراع أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزُّبيرُ بن بكّار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صفوان، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ الى الحارث في كلّ يوم بقِرْبة من ألبان إبله ، فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهلَه [فقال](١): لا تبعثوا للحارث باللبن فإنا لا نأمنُ أن يردَّه علينا ، وانقلب الحارثُ الى أهله فقال : هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا : لا ؛ فلما راح الحارثُ بعمرو قال(٢): ياهذا لاتجمعنّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن ؛ فقال : أمّا اذ قلتَ هذا فلا يحملُها(٣) اليك غيري ، فحملها من رَدْم بني جُمَح(٤) الى أجياد(٥) .

وبعث النضرُ بن الحارث الى صديق له يسكن عَبّادانَ(٦) بنعلين مخصوفتين وكتب اليه : بعثتُ اليك بهما وأنا أعلمُ أن بكَ عنهما غِنًى ، ولكنّي أحببتُ أن تعلَمَ أنك مني على ذُكْرٍ .

وقال بعض الشعراء :

إنّ الهديّةَ حُلوةٌ * كالسِّحر تجتلبُ القلوبا
تُدْنِي البغيضَ من الهوى * حتى تُصَيِّره قريبا
وتُعيدُ مُضطغِنَ العَدا * وةِ بعد نُفْرَته حبيبا

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبدا أسودَ ؛ فكتب إليه : أما بعد، فلو علمتَ عددًا أقلّ من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لبعثتَ به إليّ . وهذا نظيرُ قول الآخر

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) في الأصل : «فقال» . (٣) في الأصل : «لا» . (٤) ردم بني جمح : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بني جمح . (٥) أجياد : موضع بمكة ، يلي الصفا ، واختلف في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك . (٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس .

وقد سُئِلَ كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل، قيــل : وكيف؟ فقال : لا أقلّ من واحد ولا أخبثَ من بنت .

أهــدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء .

٥ وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهدِيَتْ اليه هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؛ فأهدَى اليه صديقٌ ثيابا من ثياب مصرَ وعنــده أقوام فأمر برفعها، فقال له رجل: ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكَل ويُشربُ ويُشم، فأمّا فى ثياب مصر فلا .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

١٠ أتانى أخٌ من غَيْبـــةٍ كان غابهـا . وكنتُ اذا ما غاب أنشُــده(١) رَكْبا

بجاء بمعـــروفٍ كثيرٍ فدسّــه * كمادسّ راعى السّوء فى حضنه الوَطْبا(٢)

فقلت له هـــل جئتنى بهــديّةٍ * فقال بنفسى قلت أتحِفْ بها الكلبا

هى النفسُ لا أرثِى لها [من](٣) بليّةٍ * ولا أتمـــنى أن رأيتُ لها قُـــربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأُنسُ سهّلَ سبيلَ الملاطفة، فأهديتُ

١٥ هديةَ من لا يَحْتشِم، إلى من لا يَغْتنِم .

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزاعيّــة قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنيّ من الفقير؟ قال : "النصيحة والدعاء"

(١) نشده : عرّفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكلة يقتضيها

٢٠ المعنى والوزن .

قلت : يُكْرَه ردُّ اللَّطَف[١] ؟ قال : "ما أقبحَه، لو أُهديتْ إليّ ذراع لقبلتُ، ولو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ، تهادَوا فإنه يُضْعِف[٢] الحُبَّ ويذهب بغوائل القلوب".

وحدّثني محمد بن سلّام الجُمَحيّ قال حدّثني خلّاد بن يزيد الباهليّ قال : أُهديتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة في يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضراً : ٥

كأنّ شماميسَ في بِيعةٍ . تسبّح في بعض عِيداتها
وقد حضرتْ رسلُ المِهْرجا . نِ وصَفُّوا كريمَ هَدِيّاتها
علوتُ برأسيَ فوق الرءوس . فأشخصْتُه[٣] فوق هاماتها
لأكسِبَ صاحبتي صَحْفةً . تغيظ[٤] بها بعضَ جاراتها

فأمر له بجام من ذهب، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه تلك الهدايا، ويُنشد : ١٠

لا تبخَلَنّ بدُنيا وهي مقبلةٌ . فليس ينقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأحْرَى أن تجودَ بها . فالحمدُ منها اذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السلطان الى بعض العمال يستهديه مِهارةً[٥] من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أمّا المِهارةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض، ويستُرونها سَتْرَ الحُرَم، ويسومون بها مهورَ العقائل؛ وأنا مستخلِص لك منها ما يكون زينَ المَرْبِط وحُمْلانَ[٦] الصديق، إن شاء الله . ١٥

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .
(٣) كذا في الشعر والشعراء، وفي الأصل : «فأشخصتها» والرأس مذكر . (٤) كذا في الشعر والشعراء . وفي الأصل «تغيض» : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم، وهو ولد الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه . ٢٠

وقال بعضهم : الهديّة اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلّما لَطُفتْ ودقّت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلّما عَظُمتْ وجلّت كان أوقع لها وأنجع.

وكتب أبو الشّمْط ....

بدولةِ جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ * لنا بك كلّ يومٍ مِهْرجانُ
٥ ليومِ المهرجانِ بك آختيالٌ * وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ
جعلتُ هديّتى لك فيه وَشْياً * وخيرُ الوَشْيِ ما نَسَج اللسانُ

أهدى حُسَام بن مِصَكّ الى قَتَادةَ نعلاً رقيقة، فجعل قتادةُ يَزِنها بيده، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجل فى سخف هَدِيّته.

وقال الشاعر :

١٠ سقى مُجاجَنا نَوْءُ الثريّا * على ماكان من بُخْلٍ ومَطْلِ
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وسدّوا دونها باباً بقُفْلِ
فإن أهديتُ فاكهةً وجدياً * وعشرَ دجائجٍ بعثوا بنعلِ
ومسواكَيْنِ طولُهما ذِراعٌ * وعشرٍ من رديِّ المُقْلِ[1] حُسْلِ
فإن أهديتُ ذاك ليحملونى * على نعلٍ فدقّ الله رِجْلى
١٥ أُناس تائهونَ[2] لهم رُواءٌ * تَغِيم سماؤهم من غير وَبْلِ
اذا آنتسبوا ففرعٌ من قريش * ولكنّ الفِعالَ فِعالُ عُكْلِ[3]

كتب رجل الى صديق له : لولا أنّ البضاعة قَصّرت بى عن بلوغ الهمة لأتعبتُ المسابقين الى بِرّك . وكَرِهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البِرّ، وليس لى فيها ذِكر،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسيل، والحسيل : رذال الشىء (٢) تائهون : متكبرون، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه عملة و يستحمق : عكلىّ .
٢٠

فبعثت اليك بالمبتدأ بيُمنه و بركته، والمختوم بطيبه ورائحته : جرابَ مِلْح، وجراب أُشْنان[١] .

أهدى الطائىّ الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ * ـه بشيءٍ فكن له ذا قَبُولِ
لا تَقِسْه الى نَدَى كفّك الغَمْـ * ـرِ ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ
وٱغتفر قِلّةَ الهـديّةِ مِنّى * إنّ جهدَ المُقِلِّ غيرُ قليـلِ

و بعث أبو العَتَاهِيَة الى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها :

نعـلٌ بعثتُ بهـا لتلبَسَها * تسعى بها قدمٌ الى المجـدِ
لو كان يمكن أن أُشَرِّكَها[٢] * جِلْدِى جعلتُ شِراكَها خَدّى

وقال بعض الشعراء فى نحو ذلك :

أَوَ ما رأيتَ الـوردَ أتحفنَـا به * إتحافَ مَنْ خَطَرَ الصـديقِ ببالِه
لو كان يُهْـدَى لأمرئٍ ما لا يُرَى * يُهْـدَى لعُظْمِ فِراقـه وزِيالِه
لرددتُ تُحفتَه عليـه و إن علتْ * عن ذاك وٱستهديتُ بعض خِصالِه

وقال المهدىّ :

تفّاحةٌ من عنـد تفّاحةٍ * جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ
واللهِ ما أدرى أ أبصـرتُها * يقظانَ أم أبصرتُها فى الرقادْ

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنى تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهـدايا إلى السّادة فى مثل هـذا اليوم والتأسّى بهم فى الإهداء ، و إن قصّرتِ الحالُ عن قَدْرك ، فرأيْتنِى إن أهديتُ نفسى فهى مِلكٌ لك لا حظّ فيها لغيرك ،

(١) الأشـنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتغسل به الثياب وغيرها .
(٢) أشركها : أجعل لها شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطرفي الى كرائم مالي فوجدتُ أكثرها منك، فكنت إن أهديتُ شيئًا منه كالمُهـدِى مالَك إليك ومُنفِق نفقتك عليك، وفزِعتُ الى مودّتي وشكرى فوجدتُهما خالصَين لك قديمين غيرَ مستحدثَين، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتي لم أُجدِّد لهـذا اليوم الجديد بِرًّا ولا لَطَفا. ولم أَقِسْ منزلةً من شكرى بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر مُقصِّرا عن الحق، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة، ولم أسلك سبيلا ألتمس بها بِرًّا أعتـدّ به أو لَطَفا أتوصّل إليه، إلا وجدتُ رِضاك قد سبقنى اليه . فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقك هديّةً اليك، وقد قلت فى ذلك :

إنْ أُهْدِ نفسى فهى من مِلْكِهِ * أو أُهـدِ مالى فهو من مالِهِ

لمـا قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفا من مكة، بعث إلى الحسن والحُسين وعبد الله ابن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبَير وعبد الله بن صَفْوان بن أُميّة بهدايا من كُسًى وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله : ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ . فلما خرج الرسل من عنـده، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأتكم بما يكون من القوم؛ قالوا : أخبِرْنا يا أمير المؤمنين، قال : أمّا الحسن فلعله يُنيـل نساءَه شيئًا من الطِّيب ويُنْهِب ما بَقِي مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائبا . وأما الحسـين فيبدأ بأيتامِ من قُتِل مع أبيه بِصِفِّين ، فإن بقِيَ شيء نَحَر به الجُزُر وسَقَى به اللبن . وأما عبـد الله بن جعفر فيقول : يا بُدَيح[1] ! اقضِ به دَيْني ، فإن بقِيَ شيء فأنفِذْ به عِدَاتى . وأما عبد الله بن عمر فيبـدأ بفقراء عَدِىّ بن كعب، فإن بقِيَ شيء آدّخره لنفسه ومانَ به عيالَه . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبِّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوِده الرسولُ فيقول لبعض كُفاته : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ، وصَله الله وجَزاه خيرا، لا يلتفت اليها وهى أعظم فى عينه من أُحُد، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

فيَعْرِضُها على عينه ويقول: آرفعوا، لعلّي أن أعودَ بها على ابن هند يوما ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجلٍ من قريش وصل اليه هكذا، رُدّوا عليه؛ فإن رَدّ قَبِلناها . فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية؛ فقال معاوية : أنا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عُبَيد : أتيتُ آبنَ سِيرِينَ فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولوا له : إني نائم — يريد: سأنام — ؛ فقلت : معي خَبِيص[1]؛ فقال : مكانَك حتى أخرج إليك .

قال رجل لأبي الدَّرْداء : إن فلانا يُقرِئك السلام؛ فقال : هديّةٌ حسنة ومَحْمَل خفيف .

وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براحٍ، وكتب اليها :

قل لمن يملك الملو * كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرِبناك فآشربي * وبعثنا إليكِ بِكْ

أهدى رجل الى عُبيد[2] بن الأخطل شاةً مهزولة ، فكتب اليه عبيد :

وهبتَ لنا يا أخا مِنْقَرٍ * وعجلي وأكرمها أوّلا
عجوزًا أضرّ بها دهرُها * وأنزلها الذُّلُّ دارَ البِلَى

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع في الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها صاحب كتاب الأطعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢ ه طوم معاشية .

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغاني (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه بعث به الى فتى من بني منقر أمه عجلية ، وكان يبعث الى بشار في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحي ، فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول ، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه القصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سَــلُوحًا[1] حسِبتُ بأنّ الرِّعاء * سَــقَوْها الفَرِيقَوْنَ[2] والحنظلَا

وأجدبَ من ثور زَرّاعةٍ[3] * أصـاب على جوعه سُنْبلَا

وأزهــدَ من جِيفةٍ لم تَدَعْ * لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفصلَا[4]

فأهــوتْ يمينى الى جنبهـا * نخلتُ حراقيفَها[5] جَنْـدَلَا

وأهوتْ يَسَارى لعُرقوبهـا * نخلتُ عَرَاقيـبَها مِغْـزَلَا

فقلت أبيـع فـلا مَشْـرَبًا[6] * تُؤدّى إلىّ ولا مَأْكلَا

أمَ آجعــلُ من جلدها حَنبلًا[7] * فأقْــذِرْ بحنبلهـا حنبــلَا

إذا هى مرّت عــلى مجلس * من العُجْب كبّر أو هـلّلَا

رأوا آيةً خلفــها سـائقٌ * يَحُثّ وإن هرولتْ هرولَا

فكنتَ أمرتَ بها ضَخْمــةً * بشحمٍ ولحــمٍ قد آستُكْمِلَا

ولكنّ رَوْحًا عَدَا طَـوْرَه * وما كنتُ أحسب أن يفـعلَا

فعـضّ الذى خاننى حاجتى * بإستِ آمّــه بَظْرَها الأغرَلَا[8]

فلولا مكانُك خضّبتُها * وعلّقتُ فى جِيـدها جُلْجُلَا

بجـاءت لكيما ترى حالَهـا * فتعـلمَ أنّى بهـا مُبتـلَى

سألتُــك لحمًا لصبيـاننـا * فقـد زِدتَنى فيهـمُ عَيِّـلَا

فخــذها وأنت بهـا مُحسِـنٌ * وما زلتَ بى مُحسِـنًا مُجْمِـلَا

---

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطير والبهائم كالتغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزا

(٢) الفريقون : ترياق للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .

(٤) فى الأصل : «من مفصل يفصلا» وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهى رأس الورك . (٦) كذا فى الأغانى اعتمادا على بعض أصوله الخطية . وفى الأصل : «فلا مشترى» وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذى لم يختن .

وبعث رجل الى دِعْبِل بأُضحيّة، فكتب إليه :

بعثتَ إلىّ بأضحيّــة * وكنتَ حَرِيًّا بأن تفعلا
ولكنها خرجتْ غثّــةً * كأنك أرعيتَهـا حَرْمَلا (1)
فإن قَبِـــل الله قُرْبانَها * فسبحانَ ربِّك ما أعدلَا

قيل لرجل قَدِم من مكة : كيف أثمان النِّعال بمكة؟ قال: أثمان الحِدَاء (2) بالعراق . ٥

وقال مُسْلم بن الوليد :

جَزَى الله من أهدَى التُّرُنْجَ (3) تحيةً * ومَنَّ بمـا يهوى عليــه وعَجَّلا
أتانا هدايا منــه أشبهن رِيحَه * وأشبهَ فى الحسن الغزالَ المكحَّلا
ولو أنه أهــدَى إلىّ وِصالَه * لكان الى قلبى ألَذَّ وأوصــلا

وكتب رجل الى صديق له شَرِب دواءً : ١٠

تأنّق فى الهــديّةِ كلُّ قومٍ * إليــك غداةَ شُرْبِكَ للدواءِ
فلمّـا أنْ هَمَمتُ به مُدِلًّا * لموضِع حُرْمتى بك والإخاءِ
رأيتُ كثير ما أُهْدِى قليــلًا * لعبدك فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل الى صــديق له : وجدتُ المودّة مُنقطِعة ما كانت الحِشْمةُ عليها متســلِّطة ، وليس يُزِيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانَسةُ، ولا تقع المؤانســةُ إلا بالبِرّ والملاطفــةِ . ١٥

العيـــــــادة

قال حدّثنا يزيد بن عمــرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنـا شَرِيك عن أبى نُصَيْر عن أنَس بن مالك، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم رجلا من

(1) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمنع عن الأكلة، ولا يأكله إلا المعزى، وقد يداوى به المحموم. ٢٠
(2) الحِداء : جمع حدى . (3) الترنج : ثمر شجر بستانى من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه . ومن حديث أبى هُرَيرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمّل والرمد والضرس" .

وحدّثنى القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانىّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطاةَ بن المُنْذِر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

٥ قال الشَّعْبِىّ : عِيادةُ النَّوْكَى أشدّ على المريض من وَجَعه .

شَيْبان عن أبى هَدِيّة عن أبى هِلَال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليلًا فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم فى الدار حقٌّ فخذوه وانصرفوا .

١٠ عاد رجل رَقَبةَ، فنعى رجالًا اعتلّوا مثلَ عِلّته، فقال له رقبة : إذا دخلتَ على مريض فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ إلينا .

عاد أعرابىّ أعرابيًّا فقال : بأبى أنت! بلغنى أنك مريض، فضاق والله علىّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانك فلم يكن بى نهوض، فلما حملتْنى رجلاتٌ، وليستا ثَمِلانِ، أتيتُك بجُرْزةٍ[1] شيحٍ ما مسّها عِرْنِين[2] قطّ، فأشْمِمْها وآذكر نجداً، فهو الشفاء

١٥ بإذن الله .

قال كُثَيِّر :

أَلَا تلك عزّةُ قد أقبلتْ * تقلّبُ للبين طَرْفاً غَضِيضا

تقول مَرِضتُ وما عُدْتَنا * فقلتُ لها لا أُطيق النهوضا

كلانا مَرِيضانِ فى بلدةٍ * وكيف يعود مريضٌ مريضا

---

٢٠ (١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر[1] :

إذا مَرِضنا أتيناكم نعودكمُ * وتُذنبون فنأتيكم فنعتــذرُ

وقال بشار :

لو كانت الهديةُ مقبولةً * لقلتُ بى لا بك حُمّا كا

وكتب آخر إلى عليل :

نُبِّئتُ أنك معتــلٌ فقلتُ لهم * نفسي الفداءُ له من كلّ محذورِ

ياليت علّتــه بى غيرَ أنّ له * أجرَ العليــلِ وأنّى غيرُ مأجورِ

وكتب آخر إلى عليل :

أقولُ بحــقٍّ واجبٍ لك لازمٍ * وإخلاصِ شكرٍ لايغيّره الدهرُ

بِىَ السوءُ والمكروهُ لا بك كلّما * أراداك كانا بى وكان لك الأجرُ

وقال آخر فى مثله :

فإنْ تكُ حُمّى الغِبِّ[2] شفّك وِردُها[3] * فعُقباكَ منها أن يطــولَ لك العمرُ

وَقَيناك ! لو نُعطى المُنَى فيك والهوى * لكان بِى الشكوَى وكان لك الأجرُ

وفى الحديث المرفوع "حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلايا بالدعاء" . وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : "مَنْ أصبح منكم صائمًا؟" قال عمر : أنا ، قال : "فمن شيّع جنازة؟" قال عمر : أنا ؛ قال : "فمن عاد مريضا؟" قال عمر : أنا ؛ قال : "فمن فيكم تصدّق بصدقة؟" قال عمر : أنا ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : "وجبتْ وجبتْ وجبتْ" . وفى حديث

---

(١) هو المؤمل بن أميل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى) . (٢) حمى الغب : التى تنوب المريض يوما بعد يوم . (٣) الورد من أسماء الحمى وقيل : هو يومها الذى تأخذ فيه صاحبها .

آخر : أنه صلى الله عليـه وسلم قال : " إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه أو يدَه فى يده و يسأله كيف هو، وتمـامُ تحيّاتكم المصافحة" .

وقال الشاعر :

إن كنتُ فى ترك العيادة تاركًا * حظّى فإنى فى الدعاء لجاهـدُ

٥ فلربمـا ترَكَ العيادةَ مُشـــفِقٌ * وأتى على غِلّ الضميرِ الحاسدُ

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبِىّ عن أبيـه قال : كان يقال : إذا آشتكى الرجلُ ثم عُوفِى ولم يُحدِث خيرًا ولم يَكُفّ عن سُـوء، لقيتِ الملائكةُ بعضُها بعضًا وقالت : إن فلانًا داو يناه فلم ينفعْه الدواء .

وقال أبو حاتم حدّثنا القَحْذَمىّ قال : أَطْلَع[1] معاويةُ فى بئر بالأَبْواء[2] فأصابتْه لَقْوة[3]، ١٠ فاعتمّ بعمامةٍ سوداء وسدَلها على الشقّ الذى أُصيب فيه ، ثم أذِن للناس فقال : أيها الناس، إن ابن آدم بعَرَض بلاء : إما مُعاتَبٌ ليُعْتِب، و إما مُعاقَب بذنب، أو مبتلًى ليؤجَر، فإن عُوتبتُ فقـد عُوتب الصالحون قبلى، و إنى لأرجو أن أكون منهم؛ و إن عُوقبتُ فقـد عوقب الخطّاءُون قبلى، وما آمن أن أكون منهم؛ و إن مَرِض عضو منّى فما أُحْصِى صحيحى ولَمـا عُوفيتُ أكثر، ولو أن أمرِى إلى ما كان لى على ١٥ ربّى أكثرُ ممـا أعطانى . وإنى وإن كنتُ عاتبًا على خاصّ منكم فإنى حَدِب على جماعتكم، أُحبّ صلاحكم . وقد أُصبتُ بمـا ترون، فرحم الله آمرأً دعا لى بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

---

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها و بين الجحفة ممـا يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وقيـل : الأبواء : جبل عن يمين آرة و يمين الطريق للصعد الى مكة .

٢٠ (٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق .

مَرِض أبو عمرو بن العلاء مَرْضةً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم، فقال: ما يُبطئ بك؟ قال: أريد أن أسامرك، قال: أنت مُعافًى وأنا مبتلًى، فالعافية لا تدعك تسهر والمرض لا يدعني أنام، فأسأل الله أن يسوق الى أهل العافية الشكر، والى أهل البلاء الصبر والأجر.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: اشتكى رجل من الأعراب، فجعل الناس يدخلون عليه فيقولون: كيف أصبحت وكيف كنت؟ فلما أكثروا عليه قال: كما قلتُ لصاحبك.

قال: وقع رجل من أهل المدينة فوَثِئتْ[1] رِجلاه، فجعل الناس يدخلون عليه ويسألونه، فلما أكثروا عليه وأضجر كتب قصّته في رُقعة، فكان اذا دخل عليه [عائد][2] وسأله دفع اليه الرقعة.

الهيثم بن عدي قال: كان رجل من أهل السواد مجهودا[3] لا يَقصِد في شيء إلا انصرف عنه، فغاب مرّةً فأطال، فلما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه، وكان فيه بَرَمٌ، فأخذ رُقعةً فكتب فيها:

وما زلتُ أقطع عَرْض الفلاةِ * من المَشرِقَينِ الى المَغرِبَينِ
وأطوي الفيافيَ أرضًا فأرضًا * وأستمطر الجَدْيَ والفَرقَدَينِ
وأطوي وأنشر ثوبَ الهموم * الى أن رجعتُ بخُفَّيْ حُنَينِ

(١) وثئت رجله أو يده: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) المجهود: هو الذي نكد عيشه. وفي الأصل «مجدود» بالدال، والمجدود: المحظوظ، والسياق يأباه.

فقـــيرًا وَقِيرًا[1] أخا عُسْرةٍ * بعيدًا من الخير صِفرَ اليدينِ
كئيبَ الصّديق بهيجَ العدوِّ * طويلَ الشّقا زانِىَ الوالدينِ

وطرحها فى مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطيًا وقع من موضع عالٍ ، فدخلوا يسألونه :
٥ كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقط فى بئر فذهبت حدبته فصار آدر[2] ، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبتـه ، فجعل يقول : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

المدائنىّ قال : سقط ابن شُبْرُمة القاضى عن دابّته فوَثِئتْ رجله ، فدخل يحيى
١٠ ابن نوفل الحِميَرىّ عليه فقال :

أقول غداة أتانى الخبير * فدسّ أحاديثـه الهَيْنَمهْ[3]
لك الويلُ من مُخْبِرٍ ماتقول؟ * أبِنْ لى وعَدِّ عن الجَمْجَمهْ[4]
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ةِ مُنْـفَـقِلةٌ رِجلُه مُؤلِمَهْ
فقلت وضاقت علىّ البلاد * ويَخْمتُ الحُجَّـالة لمعضمهْ
١٥ فغَزْوانُ حُرٌّ وأمّ الوليـد * إنِ الله عافى أبا شُبْرُمَهْ
جزاءً لمعروفه عندنا * وما عتقُ عبدٍ له أو أَمَهْ

قال : وفى المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزلَه ، فلما خرج تبعه وقال : يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أوَما تعرفهما؟ هما سِنَّوْران فى البيت .

---

٢٠ (١) الوقير : الذليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ فى إحدى خصيتيه .
(٣) الهينمة : الصوت الخفىّ . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة فى الكلام .

قال حدثنا الرِّياشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تجِدُك ؟ قال : أجِدُني أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجِد ، ولقد أصبحتُ في شرّ زمانٍ وشرّ أناسٍ : مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد .

قيل : لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً : كيف تجِدُك ؟ قال أجِدني أذوب ولا أثوب ، وأجد نَجْوِى[1] أكثرَ من رُزْئِى ، فما بقاءُ الشيخ على هذا ! .

سئل عليلٌ عن حاله فقال : أنا مُبِلّ غير مُستقِلّ ، ومتماثِلٌ غير متحامِل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجِدُني لم أرض حياتى لموتى .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال مَنْ يريد سفرًا طويلًا بلا زادٍ ! ويَنزل منزِلًا مُوحِشا بلا أنيس ! ويَقْدَم على جَبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة ! .

قيل لِعِكْرِمة : كيف حالك ؟ قال : بِشرٍّ ، أصبحت أجرَبَ مبسورا[2] .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قيل لشيخ من العُبّاد : كيف أنت ، وكيف أحوالُك ؟ فقال : ما كلُّها كما أشتهى .

قيل لآخر : ما تشتكى ؟ قال : تمامَ العِدّة وانقضاء المدّة .

وبلغني عن مُعاوية بن قُرّة قال : مَرِض أبو الدَّرداء ، فعاده صديقٌ له فقال : أيّ شيء تشتكى ؟ قال : ذُنوبي ؛ قال : فأيّ شيء تشتهى ؟ قال : الجنة ؛ قال : فندعو لك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجلٌ عن حاله فقال :

كنا اذا نحن أردنا لم نَجِدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِد

(١) النجو : ما يخـرج من البطن من ريح أو غائط ، والرزء : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أرْجف الناسُ بعلّة معاوية وضعفِه، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة، فأخذ معاوية بيده ثم قال يا مَصْقل :

أبقى الحـــوادثُ من خليـــلك مثل جَنْدلة المَـرَاجِمْ
قـــد رامنى الأقـــوامُ قبـــلك فامتنعتُ من المظالِمْ

٥ فقال مَصْقَلة : أمّا قولُ أمير المؤمنين: «أبقى الحوادث من خليلك»، فقد أبقى الله منك جبلًا راسيًا وكَلأً مَرِعيًا لصديقك وسمًّا ناقعًا لعدوّك . وأما قولك : «قد رامنى الأقوام قبلك» ، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك ! فقد كان الناس مشركين وكان أبو سفيان سيّدَهم ، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم ؛ فأعطاه معاوية فخرج . فسئل عنه فقال : والله لغَمَزنى غمزةً كاد يكسر منها يدى وأنتم تزعُمونه مريضا .

١٠ وقال المدائنىّ : دخل كُثَيّر عَزّة على عبدالملك بن مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لولا أنّ سرورك لا يتمّ بأن تَسْلَمَ وأَسْقَم لدعوتُ الله أن يَصْرِف ما بك إلىّ ، ولكن أسألُ الله لك أيها الأمير العافيةَ ولى فى كَنَفك النعمةَ ؛ فضحك وأمر له بمال ؛ فقال :

ونعودُ سيّدَنا وسيّدَ غيرِنا * ليت التَّشَكِّى كان بالعُوّادِ
١٥ لو كان يُقْبَلُ فِديةٌ لفديتُه * بالمصطفَى من طارِفى وتِلادى

وقال آخر :

لا تَشْكُوَنّ دهرًا صَحَحتَ به * إنّ الغِنَى فى صحـــة الجسمِ
هَبْكَ الخليفةَ ، كنتَ منتفعًا * بلذاذة الدنيا مع السُّــقْمِ ؟

اعتلّ المِسْوَر فجاءه ابنُ عباس يعوده نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس[1] هلّا ساعةً غيرَ هذه! قال ابن عباس: إنّ أحبَّ الساعاتِ إليّ أنْ أُؤدّيَ فيها الحقّ أشقُّها عليّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسي أنت! وكيف كنت؟ لا زلت! وكيف قوّتُك ونشاطك؟ لا عدِمتَهما ولا عدِمْنا هما منك، وأعادك الله الى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجِب العذرَ بها تفضُّلُك لم أدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل وأشدُّ تسكينا للاعج الشوق.

وقرأت فصلا في كتاب: انّي تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصًا عن خبرك في مُمْساك ومُصْبحك وتنقل الحال بك تبحث من تقسم جوارحه وصبك وزاد في ألمها ألمك ومن تتّصل بك أحواله في السراء والضراء. ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية مخبرًا بالعذر، معفيًا من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا.[2]

وقال عبد بني الحَسْحَاس:

تجمّعْنَ من شتّى ثلاثٌ وأربعٌ * وواحدةٌ حتى بلغْنَ ثمانيا

سُلَيمى وسَلْمى والرَّبابُ وزينبٌ * وهندٌ ودَعدٌ والمُنى وقَطاميا

وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَني * ألا إنّ بعضَ العائداتِ دواهيا

---

(١) أبو العباس: كنية عبد الله ابن العباس. (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوفق اليه في مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا: «لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصا عن خبرك يجب أن تنقسم بجوارحه وصبك وإن زاد في ألمها ألمك وأن تتصل به أحوالك في السراء والضراء. ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله». والظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يجب» نابية، ولعل أصل العبارة: وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرىّ :

ما لى مَرِضتُ فلم يَعُدْنى عائد * منكم ويمرضُ كلبكم فأعودُ

فسُمّى «عائدَ الكلب» ، وولدُه الآن يسمَّوْن «بنى عائد الكلب» .

التعازى وما يُتَمَثَّل به فيها

٥ حدّثنى محمد بن داود عن غسّان بن الفَضْل قال قال عبد الوهاب الثَّقفىّ : أتانى ابن جُرَيج بمكة يُعَزِّينى عن بعض أهلى، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهلَه إيمانًا واحتسابا سلا كما تسلو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأَسْلمىّ إلى المهدىّ يعزّيه عن ابنته : أما بعد، فإن أحقّ مَنْ عرَف حقّ الله فيما أخذ منه من عَظَّم حقّ الله عليه فيما أبقى له .
١٠ واعلم أن الماضى قبلَك هو الباقى بعدك ، وأن أجر الصابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافَوْن منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنئةُ على آجل الثواب ، أولَى من التَّعزِية على عاجلِ المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

١٥ كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقَلُّ بشكرها * لله فى طَىِّ المكارهِ كامنهْ

وسقطت مَقاديمُ فم معاوية فشَقّ ذلك عليه، فقال له يزيد بن مَعْمَر السَّلَمىّ : والله يا أمير المؤمنين، ما بلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضًا، فَفُوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك .

وقال صالح المُرّيّ لرجل يعزّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثتْ فى نفسك موعظةً فمصيبتُك بنفسك أعظم . ونحوه : شرٌّ من المرزئة سوءُ الخلف عنها . ومثله قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصبتَ جليلًا * فلَفَقْدُ العزاء فيه أجلُّ

عزّى شبيبُ بن شيبة المَهديَّ عن بانُوقة[1]، فقال : يا أمير المؤمنين، ما عند الله خير لها مما عندك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها .

عزّى رجلٌ عبد الله بنَ طاهر عن ابنته فقال : أيها الأمير، ممّ تجزَع ؟

* الموتُ أكرمُ نزّال على الحُرَمِ *

وقال جرير :

وأهونُ مفقودٍ اذا الموتُ ناله * على المرء مِنْ أصحابه من تقنّعا

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلتْ كريمًا * كنعمة عورةٍ سُتِرت بقبرِ

وعزّى رجل رجلا فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تعزَّ أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغذَى الصغيرُ ويولَدُ

هل ابنُك إلّا من سُلالةِ آدمٍ * لكلٍّ على حوض المنيّةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضي الله عنهما عن طفل أُصيب به ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك .

وقال محمودٌ الورّاق :

يمثّل ذو اللبِّ فى نفسه * مصائبَه قبل أن تنزِلَا

(١) بانوقة : بنت كانت للمهدي .

فإن نزلتْ بغتــةً لم ترُعْه * لِمَا كان فى نفسه مثّلا
رأى الهمَّ يُفْضِى الى آخرٍ * فصــيَّرَ آخِرَه أوّلا
وذو الجهــل يأمَنُ أيامَه * ويَنْسَى مصارعَ من قد خلا
فإن بدَهَتْه صروفُ الزمانِ * ببعض مصائبــه أعْوَلا
ولو قــدّم الحزمَ فى أمره * لعلّمه الصــبرَ عنــد البَلا

عزّى موسى بنُ المهدىّ سليمانَ بنَ أبى جعفر عن ٱبنٍ له، فقال : أيَسُرّك وهو بليّة وفتنة، ويحْزُنك وهو صلاة ورحمة! .

وعزّى رجل موسى بنَ المَهْدِىّ عن ٱبن له فقال : كان لك من زينة الحياة الدنيا، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات .

توفّى سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان، فكتب الى عمرَ بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأطْنب فى كتابه؛ فكتب اليه عمر :

حَسْبِى(١) حياةُ الله من كلّ ميّتٍ * وحسبِى بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لقيتُ اللهَ عــنّى راضيًا * فإنّ شفاءَ النفس فيما هنــالك

كتب ٱبنُ السمّاك الى الرشيد يعزّيه بابنٍ(٢) له : أما بعدُ، فإن ٱستطعتَ أن يكون شكرُك لله حينَ قبضــه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهبه، (٣) فإنه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنته؛ أرأيتَ حزَنك على ذهابه وتلهُّفَك لفراقه! أرضيتَ الدارَ لنفسك فترضاها لٱبنــك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقيتَ أنت معلَّقا بالخطَر . وٱعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنمــا هى واحدة إن صبرت، فلا تجمع الأمرين على نفسك .

(١) دخله الخرم وهو حذف فاء «فعولن» . (٢) كذا فى الأصل ولعله «يعزيه عن ابن له» .
(٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبى دُلَف : المصائب حالّةٌ لابدّ منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده ، وآيةُ ذلك أن يوفّقه للصبر ويُلهمه الرضا ويبسط أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلَف العاجل . ومنها ما يكون سُخطا وانتقاما ، أوّله حُزن وأوسطه قُنوط وآخرُه ندامة ، وهى المصيبةُ حقًّا الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة . ولم تزلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإتلاف . وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك فى مَوَاضى الأيام ، فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلَف اليه : إن تكن المصيبةُ جلّتْ ، فإن فيما أكرمنى الله به مِنْ جَميل رأي الأمير وما وضح للناس من فضل عنايته وابتدائه[1] إيّاى بكُتُبه ، ما يجعل العوضَ من المفقود .

وفى كتاب آخر : لئن كانت المصيبة جلّت ، إن فيما أبقى اللهُ ببقاء الأمير عوضا وافيا وخَلَفا كافيا . وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى اللهُ أن يَحْسُن عَزَاؤُه عما أُخِذ منه . وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

وقرأت فى كتابٍ لبعض الكُتّاب فى تَعْزِية : أسأل الله أن يَسُدّ بك ما ثلمتِ الأيامُ من مكانه ، ويعمرَ ما أَخْلتْ من مَشاهده وأوطانه حتى لا يَعْفُوَ الداثر ، وأن يَستقبِلَ لكم أيامَكم بِأحسنِ ما أمضاها لمن مضَى منكم ، فيجعلَكم الخلَف الذى لا وحشة معه ولا وحشةَ عليه ، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت فى كتابِ تعزيةٍ : لا لومَ على دمعةٍ لا تُملَك أن تَسْفَحها ، ولا على ألمٍ فى القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك ، ولا عذر فى سواهما مما أَحْبَط أجرَك وأشْمت عدوّك وضعّف رأيَك ، ولم يرجع إليك فائتا ولا الى شقيقك بمكانه رُوحًا ولا الى من خلّف

(١) فى الأصل : « ... وما وضح الناس فإن فضل عنايته وابتدائه إياى ...الخ » .

حفظا . واعلم أن فرقَ ما بين ذى العقلِ وذى الجهل فى مصيبتيهما تعجُّل العـاقل من الصبرما يتأجّل الجاهلُ.

وقرأتُ فى كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقيه ذلك من إخوانه ويَفديه منه بالأخَصّ من أعِزّته والأنفَسِ من ماله ،سلِمْتَ من مُلمّها ، وكان سَبْقى الى ذلك أبرزَ سَبْق ، وحظّى بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ .

وقرأت فى كتاب : مصيبتُك لى مصيبةٌ ،وما نالك من ألمها لى مُوجِع . ولو كان فى الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبك من ألمها لحَملتُ مثلَه على نفسى ،فإنى أُحبّ أن أكون أُسْوتَك فى كل سارّ وغامّ ، وألّا أتمتّع بأيام غُمُومك ، ولا أقصّر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت فى كتاب : نسـأل الله حسنَ الاستعدادِ لمـا نتوكّفُه(١) ونتوقّع حلولَه ، وألّا يَشغَلَنا بمـا يَقِلّ الانتفاعُ به وتَعظُمُ التَّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ اليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَملت من خيرٍ مُحْضَرا ، وما عَملتْ من سُوءٍ تَودّ لو أنّ بينَها و بينَـه أمدًا بعيدا ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصـبر والعزاء إيمانًا و إيقانا ، ولا يجعلَه ذُهُولًا ونِسْيانا .

قال أسماءُ بنُ خارِجه اذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية ، واذا قدُم الإخاء قبُح الثنـاء .

قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءَك ! فقالت : إن فَقْدى إياه أمّننى من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر(٢) :

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه * فلم يبـق لى شىء عليـه أُحاذِرُ

---

(١) نتوكفه : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهذا البيت من أبيات قالها فى محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بينى و بين محمد * وليس لمـا تطوى المنية ناشر

ومثـــله :

وقد كنتُ أستعفى الإله اذا اشتكى ٭ من الأجرِ لى فيه و إن سرَّنى الأجرُ

وقال أبو العتاهيَة :

وكما تَبْـــلَى وجوهٌ فى الثَّرَى ٭ فكذا يبــلَى عليهن الحَــزَنْ

وفى الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه"[١].

و يقال : المصيبة المُوجِعة تُبدِّد ذكرَ الله فى قلب المؤمن .

قال الأصمعى : مررتُ بأعرابيّــة وبين يديها فتىً فى السِّيَاق[٢]، ثم رجعتُ ورأيتُ فى يدها قدح سَويق تشربه . فقلت لهـا : ما فعل الشابّ ؟ فقالت : واريْناه . فقلت : فما هذا السَّوِيق ؟ فقالت :

على كلِّ حالٍ يأكل القومُ زادَهم ٭ على البؤس والبَـلْوَى وفى الحَدَثانِ

قيــل لأعرابى : كيف حزنك اليوم على ولدك؟ فقـــال : ما ترك حبُّ الغَدَاء والعَشَاء لى حزنا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجزَعُ قبلَ المصيبةِ . فإذا وقعتْ فالْهُ عمّا أصابك .

اشتكى بعض أهل محمد بن علىّ بن الحسين فجَزِع عليه ، ثم أُخبر بموته فسُرِّيَ عنه . فقيل له فى ذلك . فقـــال : ندعو الله فيما نحبّ ، فإذا وقع مانكره لم نخالف الله فيما أحبّ .

لما مات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله : [illegible] ما قضى اللهُ فيه ماقضى فما أُحبُّ أنّى دعوته فأجابنى .

---

(١) يصب منه : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها . (٢) السياق : نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

قال رجل من طيّئ :

فلولا الأسَى[1] ما عِشتُ فى الناس ساعةً * ولكن إذا ما شئتُ أسعدَنى مِثلى

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْلُ اصطباراً وحِسْبةً * سلوتَ على الأيام مثلَ البهائم

عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليَشغَلْكَ ما أقبل من الموت اليك، عمن هو فى شُغُل[2] مما دخل عليك، وأَعِدّ لنزوله عُدّة تكون لك حجابا من الجزع وسِترًا من النار. فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيتَ غفلة تُنبّه عليها ولا حرجاً يُستتر منه، وما توفيقى إلا بالله. فقال محمد : يا أمير المؤمنين، إنه لو استغنى أحد عن موعظة بفضلٍ لكُنتَه، ولكنّ الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائىّ :

ويفـــرَح بالشىء المُعَارِ بقاؤه * ويحـزن لمّـا صار وهو له ذخْر

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبَسٌ * فإنّ ابنَك المحمود بعد ابنك الصبْر

وقال أيضا :

أمالِكُ إنّ الحـــزنَ أحلامُ نائمٍ * ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائم

تأمّلْ رُوَيدًا هل تَعُدّنّ سالمـا * الى آدمٍ أم هل تَعُدّ ابنَ سالم

وقال آخر :

اِصبِرْ لكلّ مصيبةٍ وتجـلّدِ * واعلم بأن الدهر غيرُ مخـلّدِ

---

(١) الأسى : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهى ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « حشا » .

أوما ترى أن الحوادثَ جمّةٌ * وترى المنيةَ للعباد بمَرصَدِ
واذا أتتك مصيبةٌ تَشجَى بها * فاذكر مُصابَك بالنبيّ محمدِ

عزّى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجرُ لا بك ، وكان العزاءُ منك لا عنك .

يعزّى أهلُ نجرانَ بعضُهم بعضًا بهذا الكلام : لا يُحزِنكم الله ولا يَفتِنكم ، أتاكم الله ثوابَ المتّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

عزّى بعضُ الزُّبَيريين رجلا فقال : لا يَصْفُرْ رَبعُك (١) ، ولا يُوحِش بيتك ، ولا يَضِعْ أجرُك ، رحِم الله متوفَّاك ، وأحسن الخلافةَ عليك .

قال بعض الشعراء :

أسُكّانَ بطنِ الأرض لو يُقبَل الفِدَى * فَدَينا وأعطينا بكم ساكنَ الظهرِ
فياليت مَنْ فيها عليها وليت مَنْ * عليها ثوى فيها مقيمًا الى الحشرِ
وقاسمنى دهرى بَنِيَّ مُشاطِرِهِ * فلما توفّى شطرَه مال فى شطرِى
فصاروا ديونا للمنايا ومن يكن * عليه لها دين قضاه على عُسْرِ
كأنّهمُ لم يعرفِ الموتُ غيرَهم * فثُكْلٌ على ثُكلٍ وقبرٌ على قبرِ
وقد كنتُ حىَّ الخوفِ قبل وفاتهم * فلما توفُّوا مات خوفى من الدهرِ
فللّه ما أعطَى ولله ما جزَى * وليس لأيام الرزيّة كالصبرِ
فحَسْبُك منهم مُوحشًا فقدُ بِرّهم * وحَسْبُك منهم مُسْلِيًا طلبُ الأجرِ

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة رجلا من اليهود فقال : أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحدًا من أهل مِلّتك .

---

(١) لا يصفر : لا يخلو .

وقال العُتْبِيّ :

ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الـ * أحشــاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ
فُجِعتُ بابنَىَّ ليس بينهــما * إلا ليالٍ ليستْ لهــا عــدَدُ
وكلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الـدّهـرِ وحُـــزنى يُجدِّده الأبَدُ

وقال أيضا :

ألا يَزْجُرُ الدهرُ عنا المَنُونا * يُبَقِّى البنــاتِ ويُفْنِى البنينا
وأنْحَى عــلىّ بلا رحمـــةٍ * فلم يُبْقِ لى فى جُفونى جفونا
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ * أُفَقِّى بهــم أعينَ الحاسدينا
فمرُّوا على حادثاتِ الزمان * كمَرِّ الدراهـــمِ بالناقدينا
فأفْنَتْهــمُ واحدًا واحــدًا * الى أن أبادتهمُ أجمعينا
وألْقَيْن ذاك الى ضــارِحٍ(١) * وألْقَيْن هــذا الى دافنينــا
وما زال ذلك دَأْبَ الزما * نِ يُفْنِى الأوائلَ فالأوّلينــا
وحتّى بكى لىَ حُسّــادُهم * فقد أقرحُوا بالدموعِ الجفونا
وحَسْبُك من حادثٍ بآمرئٍ * تَرَى حاسـديه له راحميــا
وكانوا على ظهرها أنجُمًا * فأضْحَوا الى بطنهــا يُنْقَلونا
فمن كان يُسْلِيه مَرُّ السنين * فحُــزْنى يجدِّده لِى الســنونا
وممــا يسكِّن وجدِى بهـــم * بأن المَنُونَ ستلْقَى المنونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزَّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولامع الجزع فائدة ؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده ؛ اذكروا فقدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصْغُرْ مصيبتُكم ؛ وعظّم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح للميت اذا حفر له .

وكان علي رضي الله عنه إذا عزّى رجلا يقول : إن تجزَعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبِرْ ففي الله عِوَضٌ من كل فائتٍ، وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجرَكم .

وقال أعرابيّ :

أيُغسل رأسي أو تطيبُ مَشارِبي * ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ
نَسيبُك من أمسى يُناجيك طرفُه * وليس لمن وارَى التراب نَسيبُ
وإني لأستحيي أخي وهو ميّتٌ * كما كنتُ أستحييه وهو قريبُ

وقال أعرابيّ :

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا * أقمنا قليلًا بعدهم وتقدّموا

وقال آخر :

وقد كنتُ أستعفي الإله إذا اشتكى * من الأجرِ لي فيه وإن سَرّني الأجرُ
وأجزع أن ينأى به بَيْنُ ليلةٍ * فكيف ببَيْنٍ صار ميعادَه الحشرُ

وقال آخر :

وإنّا وإخوانًا لنا قد تتابعوا * لكالمغتدي والرائح المتهجِّرِ

وقال سليمان الأعجميّ :

ربَّ مغروسٍ يُعاش به * عَدِمَتْه كفُّ مغترِسهْ
وكذاك الدهر مأتمُه * أقربُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبي سفيان يوما فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ آمرئٍ وأمامَه * وأَوْحش من جيرانه فهو سائرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يوماً فلانٌ * راعنا ذاك ساعةً ما نُحِيرُ

نذكُرُ الموتَ عندَ ذاكَ وَنَنسا * ه اذا غَيَّبَتْه عنا القبورُ

وقال آخر :

نُرَاعُ من الجنائز قابلتنا * ونلهو حين تَخفَى ذاهباتِ

كَرَوْعَةِ ثَلَّةٍ[1] لِمُغَارِ سَبعٍ * فلما غاب ظلَّتْ راتعاتِ

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرَّحيـ * ـلِ وإنَّا لبالأثرْ

وكتب رجل الى بعض الأمراء فى تعزية : الأمير أذكرُ من أن يُذَكَّر به، وأعلَمُ بما قضاه على خلقِه من أن يُدَلَّ عليه، وأسلَكُ لسبيل الراشدين فى التسليم لأمره والصبر على قَدَرِه والتنجّز لوعده، من أن يُنَبَّه من ذلك على حظِّه، أو أن يَحتاج معزِّيه عند حادثِ المصيبة الى أكثرَ من الدعاء فى قضاء حقّه . فزاده الله توفيقاً الى توفيقه، وأحضره رشدَه، وسدّد للصواب غرضَه، وتولّاه بالحُسْنى فى جميع أموره، إنه سميعٌ قريب . وقد كان من حادث قضاء الله فى المتوفَّى ما أنْقَصَ وأرْمَضَ[2]، وفجَع وأوْجع، علما بما دخل على الأمير من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أُنسه من الوحشة، الى ما خصَّني منـه بماسِّ الرَّحِم وأوشَجِ القَرَابة . فأعْظم اللهُ للأمير الأجر، وأجْزل له الذُّخر، وعصَمه باليقين، وأنجز له ما وعد الصابرين ؛ ورحِم المتوفَّى ولقّاه الأمنَ والرَّوح، وفسَح له فى المَضجَع، وجمَعه[3] وإيّاه بعد العمر الطويل فى الدار التى لا خوفٌ عليهم فيها ولا هم يحزنونَ .

---

(١) الثلة (بالفتح) : جماعة الغنم الكثيرة، والثلة (بالضم) جماعة الناس . (٢) أنقص : أثقل، وأرمض : أوجع . (٣) فى الأصل : «ورحم له وإياه» .

وفى كتاب : نحن نحمدُ اللهَ أيها الأمير إذ أخذ[1] على ما أبقى منك، وإذ سلب[1] على ما وهب بك؛ فأنت العِوَضُ من كل فائت، والجابر لكلّ مصيبة، والمؤنس من وَحشة كلّ فقد؛ وحقّ لمن كنت له وليًّا وعَضُدًا أن يَشْغَله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

وكتب سعيد بن حُميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزّى على سلوك السبيل ٥ التى سلكها الناسُ قبله والمُضِىّ على السنّة التى سنّها صالحو السلف له ؛ وقد بلغنى ما حدث من قضاء الله فى أمّ الأمير، فنالنى من ألم الرزيّة وفاجع المصيبة ما ينال خَدَمَه الذين يخصّهم ما حصّه من النعم، و يتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المحَن . فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه فى نعمةٍ عنده نقصا، ووفّقه عند النعم للشكر الموجب للزيد، وعند المحَن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم ١٠ وهاب. ويرحم الله الماضية رحمة مَنْ رضِىَ سعيَه وحازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأميرَ عن أن نعزّيه مثلى بالرسول دون اللقاء، وبالكتّاب دون الشِّفاه، ولكن الكتاب لقاءُ مَنْ لا سبيل له الى الحركة ، وقبول العذر عمّن حِيل بينه وبين الواجب .

ولابن مكرم : ومما حرّكنى للكتّاب تعزيتُك بمن[2] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث ١٥ فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوة العقل وأصالة الرأى، ومدّ له من عِنانه الى قُصْوَى الغايات، فإنا لله وإنا اليه راجعون على ما أفاتَنَا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وعالَى فى المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به ؛ وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهّل لك فى العمر،

(١) فى الأصل : «إذا» . (٢) لعله «عمن» . ٢٠

وأجزل لك العوض والذُّخر. فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدَادُ ثُلْمته وجابر رزيّته. وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوز وليتَ تربيتَك وحِيَاطتَك فى طبقات سِنّك، وولَدٍ رُبُّوا فى حِجْرك ونبَتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مَقيل إلا فى ذَرَاك، فأنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أنْحرب أحوالَهم بعِمارة مروءته، وقطَعهم بصلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخْلِفه فيهم بما هو أهله.

وفى فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله فى هذه النازلة ما[1] نطق عمّا نالك وأبقى عندك، وهو حقُّ مِثْلِها وقَدْرُ مُلِمّها.

وفى فصل آخر: لو كان ما يَمَسُّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِتْرًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذور. فأعْظم الله أجرَك، وأجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك، ولا جعل للشيطان حظًّا فيك ولا سبيلا عليك.

المدائنى قال: قدِم رجل من عَبْس، ضَريرٌ محطوم الوجه، على الوليد، فسأله عن سبب ضُرّه، فقال: بِتُّ ليلةً فى بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيًّا يزيد مالُه على مالى، فطرَقنا سيلٌ فأذهب ما كان لى من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلا صبيًّا رضيعا وبعيرا صعبًا، فندَّ[2] البعيرُ والصبيُّ معى فوضعتُه واتّبعتُ البعيرَ لأحبسه، فما جاوزتُ إلا ورأسُ الذئب فى بطنه قد أكله، فتركتُه واتّبعتُ البعيرَ، فاستدار فرمَحنى رَمْحةً حطَم بها وجهى وأذهب عينى، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: اذهبوا به إلى عُروة ليعلمَ أن فى الناس من هو أعظم بلاءً منه، وكان عروة بن الزُّبير أُصيب بابنٍ له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة —

(١) لعله: «بما». (٢) ندّ البعير: شرد.

يعنى بنيه — فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحدا، وكُنَّ أربعا — يعنى يديه ورجليه — فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثا[1]، أحمَدُك، لئن كنتَ أخذت لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافيتَ. وشخَص الى المدينــة فأتاه الناس يَبْكون ويتوجّعون؛ فقال: إن كنتم تُعِــدُّونَنِى للسِّباق والصِّراع فقد أَوْدَى، وإن كنتم تُعِــدُّونَنِى للِّسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

وقال علىّ بن الجَهْم:

مَنْ سَــبَقَ السَّلوةَ بالصــبرِ * فاز بفضل الحمــدِ والأجرِ

يا عَجَبًا مِن هَلِــعٍ جازِعٍ * يُصــبِح بين الذمّ والوِزْرِ

مصيبةُ الإنســان فى دِينِــه * أعظمُ مِن جائحة الدهرِ

وقال بعضُ[2] الشعراء:

ليتَ شعرى ضَلَّةً * أىُّ شىءٍ قتــلَكْ

والمنــايا رَصَــدٌ * للفتى حيث سلَكْ

كلُّ شىءٍ قاتلٌ * حين تلقَى أجلَكْ

ليت نفسى قُدِّمتْ * للمنــايا بَــدَلَكْ

أىُّ شىءٍ حَسَــنٍ * للفــتى لم يَكُ لكْ

وقال آخر:

غُرَّ آمرُؤٌ مَنّتْه نفــ * ـسُه أن تدومَ له السلامَهْ

هيهاتَ! أعيا الأوّلِيــ * ـن دواءُ دائك يا دِعامه

---

(١) فى الأصل: «ثلاثة» باثبات التاء. (٢) كذا بالأصل. وفى شرح أشعار الحماسة (ص ٤١٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرّا، ويقال لأم السليك بن السلكة، وأولها:

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك

ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك وذكر لهذا خبرا.

وقالت صفيّة الباهليّة فى أختها :

كنّا كغصنين فى جُرثومةٍ[1] سَمَوَا * حِينًا بأحسن ما تسمُو له الشجرُ

حتّى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما * وطاب قِنْواهما[2] وآستُنظِر الثمرُ

أخنى على واحدى ريبُ الزمانِ ولا * يُبقِى الزمانُ على شىءٍ ولا يَذَرُ

كنّا كأنجمِ ليلٍ وَسْطَنا قمرٌ * يجلو الدُّجى فهَوَى من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائىّ قوله :

كأنّ بنى نَبْهانَ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خَرّ من بينها البدرُ

وقال آخر :

لكلّ أُناسٍ مَقْبرٌ[3] بِفنائهم * فهم ينقُصون والقبورُ تزيدُ

وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قد آخلقتْ * وبيتٌ لميّتٍ بالفناء جديدُ

هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم * فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيدُ

وقال آخر :

لا يُبْعِد اللهُ أقوامًا لنا ذهبُوا * أفناهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ

نَمُدُّهم كلَّ يومٍ من بقيّتنا * ولا يؤوبُ الينا منهمُ أحدُ

وقال النابغة :

حَسْبُ الخليلَينِ أنّ الأرضَ بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالِى

وقال آخر :

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ[4] حِقْبةً * فحالَ قضاءُ الله دون رجائيا

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنّما * عليك من الأقدارِ كان حِذارِيَا

---

(١) جرثومة الشىء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما وارَى الترابُ فِعالَهُ * ولكنه وارَى ثيابا وأعظُما

فَضَالَةُ بن شَرِيك[1] :

رمى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ * بِفادحةٍ سَمَدْنَ[2] لها سُمُودا

فردّ شعورَهنّ السودَ بِيضًا * وردّ وجوهَهن البِيضَ سُودا

وقال آخر :

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانِسٌ * بجوارِ قبرِك والديارُ قبورُ

عمّتْ مصيبتُه فعمّ هلاكُه * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه عليه[3] حياتَه * فكأنه من نَشْرِها منشورُ

منصور النَّمَرِىّ :

فإنْ يَكُ أفنتْه الليالي فأوشكتْ * فإنّ له ذِكْرًا سيُفْنِي اللياليا

وقال طُفَيْلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قصدُ السبيل عليهمُ * وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذى الرُّمّة :

تعزَّيتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعدَه * عزاءً وجفنُ العينِ مَلآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بعدَه * ولكنّ نَكْءَ[4] القَرْحِ بالقرحِ أوجعُ

(١) نسب هذا الشعر فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكميت بن معروف الأسدى. ونسب فى شرح أشعار الحماسة (ص ٢٧٤ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدى.

(٢) السمود: الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى: (وأنتم سامدون) أوهو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السهاد. وقيل معناه رفعن رءوسهن يفخن. (٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر. وفى الأصل: «إلى». (٤) النكء: مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

وفى فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما فى الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما فى الشكر عن حادث النعمة[1] من الحظ، إلى أكثر من الدعاء فى قضاء الحقّين، ولا إلى إخبارك عمّا أنا عليه من الارتماض[2] لضرائك والجذل بسرائك، لمعرفتك بشركتى لك واتصال حالك بى فى الأمرين .

التـــــهانى

حدّثنى زيد بن أخزم[3] قال حدّثنا أبو قتيبة قال حدّثنا ميمون [قال] حدّثنا أبو عبد الله النّاجى قال : كنت عند الحسن، فقال رجل : ليهنئك الفارسُ . فقال : لعله يكون بغّالا[4] . ولكن قل : شكرتَ الواهبَ، وبُورك لك فى الموهوب، وبلغ أشدّه، ورزقت برّه .

قال مجاهد : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا دعا لمتزوّج قال : "على اليمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودّة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهنئه بتزويج : بالبمن والبركة، وشدّة الحركة، والظفر عند المعركة .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أول من هنّأ وعزّى فى مقام واحد عطاء بن أبى صيفى الثقفى، عزّى يزيد بن معاوية بأبيه وهنّاه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام . فقال : أصبحت رُزِئت خليفةً وأعطيت خلافة الله، قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه، ووليت الرياسة، وكنت أحقّ بالسياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزيّة، واشكر الله على أعظم العطيّة . وعظّم الله فى أمير المؤمنين أجرك، وأحسن على الخلافة عونك .

وقالت أعرابية للنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العبّاس : أعظم الله أجرك فى أخيك، لا مصيبة على الأمة أعظمُ من مصيبتك، ولا عِوَض لها أعظمُ من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) كذا بالأصل .

(٤) البغال : راكب البغال، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال الحجّاج لأيّوبَ بن القِرِّيّة: اخطُبْ عليّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتُكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون، أفتُنكِحون أم تَرُدّون[1]؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع ابنُ القِرِّيّة الى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينك، وجمع شملك، وأنبت رَيْعك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله وَدُودا ولُودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعض الكُتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخيرِ مُتَنَقَّلٍ، وعلى أيمن طائر، ولأحسنِ إبّان، أنزلك الله عاجلا وآجلا خيرَ منازلِ المُفلِحين.

وقال ابن الرِّقاع لمتزوّج:

قمرُ السماء وشمسُها اجتمعا * بالسَّعدِ ما غابا وما طلعَا
ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومَنْ سُمِعَا
دام السرورُ له بها ولها * وتهنّأا طولَ الحياةِ معَا

وكتب رجل الى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّأ الله لك من اجتماع الشَّمْل، بضمّ الأهل، فشَرِكْتُك في النعمة، وكنتُ أُسْوتَك في السرور، وشاهدتُك بقلبي، ومثّلتُ ما أنت فيه لعيني، فحَلَلْتُ بذلك محلَّ المُعايِن للحال وزينتها، فهنيئا هنّأك الله ما قسم لك، وبالرِّفاءِ والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكُتّاب الى عامل: نحن من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك في تَلِي من أعمالك، وتخليصك وزمّك إيّاها بحزمك وعزمك، وانتياشك أهلَها من جور مَنْ وَلِيَهم قبلَك، وسرورِهم بتطاوُلِ أيّامك والكونِ في ظلّ جناحك، في غايةِ مَنْ تخصّه وتَعُمّه نعمتك، وتجول به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك، ولم يَرْدُدْ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا في غيرك. وهنيئا هنّأك الله نعمَه خاصَّها وعامَّها، وأوزعك شكرَها، وأوجب لك بالشكر أحسنَ المزيد فيها.

(١) في الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضي «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانيّ قد أسلم يهنئه : الحمدُ لله الذي أرشَدَ أمرَك ، وخصّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجَاحةَ رأيك ؛ فما كانت الآدابُ التي حويتَها ، والمعرفةُ التي أُوتيتَها ، لتدوم بك على غَوَايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبّك ، ولا يبرح ذَوُو الحجا من موجبي حقّك يُنكرون إبطاءَك عن حظّك وتركَكَ البِدارَ إلى الدّين القيّم الذي لا يقبَــل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . والحمد لله الذي جعلك في سابق علمه ممن هَدَاه لدينه ، وجعله من أهل وِلَايته ، وشرّفه بوَلَاء خليفته . وهنأك الله نعمتَه ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنــا أخًا تَدين بمودّته ومُوالاته بعد التأثّم من خُلْطتك ومخالفةِ الحقّ بمشايعتك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجٍّ : الحمدُ لله على تَمـام مُهَاجَرِكَ ، وسلامة بَدْأتك ورَجْعتك ، وإعظامه المِنّةَ بأوْبتك ؛ وشكر الله سعيَك ، وبَرّ حجّك ، وتقبّل نُسكك ؛ وجعلك ممن قلبه مُفلِحا مُنجِحا ، قد رَبِحتْ صفقتُه ، ولم تبُرْ تجارتُه ، ولا أعدمك نيّةً تفضُل عملَك ، وتوفيقًا يَحُوط دِينَك ، وشكرا يرتبط نعمتك ؛ فهنأكم الله النعمةَ ، وجمعكم في دار الخلافة ، وجعلكم ساسةَ الأمّة والمتقدّمين عند الإمام — أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زَيْنُ السلطان ، وعُمْدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثر أهلِ الزمان .

وكتب إلى رجلٍ عن صديق له يهنّئه بفِطام مولود : أنا — أعزّك الله — لمّا حمّلني الله من أياديك ، وأودعني من إحسانك ، وألزمني من شكرك ، آخذ نفسي بمراعاة أمورك ، وتفقُّد أحوالك ، وتَعرُّف كلّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابله بما يَلْزمني ، وأقضي

الحقّ فيه عنّى بمَبْلَغ الْوُسع ومقدارِ الطاقة ، و إن كانا لا يبلُغان واجبَك ، ولا يستقِلّان بثقــل عارفتك . وكلُّ ما نقّل الله الفتى [و]بلّغه من أحوال البـلوغ ورقّاه فيه من درجات النمّو ، فنعمةٌ من الله حادثة تلزِم الشكرَ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة . وكتب الى وكيل المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطَام ، وصَلَاح جسمه عند الطعام . وسَلْوته عن أوّل الغذاء، وسرورك ومنْ بليك بما وهب الله فى هــذه الحال من عافيته وحسنِ المدافعة عنـه ؛ فأكثرتُ لله الحمـدَ ، وأسهبتُ فى الدعاء والرغبة ، وتصدّقت عنه بمـا أرجو أن يتقبّله ؛ وكتبت مهنئا بتجدّد النعمة عنـدكم فيه . فالحمدُ لله المتطوّلِ علينا قِبَلَه بمـا هو أهله ، والمجْرِى لنا فيما يُوليك على حسن عادته . وهَنّأك الله النعم، وصانها عندك من الغِيَر، وحرَسها بالشكر، و بلّغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العِيَان واليقين، بمنّه وفضله .

وكتب بعض الكُتّاب تهنئةً بحجٍّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدّده اللهُ لهم من نعمه فى الدعاء، من جلائل حقوقهــم على أوليائهــم . وقد خصّ اللهُ حقَّــك بما لا يَسَعُنى معه آدّخارُ مجهودٍ فى تعظيمه وشـكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنَك لى فى تلقّيك راجلًا بالأَوْبة، إذ كان الكِتَابُ بها دون السـعى نأبلغ نصيبٍ من التقصير . وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام، وعمّر بك مَشاهِدَه العظّام، وأوردك حَرَمَه سالمـا، وأصدرك عنه غانما ، ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يَهْنِئك بمـا أنعم به عليك فى بَدْأتك ورَجْعتك ، بتقبُّل السـعى ونُجْح الطَّلِبـة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكُتّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجدّدها الله عندك ، والصنعُ الجميـلُ تُحدثه لك الأيّام، إلّا كان آرتياحى له وآستبشارى به وآعتـدادى بما يَهَب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقّك الذى توجبه، وبِرِّك الذى أشكره، و إخائك

الذى يَعِزّ ويَجِلّ عندى موقعُه، بجعل الله ذلك فيه وله، ووصَله بتقواه وطاعته.
وبلغنى خبرُ الوِلاية التى وَلِيتَها، فكنتُ شريكَك فى السرور وعديلَك فى الآرتياح،
فسألت الله أن يُعرِّفك يُمْنَها وبركتَها، ويرزُقك خيرَها وعادتَها، ويُحسن معونتَك على
صالح نِيّتك فى الإحسان إلى أهل عملك والتألّف لهم، واستعمالِ العدل فيهم،
ويرزقك محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خيرَ رعيّة.

وكتب رجلٌ الى معزول: إن أكثرَ الخير(١) فيما يقع بكُرْه العباد، لقول الله عزّ وجلّ:
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾. وقال
أيضا: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. وعندك بحمد الله من
المعرفة بتصاريف الأمور، والآستدلال بما كان منها على ما يكون، مَغْنًى عن الإكثار
فى القول. وقد بلغنى آنصرافُك عن العمل على الحال التى آنصرفتَ عليها من رضا رعيّتك
ومحبّتهم وحسنِ ثنائهم وقولهم، لِمَا(٢) بقّيتَ من الأثرِ الجميل عند صغيرهم وكبيرهم.
وخلّفتَ من عدلك وحسنِ سيرتك فى الدانى منهم والقاصى من بلدهم، فكانت
نعمةُ الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شكرُها. والحمدُ لله على
ما أعطاك، ومَنح فيك أولياءك وأرغم به أعداءك، ومكّن لك من الحال عند مَن
وَلّاك؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرْفَك عن عملك مِنْحًا(٣) مجدّدا، يجب به تهنئتك، كما يجب
التوجُّعُ لغيرك.

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنئةٍ بحجّ: لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرَ
بها تفضُّلُك ويَبْسطه آحتمالُك، لكنتُ مكانَ كتابى هذا مهنّئا لك بالأَوْبة، ومجدّدا

(١) فى الأصل: «الخار». (٢) فى الأصل: «ما بقيت». (٣) بالأصل: «محنا»
بالعين المهملة.

بك عهدًا ، ومُحيِيًا نفسى بالنظر اليك . وأنا أسأل الله أن يشكُرَ سعيَك ، ويتقبَّلَ حَجَّك ، ويُثْبِت فى علّيّين أثرَك ، ولا يجعله من الوِفادةِ اليه آخرَ عهدِك .

وكتب بعض الكتّاب : لا مُهَنِّئَ أولى ما يكون مهنّئا ، تعظيمًا لِنعمه فيما جدّد الله لك يامولاى بالولاية ، منّى ، إذ كنتُ أرجو بها آنضمامَ نَشْرى ، وتَلافىَ الله بعنايتك المتشتّتَ من أمرى . فهنّأك الله تجدُّدَ النعم ، وبارك لك فى الوِلاية ، وآفتتحها لك بالصُّنع الجميل ، وختَمها لك بالسلامة ، إنه سميع قريب .

باب شِرار الإخوان

ذكر خالدَ بنَ صَفْوان[1] شَبِيبُ بن شيبة فقال : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ فى السرّ ولا عدوٌّ فى العلانيَة .

وقال الشاعر :

وإنّ من الخُلّان مَنْ تَشحَطُ النّوى ... به وهو داعٍ للوِصالِ أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤُه ... فحُلوٌ وأمّا غيبُه فظَنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصْن الى المدينة قبل إسلامه ، فلقيه ركبٌ خارجون منها ؛ فقال : أخبرونى عن هذا الرجل (يعنى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم) ، فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأفناءَ العرب[3] ، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله ، ورجل يُظهر الإسلامَ إذا لقى أصحابَه ويُظهر لقريش أنه معهم اذا لقيهم ؛ فقال : ما يسمّى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون ؛ قال : فآشهدوا أنّى منهم ، فما فيمن وَصَفْتُم أحزمُ من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « ووصف شبيب بن شيبة خالد بن صفوان فقال : ذاك رجل الخ » ، وهى تؤيد الضبط الذى أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .
(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يُدرى من أىّ القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم ٱكفِنى بوائقَ الثّقاتِ، وٱحفظنى من الصَّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره : جَزَى الله مَنْ لا يعرِفنا ولا نَعـرفه خيراً ، فأمّا أصدقاؤنا فلا جُزُوا ذلك، فإنّا لم نؤتَ قطّ إلا منهم .

وكتب إبراهيم بن العبّاس الى محمد بن عبد الملك الزّيات :

٥ وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبَـا صِرتَ حربًا عَوَانا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمّ الزمانا
وكنت أُعِـدُّك للنائبـات . فهاأنا أطلبُ منـك الأمانا

وقال محمد بن مهدىّ :

كانَ صديق وكان خالصتِى * أيّامَ نجرِى مجارِىَ السُّـوَقِ
١٠ حتى اذا راحَ والملوكَ معـا * عَدَّ ٱطّراحِى من صالحِ الخُلُقِ
خَلَّيتُ ثوب الفِراقِ فى يده * وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِق
لَبِستُهُ لِبْسةَ الجديدِ على الـ * ـفَقْر وفارقتُ فُرْقـةَ الخَـلَقِ

وقال آخر :

إذا رأيتَ آمرأً فى حال عُسرتِهِ * مُواصِـلًا لك ما فى وُدّه خَلَلُ
١٥ فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنًى * فإنه بانتـقال الحالِ ينتـقِلُ

وكتب رجلٌ الى صديق أعرض عنـه : لولا أنّى أشفقتُ من أشتات ظنى [فى] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتى منه فيك ولك لمعجبك ولكفيتك مُؤْنتى، ثقةً بأنّ آزديادَك من معرفة الناس ستردّك إلىّ؛ فان رجعتَ قبِلتُ وتمسّكتُ وآغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَعْ مُوَلِّيًا، ولم آسَ على مُدْبِر، ولم أسامح نفسى على تعلّقها بك،[(1)]

٢٠ (١) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب فى مصدر آخر بعد طول البحث عنه فى مظانه .

ولم أُساعِدْها على نزاعها اليك . فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك ثم أبى قلبي ذلك ، فكررتُ وعطفتُ أسّي على أيّامى معك وما توكّد بيني و بينك . وما من كَرّةٍ لى اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من آستخفافك ونُفورك . ولو فهمتَ ما آستحققتُ به عليك ما أشكوه لخَفّ تحمّلُ ما يكون منك علىّ ولا جستُ[1] فى عتابك و رضاك .

وفى جواب كتابٍ : وقد وزعمى ما ضربتَه لى من الأمثال فى كتابك عن آستبطائك . على أنى لا أستزيد إلا من أحتاج الى صَلاحه وأرغب فى بقيّته ، وقد قيل :

يأبينَ إلا جفوةً وظلمَا * من كثرة الوصل تجنِّى[2] الحُرَمَا

وفى كل ما أجبتنى ظلمت فى معارضتى عن مَسْخى جوابَك بإيحاشى ، وفى اعتدادك علىّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أُنكر الخلافَ بين الأب وآبنه والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بينى و بينك قطّ ، فإنى لم أُخالقك ولم أشاحِحْك ولم أنازعك ولم أعارض نعمتَك بِلَا ولا أمرَك بنهى .

وقال الحسن بن وَهْب :

سأُكرِمُ نفسى عنك حَسْبَ إهانتى * لها فيك إذ قرّت وكفّ نِزاعُها
هى النفسُ ما كلّفتُها قطُّ خُطّةً * من الأمر إلا قلّ منه امتناعُها
صدَقت لعمرى أنتَ أكبرُ همّها * وأجهدُها إذ قلّ منك آنتفاعُها
هَبِ آنّى أعمى فاتت الشمسُ طَرْفَه * وغُيِّبَ عنه نورُها وشُعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيتُ فُضَيْلًا كان شيئًا مُلَفّقًا * فكشّفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَا

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تجتنى حذفت إحدى تاءيه .

وقال آخر :

لَعَمْـــرُكَ ما وُدُّ اللسان بنـافعٍ * إذا لم يكن أصلُ المودّة في القلب

وقال أبو حازمٍ المدنيّ : ليس لملولٍ صديقٌ، ولا لحسودٍ غنًى، والنظرُ في العواقب تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحنف :

أشكو الذين أذاقوني مودّتَهم * حتى اذا أيقظوني في الهوى رقدوا

وآستنهضوني فلمّا قمتُ مُنتَصِبًا * بِثِقْلِ[1] ما حمّلوني في الهـوى قعدوا

ونحوه قول المجنون :

وأدنَيْتِني حتى إذا ما سَبَيْتِني * بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ[2] سهلَ الأباطح

تجافيتِ عنّي حين لا لِيَ حيلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

وقال آخر :

ولا خير في وُدّ إذا لم يكن له * على طول مَرّ الحادثات بقاءُ

وأنشد آبنُ الأعرابيّ[3] :

لحا الله مَن لا ينفع الودُّ عنده * ومَن حبلُه إن مُدّ غيرُ متين

ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً * يُقطِّعْ بها أسباب كلّ قرين

---

(١) في الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوا من ودّهم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . (٣) نسب القالي في أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج في الأغاني (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوةٌ من النار .

وقال عليّ عليه السلام : " لا تؤاخِ الفاجر فإنه يزيّن لك فعله ويحبّ لو أنك مثلُه ويزيّن لك أسوأ خِصاله، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْنٌ وعار . ولا الأحمقَ فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرُّك، فسكوتُه خيرٌ من نطقه، وبعدُه خير من قُرْبه، وموته خير من حياته . ولا الكذّابَ فإنه لا ينفعك معه عيش، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدِّث بالصدق فما يُصَدَّق " .

قال أبو قَبِيل : أُسِرتُ ببلاد الروم فأصبتُ على ركن من أركانها :

ولا تَصْحَبْ أخا الجهل * وإيّاك وإيّاهُ
فكم من جاهلٍ أَرْدَى * حليماً حين آخاهُ
يُقَاسُ المرءُ بالمرء * إذا ما هو مَاشَاهُ
وللشيء على الشيء * مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلب * دليلٌ حين يلقاهُ

وقال عَدِيّ بن زيد :

عن المرء لا تسألْ وأبْصِرْ قرينَه[1] * فإنّ القرينَ بالمُقارن مقتدِي

وأنشد الرِّياشيّ :

إن كنتَ لا تَصْحَبُ الا فتًى * مثلَك لم تُؤتَ بأمثالِكَا

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه » وكتب بهامشه : « ح : وأبصر قرينه » إشارة الى نسخة أخرى . وورد فى ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة اليه والراجح أنه لعدىّ بن زيد، من داليته المشهورة، وهى من مجمهرات أشعار العرب التى ذكرها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه «جمهرة أشعار العرب» (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أمّ معبد * نعم ورماك الشوق قبل التجلد

إنّ لك الفضـــلَ على صُحْبتى * والمسكُ قد يَستصحِب الرّامِكا (١)
هَنِى آمرأً جئتُ أُريد الهدى * فجُـــدْ على ضَعْفى بإسلامكا

وكتب يحيى بن خالد : أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّى بك ضَنين ، أُريدك ما أردتَنى ، وأُريدك أن تتوبَ عنّى ما كان ذلك بى وبك جميلا يَحْسُن عند إخواننا ، وإن وقعت المقـادير بخلاف ذلك لم أعُدّ ما يجب . والذى هاجنى على الكتاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألنى أن أبوح له بمـا عندى ، والله يعلم أنّى ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد ، جمَعنا الله وإيّاك على طاعته ومحبّة خليفته .

وقرأتُ فى كتاب للهند : ثِقْ بذى العقل والكرم وآطمئنّ إليه ، وواصل العاقل غيرَ ذى الكرم ، وآحترس من سيّئ أخلاقه وآنتفـع بعقله ؛ وواصـل الكريم غير ذى العقل (٢) وآنتفع بكرمه وآنفعه بعقلك ؛ وآهرُب من اللئيم الأحمق .

وقال حمّاد عَجْرَد :

كم من أخٍ لك لستَ تُنكِرُه * ما دمتَ من دنياك فى يُسْر
مُتصـــنّعٍ لك فى مـــودّته * يَلقـاك بالتّرحيب والبِشْر
يُطْرِى (٣) الوَفاءَ وذا الوفاء ويلـ * ـحَى الغَدْرَ مجتهِدا وذا الغدر
فإذا عدا ، والدهرُ ذو غِيَرٍ ، * دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر
فارفُضْ بإجمالٍ أُخُوّةَ مَنْ (٤) * يَقْلِى المُقِلّ ويَعْشَقُ المُثْرِى
وعليـك مَنْ حالاه واحدةٌ * فى العُسر إمّا كنتَ واليسر
لا تَخْلِطنّهـــمُ بغـــيرِهم * من يَخلِط العِقْيانَ بالصُّفْر (٥)

(١) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) فى الأصل : « لعاقل » وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) . وفى الأصل : « يطوى » وهو تحريف . (٤) فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) : « مودّة » . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سُوَيْدُ[1] بن الصامت :

أَلَا رُبَّ مَن تدعُو صديقا ولو ترى * مقالتَه بالغَيْبِ ساءَك ما يَفْرِى

مَقالتُه كالشَّحْم ما كان شاهدا * وبالغيب مأثورٌ[2] على ثُغْرة النَّحْرِ

تُبِنُ لك العَيْنان ما هو كاتمٌ * من الضِّغْن والشَّحْناء بالنَّظَر الشَّزْرِ[3]

فَرِشْنِي بخيرٍ طالَما قد بَرَيْتَنِي * وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى ٥

وقال آخر :

وصاحبٍ كان لى وكنتُ له * أَشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ

كُنّا كساقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ * أو كَذِرَاعٍ نِيطتْ الى عَضُدِ

حتى اذا دانَتِ[4] الحوادثُ من * خَطْوِى وحَلّ الزمانُ من عُقَدِى

اِحْوَلّ عنّى وكان ينظر من * عَيْنى ويَرْمى بساعدِى ويَدِى ١٠

وكان لى مُؤنسا وكنتُ له * ليست بنا وَحْشةٌ الى أحدِ

حتى إذا استرفَدَتْ يدى يَدَه * كنتُ كمسترفِدٍ يَدَ الأَسَدِ

وقال بعض الأعراب :

إخوانُ هذا الزمان كُلُّهمُ * إخوانُ غَدْرٍ عليه قد جُبِلوا

طَوَوْا ثيابَ الوفاء بينهمُ * وصار ثوبُ الرِّياء يُبْتَذَلُ[5] ١٥

أخوهم المستحِقُّ وَصْلَهمُ * مَن شربوا عنده ومَن أكلوا

وليس فيما علِمْتُ بينهمُ * وبين مَن كان مُعْدِما عَمَلُ

---

(١) ذكر اللسان فى مادّة «نثر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حباب .

(٢) كذا فى اللسان ، والمأثور : الذى يؤثر عنه شرّ ، تهمة ، وفى الأصل : «مأمون» وهو تحريف ؛ وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه فى عيبه .

(٣) كذا ورد هذا الشطر فى اللسان . وفى الأصل ورد هكذا : * ولاحى ، لبغضاء والنظر الشزر *

(٤) دانت : قاربت .

(٥) يبتذل : يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتهن ولا يصان .

٢٠

قال رجل لآخر : بلغنى عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنّ صُحْبة الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دِعْبِل :

أبا مُسْلم[1] كنّا حَليفَىْ مودّة * هوَانا وقَلْبانَا جميعا معًا معَا

أحوطُك بالوُدّ الذى لا تَحُوطُنى * وأرأبُ منك الشّعبَ أن يتصدّعَا

فلا تَلْحَيَنّى لم أجد فيك حِيلةً * تَخَرّقتَ حتى لم أجد فيك مَرْقَعَا

فهَبْك يمينى آستا كلتْ[2] فآحتسبتُها[3] * وجشّمتُ قلبى قطعها[4] فتخشّعا

وقال يزيد بن الحكَم الثّقفىّ :

تُكَاشِرُنى[5] كُرْها كأنك ناصحٌ * وعينُك تُبْدى أنّ قلبَك لى دَوِى[6]

لِسانُك مَاذِىٌّ[7] وقلبُـك عَلْقَمٌ * وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُنْطوِى[8]

عَدُوُّك يخشى صَوْلتى إن لَقِيتَه * وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوِى[9]

أراكَ إذا لم أهوَ أمرًا هَوِيتَه * ولستَ لما أهوَى من الأمر بالهوِى

---

(١) كذا بالأصل . وفى الأغانى (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا بالأصل ولم نجد هـذه الصيغة فى كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشىء طلب منه أن يأكله ، والمستأكلة : الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى و يعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا فى الشعر تأكّل بدءه ، والصيغة الدالة على هذا المعنى فى كتب اللغة هى ائتكل وتأكّل . (٣) فى الأغانى طبع بولاق ج ١٨ ص ٤٧ : «فقطعتها» . (٤) فى الأغانى : * وجشمت قلبى صبرة فتشجعا .

(٥) تكاشرنى : تضاحكنى من قولهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دوٍ : مضطغن .

(٧) الماذىّ : العسل الأبيض . (٨) كذا فى الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب ورواية البيت فيه :

لسانك ماذىّ وغيبك علقم * وشرّك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفى الأصل : «ملتوى» : روى هذا البيت فى حماسة البحترىّ :

تسودّ عـــدوّى ثم تزعم أنّنى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراكَ اجْتَوَيْتَ الخيرَ منّى واَجْتَوِى * أذاكَ فَكُلٌّ يجتَوِى قُرْبَ مُجْتَوِى (١)

وكم مَوطِنٍ لولاىَ (٢) طِحْتَ كما هَوَى * بأجرامِهِ من قُلَّةِ (٣) النِّيقِ مُنْهَوِى

ويقال : إيّاكَ ومَن مَوَدَّتُه على قَدْرِ حاجته فعند ذَهابِ الحاجة ذَهابُ المودّة .

وقال الحكيم : ثلاثة لا يُعرَفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا فى الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ٥

قال جرير :

فأنت أخى ما لم تكن لِىَ حاجةٌ (٤) * فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيا

تَعرَّضتُ فاسْتَمْرَرْتَ من دون حاجتى * فحالُكَ إنى مستمرٌّ لِحالِيا

وإنّى لَمَغْرورٌ أُعلَّلُ بالمُنَى * لياليَ أرجو أنّ مالكَ ماليا

بأىِّ نِجادٍ (٥) تحمِلُ السيفَ بعدما * نزعتَ سِنانا من قناتكَ ماضيا ١٠

ألا لا تخافا نَبْوَتِى فى مُلِمّةٍ * وخافا المنايا أن تَفُوتَكُما بِيا (٦)

---

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا فى أمالى القالى . وفى الأصل : «لولاك» .

(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت فى النقائض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فأنت أبى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت فإنى لا أباليا ١٥

وهو من قصيدة طويلة مذكورة فى النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حىّ رهبى ثم حىّ المطاليا * فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما ذكر فى كثير من كتب الأدب مثل الكامل للمبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعه :

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا ٢٠

(٥) النجاد : حمائل السيف ، وقد ورد هذا الشعر فى الأغانى (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض (ص ١٧٧) هكذا :

بأى نجاد تحمل السيف بعدما * قطعت القوى من محمل كان باقيا

بأىّ سنان تطعن القوم بعدما * نزعت سنانا من قناتك ماضيا

(٦) يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمّت بكما ملمة ما عشت وخافا ذلك منى اذا مت (راجع كتاب النقائض ص ١٧٨) . ٢٥

وقال أبو العَتَاهِيَة :

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا * حبِـك الدهرَ أخُـوهُ

فإذا آحتجتَ إليـه * ساعةً مَجَّـكَ فُـوهُ

وقال آخر :

٥ مَوَالينـا إذا آفتقَروا إلينـا * وإن أَثْرَوْا فليس لنا مَوَالِ

والعرب تقول فيمن شَرِكَك في النِّعْمة وخَذَلَك عند النائبة : يَرْبِضُ [1] حَجْرةً و يَرْتَع [2] وَسَطًـا .

قال المـدائني : لحن الحجاجُ يوما ، فقال الناس : لحن الأميرُ . فأخبره بعض مَن حضر، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمّ صاحب :

١٠ صُمٌّ إذا سَمِعـوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرتُ بسُوء عندهم أذِنُوا [3]

فَطَانَةٌ فَطِنوها لو تكونُ لهم * مروءةٌ أو تُقًى لله ما فَطِنُـوا

إن يسمعوا سَيِّئًا طاروا به فَرَحًا * منّي وما سمعوا من صالحٍ دفنُـو

باب القرابات والولد

حدّثني زَيْد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا إسحاق بن سَعيد القُرشي

١٥ من ولد سعيد بن العاص قال أخبرني أبي قال : كنتُ عند آبن عبّاس ، فأتاه رجل فَمَتَّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ ، فَلاَنَ له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اعرِفوا أنسابَكم تَصِلوا أرحامَكم فإنه لا قُرْبَ بالرَّحِم اذا قُطِعَتْ و إن كانت قريبةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ و إن كانت بعيدةً" .

---

(١) في الأصل : «تربص» بالتاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) ... .

٢٠ (٣) أذنوا : استمعوا .

حدثني شَبَابة قال حدثني القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عَيَّاش عن عبد الله ابن دينار قال : احذروا ثلاثا ، فإنهنّ معلّقات بالعرش : النعمةَ تقول يا ربّ كُفِرتُ ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ ، والرَّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ .

حدثني الزِّيادىّ قال حدثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبرارا لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء ، وكما أنّ لوالدك عليك حقّا ، فكذلك لولدك عليك حقٌّ .

حدثني أبو سفيان الغَنَوىّ عن عبدالله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد ابن أبي الوليد عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أَبرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه" .

حدثني القُومَسِىّ قال حدثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال حدثنا كَثِير بن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم وحَلِيفُ القومِ من أنفسهم(1)" .

وحدثني أيضا عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلال عن عبدالله بن دِينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ(2) من الرحمن قال لها مَنْ وصَلكِ وَصَلتُه ومَن قطعكِ قطعتُه" .

حدثني الزِّيادىّ قال حدثنا حَمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرِين قال قال عثمان : كان عمر يمنع أقرِباءه ابتغاءَ وجه الله ، وأنا أُعطي قَرَاباتي لوجه الله ، ولن يُرى مثلُ عمرَ .

(1) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (2) الشجنة : الشعبة من كل شيء ، يقال : بينهما شجنة رحم .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا ابراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد بن ثور عن معمر[١] عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرّهُ أن يُمَدّ له فى عُمْره ويُوَسّعَ له فى رزقه فلْيَصلْ رَحِمَه" .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعيم قال حدّثنا سفيان عن عبد الله ابن عيسى عن عبيد بن أبى الجَعْد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يزيد فى العُمرِ إلا البِرُّ ولا يرد القَدَر إلّا الدعاءُ وإنّ الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذّنب يعمله" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعىّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيد عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتَيْبة[٢] عن النَّخَعىّ عن ابن عمر قال : أتى رجل النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ والدى يأخذ منّى مالى وأنا كاره ؛ فقال : "أوَ مَا عَلمتَ أنكَ ومالَكَ لأبيك" .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : أخبرنى بعض [illegible] رجلا كان فى زمن عبد الملك بن مَرْوان ، وكان له أب كبير [illegible] بأبيه ، وكان يقال للشاب "مَنَازِلُ"[٣] فقال الشيخ[٤] :

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنى وبين مَنَازِلٍ * جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُهْ
تربَّتْ[٥] حتى صار جَعْدًا شَمَرْدَلًا * إذا قام ساوَى غارِبَ الفَحْل غاربُهْ

(١) هو معمر بن راشد ، وهو الذى يروى عنه محمد بن ثور كما فى التهذيب . (٢) [illegible] فى الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى وفى الأصل «عيينة» وهو تحريف . (٣) هو [illegible] ابن فرعان ذكره فى القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو [illegible] التميمى كما فى لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تربّت : تربّى . والجعد : [illegible] . والشمردل : الفتىّ القوىّ ، وقد اختلف اللسان (فى مادة جعد) عما هنا فى إيراد هذا البيت ، [illegible] معناه فى بيتين وهما :

وربّيته حتى إذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعدا عنطنطا * إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

تَظَلَّمني مالى كذا وَلَوى يَدِى * لَوَى يَدَه اللهُ الذى لا يغالبُه

وإنّى لَدَاعٍ دعوةً لو دَعَوْتُها * على جَبَلِ الرَّيّان لانقضّ جانبُه

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له الشيخ : أُخرج من خَلْف البيت، مسبق رُسُلَ الأمير، ثم ابْتُلِيَ الفتى بِابْنٍ عَقَّه فى آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَنِي مالى خَلِيجٌ وعَقَّنِي * على حينَ كانت كالحَنِيِّ عظامى

تَخَيَّرته وازددتُه لِيَزِيدَنى * وما بعضُ ما يزداد غير عُرامِ[(1)]

وقال يحيى بن سعيد مولى تَيْم كوفيٌّ لابنه[(2)] :

غَذَوْتُكَ مولودًا وعُلْتُكَ يافعًا * تُعَلُّ بما أَجْنِي[(3)] عليك وتَنْهَلُ

إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ * لشكواكَ إلّا ساهرًا أتَمَلْمَلُ

كأنّى أنا المطروقُ دونك بالذى * طُرِقْتَ به دونى وعَيْنِي تَهَمَّلُ

فلمّا بلغتَ الوقت فى العدّة التى[(4)] * إليها جَرَى ما أبتغيه وآمُلُ

جعلتَ جزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً * كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضّلُ

فليتَك إذ لم تَرْعَ حقّ أُبُوّتى * كما يفعل الجارُ المجاورُ تَفْعَلُ[(5)]

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله فى الصديق البارّ عِوَضا من الرّحِم المُدْبِرة .

---

(١) العرام : الشراسة والأذى، وفى الأصل : «عرام» بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٢) هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا)، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى، وقيل : لأبى العباس الأعمى . وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلا له : «أنت ومالك لأبيك» .

(٣) فى أشعار الحماسة «أُدنى إليك» .

(٤) رواية هذا البيت فى الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التى * إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(٥) فى الحماسة : «فعلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمرُ إلى أبى موسى : مُرْ ذوى القرابات أن يتزاوَرُوا ولا يتجاوروا .

وقال أَكْثَم بن صَيْفِىّ : تباعَدُوا فى الدّيار تقارَبُوا فى المودّة .

قيل لأعرابىّ : ما تقول فى ابن عمك ؟ قال : عدوّك وعدوّ عدوّك .

وقال قيسُ بن زُهير :

٥ شَفَيْتُ النفسَ من حَمَل بن بَدْرٍ * وسَيْفِى من حُذَيفة قد شفانِى

قتلتُ بإخْوَتِى ساداتِ قومى * وقد كانوا لنا حَلْىَ الزمانِ

فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَلِيلِى * فلم أقطعْ بهم إلّا بَنَانِى

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القتلَى يوم الجَمَل : شَفَيتُ نفسى وجَدَعتُ أنفى . وفى مثل ذلك قول القائل(١) :

١٠ قَوْمِى هُمُ قَتَلوا أُمَيمَ أخى * فإذا رَمَيْتُ يُصيبنِى سَهْمِى

ولئن عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن قَرَعْتُ(٢) لأُوهِنَنْ عَظْمِى

قتل رجلٌ من العرب ابنَ أخيه(٣) فدُفعَ إلى أخيه لِيُقيدَه، فلمّا أهْوَى بالسيف أُرعِدتْ يداه، فألقى السيفَ من يده وعفا عنه وقال :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزِيَةً * إحدى يَدَىّ أصابتنى ولم تُرِدِ

١٥ كلاهما خَلَفٌ من فقْد صاحبه * هذا أخى حين أدعُوه وذا ولدِى

وقال بعضهم :

بكُرْهِ سَرَاتِنا يا آلَ عمرو * نُغاديكم بمُرْهَفَةِ النِّصالِ

فنبكى حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنّا لا نُبالى

وقال عدىّ بن زيد :

٢٠ وظلمُ ذَوِى القُرْبَى أشدُّ مَضاضةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

(١) هو الحارث بن وعلة الذهلى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة : «سطوت» .

(٣) فى الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره[١] :

سآخُذ منكم آل حَزْنٍ[٢] لحوشبٍ * وإن كان مولاىَ[٣] وكنتم بنى أبى

إذا كنتُ لا أرمى وتُرمَى عشيرتى[٤] * تُصِبْ جانحاتُ[٥] النَّبْلِ كَشْحِى ومَنْكِبِى

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكرى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم كحقّ الوالد على ولده" .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وإن لم يكن وادًّا : "أنفُكَ منكَ وإنْ دَنّ"[٦] . ومثله : "عِيصُك[٧] منك وإن كان أَشِبًا" .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذا كنتَ من سَعْدٍ وأُمُّكَ فيهمُ * غريبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُك من سعدِ

فإن ابنَ أختِ القوم مُصْغًى[٨] إناؤه * إذا لم يُزاحِم خالَه بأبٍ جَلْدِ

وقال أمية بن أبى عائذ لإياس بن سَهْم :

أبلغ إياسًا أنّ عِرضَ ابنِ أختكم * رِداؤك فاصْطَنْ[٩] حُسْنَه أو تَبَدَّلِ

---

(١) ذكر هذان البيتان فى الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمر . (٢) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «آل حرم» . وفيه بدل «لحوشب» «بحوشب» . (٣) فى ديوان الحماسة : «وإن كان لى مولى» . وقد أشار شارحه الى رواية الأصل وقال . إنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح فى غير الخرم . قال شارح الحماسة : «وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «ويروى ولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأول أشبه بطريقة الشعراء ؛ ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاى وبنى أبى» . (٤) فى الحماسة : «كاشحى» وقيل أراد بالكاشحة مولاه .

(٥) فى الحماسة . «جانحات» بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح اليه اذا مال . وأشار شارح الحماسة الى الرواية التى وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجتاحه . (٦) دنّ : سال مخاطه وفى مجمع الأمثال : «وإن كان أدنّ» . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناء فلان اذا أماله ونقصه حقه . (٩) اصطن . صن واحفظ ، أمر من اصطان ، وهو الافتعال من صان . وتبذل : امتهن .

فإنْ تكُ[1] دا طَوْلٍ فإنّى آبنُ أختكم * وكلّ آبنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعتلى[2]

فكن أسـدًا أو ثعلبـًا أو شبيهَه * فمهما تكن أُنْسَبْ إليـك[3] وأُشْكَلِ

وما ثعلبُ إلا آبنُ أختِ ثعالبٍ * وإن آبن أختِ اللّيث رِئبالُ أَشْبُلِ

وكتب بِشْر بن المُغيرة بن أبى صُفْرة إلى عمّه بهذه الأبيات :

٥ جفانى الأميرُ والمغيرةُ قد جفا * وأمسى يزيدُ لى قد آزْوَرَّ جانبُهْ

وكلُّهمُ قــد نال شِبْعًا لبطنه * وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ

فيـا عمِّ مَهْلا وآتّخِـذنى لـنوبةٍ * تنوب ، فإن الدّهر جَمٌّ عجائبُـهْ

أنا السيف إلا أن للسيف نَبْوةً * ومثلِى لا تنبُـو عليك مَضـارِبُهْ

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به

١٠ يَعيبه ويَشتُمه ، وفى المجلس رجل يَشْنَؤه فشرَع معه فى القول ، فقال له : مهلا ! إنّى لآكُلُ لحمى ولا أدَعُه لآكِل .

ويقال : القرابةُ محتاجة الى المودّة ، والمودّةُ أقرب الأنساب . والبيت المشهور فى هذا :

فإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعًا * وإذا المودّة أقربُ الأنساب

وقيل لبُزُرْجِمْهر : أخوك أحبّ إليك أم صديقُك؟ فقال : إنما أحبّ أخى اذا

١٥ كان صديقا .

وقال خِداشُ بن زُهَيْر :

رأيتُ آبنَ عمّى باديًا لِىَ ضِغْنُـه * وواغِرُه فى الصدر ليس بذاهبِ

وأنشدنا الرِّياشىّ :

حيـاةُ أبى السيّارِ خــيرٌ لقومه * لمن كان قد ساس الأمورَ وجرّبا

٢٠ ونَعتِبُ أحيانا عليـــه ولو مضى * لكنّا على الباقى من النـاس أعتَبا

(١) كذا فى كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذى يتفق مع السياق بعده ؛ وفى الأصل : «فإن أك»...

(٢) فى كتاب أشعار الهذليين : «معتلى» بالعين المهملة ؛ واعتلى : ارتفع . (٣) كذا فى أشعار الهذليين . وفى الأصل : «اليه» .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لامرئ كعشيرِهِ (١) * ولم أر ذُلًّا مثل نأْيٍ عن الأهلِ

ولم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أر مثلَ المالِ أدفعَ للرذْلِ

ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * إذا عاش وسْطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلٌ صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا اليه فزوّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا آبنته أَدَمًا (٢)؛ فقال :

أنكحها فقدُها الأراقِمَ (٣) في * جَنْبٍ وكان الحِباء من أَدَمِ

لو بأبانَيْنِ (٤) جاء يخطُبُها * رُمِّلَ (٥) ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقال الأعشى :

ومن يغتربْ عن قومه لا يزلْ يرى * مَصارِعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبا

وتُدفَنُ منه الصالحات وإن يُسِئْ * يكن ما أساء النارَ في رأس كَبْكَبَا (٦)

وربَّ بقيعٍ لو هتفتُ بجَوِّهِ * أتاني كريمٌ يُنغِضُ (٧) الرأسَ مُغضَبَا

وقال رجل من غطفان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدّ صحابةٍ * على دَخَنٍ (٨) أكثرتَ بثَّ المعاتبِ

---

(١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم ، والأديم : الجلد ما كان ، وقيل : الأحمر، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حيّ من تغلب وهي قبيلته . (٤) أبانين : تثنية أبان ، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل : خضب بالدم . وفي الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضرّج » .
(٦) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينغض الرأس : يحركه كالمستفهم عما يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخنت النار اذا ألقي عليها حطب رطب وكثر دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا الى سواد .

وإنّى لأستبقى آمرأ السُّوء عُدّةً ... لعَدْوة عِرِّيضٍ[1] من الناس عائب
أخافُ كلابَ الأبعَدِين ونَبْحَها ... إذا لم تُجاوِبها كلابُ الأقارِب

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبى بَكْرة : ما تقول فى موت الوالد؟ قال: مِلْك حادث؛ قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرْس جـديد ، قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصّ الجَناح، قال : فموتُ الولد ؟ قال : صَدْعٌ فى الفؤاد لا يُجبر .

وكان يقال : العُقوقُ ثُكْل من لم يَثْكَل .

شكا عثمان عليًّا الى العباس رضى الله عنهم؛ فقال : أنا منه كأبى العاقّ ، إن عاش عقّه وإن مات فَجَعَه .

وقال رجل لأبيه : يا أبتِ ، إن عظيم حَقّك علىّ لا يُذْهِب صغيرَ حقّى عليك ، والذى تَمُتّ به الىّ أمتّ بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء .

وقال زيد بن على بن الحسين لابنه يحيى : إن الله لم يرضَك لى فأوصاك بى ، ورَضِينى لك فلم يُوصِنى بك .

غضب معاوية على يزيدَ ابنـه فهجره ؛ فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين ، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، فإن غضبوا فأرضِهم ، وإن سألوا فأعطِهم ، ولا تكن عليهم قُفلا فيَمَلّوا حياتك ويتمنَّوا موتَك .

قيل لأعرابىّ : كيف ابنُك ؟ — وكان عاقًّا — فقال : عذابٌ رَعِفَ[2] به الدهر ، فليتنى قد أودعتُه القبر ، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر ، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أىّ ولدك أحبّ اليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكبَر ، ومريضُهم حتى يبرأ ، وغائبُهم حتى يَقدَم .

---

(١) العرّيض : الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) رعف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمرُ بن الخطاب رجلا شيئا، فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

ووُلِد للحسن غلام، فقال له بعضُ جلسائه : بارك الله لك فى هِبَتِه، وزادك من أحسنِ نعمتِه ، فقال الحسن : الحمد لله على كلّ حسنة ، ونسألُ اللهَ الزيادةَ فى كل نعمة . ولا مرحبًا بمن إن كنتُ عائلا أنصبنى، و إن كنت غنيا أذهلنى، لا أرضى بسعيى له سعيا، ولا بكدّى له فى الحياة كدّا، حتى أُشفِق له من الفاقة بعد وفاتى، وأنا فى حالٍ لا يصل الىّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعىّ : عاتب أعرابىٌّ ابنَه فى شرب النبيذ، فلم يُعتِبْ[1] وقال :

أمِن شَرْبةٍ من ماء كَرْمٍ شربتُها ... غضبتَ علىّ ! الآن طاب لىَ الخمرُ
سأشربُ، فاغضَبْ لا رَضيتَ، كلاهما ... إلىّ لذيذٌ : أن أعُقَّك والسُّكْرُ

وقال الطِّرِمّاح لابنه صَمْصامَه :

أصمصامُ إن تشفع لأمّك تلقَها ... لها شافعٌ فى الصدرِ لم يتبرّجِ
هل الحبُّ إلّا أنّها لو تعرّضتْ ... لذبحك يا صمصامُ قلت لها اذبحى
أحاذِر يا صمصامُ إن متُّ أن يلى ... تُراثِى وإيّاك امرؤٌ غيرُ مُصْلِحِ
إذا صكّ وسْطَ القومِ رأسَك صَكّةً ... يقول له الناهى مَلَكْتَ فأسْجِحِ[2]

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُحبُّ بُنَيّتِى ووددتُ أنى ... دَفَنْتُ بُنَيّتِى فى قَعْرِ لَحْدِ
وما بى أن تهونَ علىَّ لكن ... مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدى

(١) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذى غضب عليه من أجله . (٢) أسجح : اعف واصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُميَّةُ لم أجزَعْ من العَـدَمِ * ولم أجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ
وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى * ذُلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحِمِ
أُحاذِر الفقرَ يوما أن يُلِمّ بهـا * فيهتِكَ السِّترَ من لحمٍ على وَضَمِ
٥ تهوَى حياتى وأهوَى موتَها شَفَقًا * والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُـرَمِ

وقال أعرابىّ فى ٱبنته :

يا شِقّةَ النفسِ إن النفس والهـةٌ * حَرَّى عليـكِ ودمعُ العين مُنسجِمُ
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقدِّمنى * الى الحِمام فيُبدى وجهَها العَـدَمُ
فالآنَ نِمتُ فـلا هَمٌّ يؤرِّقُنى * تَهْـدا العيونُ اذا ما أودتِ الحُرَمُ

١٠ وقال أعشى سُلَيْم :

نفسِى فِداؤكَ من وافِدٍ * إذا ما البيوتُ لبِسن الجليدا
كفيتَ الذى كنتُ أرْجى له * فصرتَ أبًا لى وصرتُ الوليدا

وقال أعشى هَمْدان فى خالد [بن عَتّاب] بن وَرْقاء :

فإن يكُ عَتّابٌ مضَى لسبيله * فما مات من يَبْقى له مثلُ خالدِ

١٥ وفى الحديث المرفوع : "رِيحُ الولد من رِيح الجنّة" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد ٱبنَىْ بنته : "إنكم لتُجبِّنون وإنكم لتُبخِّلون وإنكم لمِنْ رَيحانِ الله".

وقالت أعرابية :

يا حبّـــذا رِيحُ الولَدْ * رِيحُ الخُزَامَى بالبَـلَدْ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزَامَى .

٢٠ وكان يقال : ابنُك رَيحانُك سَبْعا، وخادمك سبعا، ثم عدوٌّ أو صديق .

من أعرابيٌّ يَنشُدُ ابنا له بقوم، فقالوا : صِفه؛ فقال: دُنَينِيرٌ، قالوا : لم نَرَه؛ فلم يَلبثِ القومُ أن جاء على عُنُقه بجُعَلٍ؛ فقالوا : ما وجدتَ ابنَك يا أعرابيّ؟ قال: نعم هو هذا؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك؛ ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا .

قال الشاعر في امرأة :

نِعمَ ضَجيعُ الفتى اذا بَرد الـ * ـليلُ سُحَيراً وقرقَفَ[1] الصَّرِدُ

زيّنها الله في العيون كما * زُيِّن في عين والدٍ ولــدُ

وفي الحديث : "من كان له صبيٌّ فليَستَصبِ له" .

وقال الزبير وهو يرقّص ابناً له :

أبيضُ من آل أبي عَتيقِ * مباركٌ من ولد الصِّدِّيقِ

* ألَذُّه كما ألَذُّ رِيقي *

وقال أعرابيّ :

لولا بُنَيّاتٌ[2] كزُغْبِ القَطا * حُطِطْنَ من بعضٍ الى بعضِ

لكان لي مُضطَرَبٌ واسعٌ * في الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ

وإنما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تمشي على الأرضِ

لو هبّتِ الريحُ على بعضهم * لامتنعتْ عيني من الغَمْضِ

أنزلني الدهرُ على حكمه * من مَرْقَبٍ عالٍ الى خَفْضِ

وابتزّني الدهرُ ثيابَ الغِنَى * فليس لي مالٌ سوى عِرْضي

قال بعض النسّابين : إنما قيل : سَعْدُ العشيرة، لأنه كان يركب في عشرة من ولده، فكأنهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوىّ على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات في الأمالي ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضا في الحماسة بشرح التبريزي طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف في الرواية وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات ، ونسبت الى حطّان بن المعلى .

وقال ضِرار بن عمرو الضَّبّىّ، وقد رُئى له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا: من سَرّه بنوه ساءَتْه نفسُه.

قال بِشْرُ بن أبى خازم:

اذا ما عُلُوا قالوا أبونا وأمّنا * وليس لهم عالِينَ[1] أمٌّ ولا أبُ

وقال آخر:

أنا ابنُ عمِّك بن ابنك شبهٌ * وليس منك اذا ما كَعْبُك اعتدلا

وأنشدنا الرِّياشىّ:

الرَّحِمَ بُلُّهـا بخـير البُـلّانْ[2] * فإنّ فيهـا للدّيارِ العُمْرانْ

وآمر المال و بنت الصّفرانْ[3] * وإنما اشتُقّت من اسم الرحمنْ

وقال المَعْلُوطُ:

ومَنْ يلقَ ما ألقَ وإنْ كان سيّدا * ويخشَ الذى أخشَى يسِرْ سيرَ هارِب

مخـافةَ سـلطانٍ علىّ أظنُّـــه * ورَهْطِى، وما عاداك مثلُ الأقارب

دخل عثمان بن عفّان على ابنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فقال: يا بُنيّة: مالى أراكِ مهزولةً؟ لعلّ بَعْلكِ يُغيرك[4]، فقالت: لا، ما يُغيرنى، فقال لزوجها: لعلّك تُغيرها! قال: فأفعل، فلَغلامٌ يزيده الله فى بنى أميّة أحبُّ الىّ منها.

---

(١) عالين: حال من الضمير فى «هم». (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا وبلالا: وصلها ونداها. والبلّان: قال ابن سيده: «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالعمران والرجحان وأن يكون جمع بلّ». (٣) كذا بالأصل ولم نوفق اليه فى مصدر آخر، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأوّل وعجز البيت الثانى. (٤) أغار الرجل امرأته: تزوّج من أخرى فأحدث عندها الغيرة.

قال النعمانُ بن بَشير :

وإنى لأُعطى المالَ مَنْ ليس سائلا * وأُدْرِكُ للمولى المعانِدِ بالظلم

وإنى متى ما يَلْقَنى صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرْمِ

فلا تَعْدُدِ المولى شريكَك فى الغِنى * ولكنما المولى شريكُك فى العُدْمِ

إذا مَتَّ ذو القُرْبى اليك بِرَحْمِه * وغَشَّك وآستغنى فليس بذى رِحْمِ ٥

ولكنّ ذا القربى الذى يستخفّه * أذاك ومَنْ يرمى العدوَّ الذى ترمى

وقال بعضُ الشعراء :

لقد زاد الحياةَ الىّ حبّا * بناتى أنهن من الضعافِ

مخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدى * وأن يشرَبْن رَنْقًا بعد صافِ

وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجوارِى * فتنبو العينُ عن كَرَمٍ(١) عِجافِ ١٠

قيل لعلىّ بن الحسين : أنت من أبرّ الناس ولا نراك تؤاكل أمّك ؛ قال : أخاف أن تَسيرَ يدى الى ما قد سبقتْ عينُها اليه فأكونَ قد عققتُها .

قيل لعمرَ بن ذَرّ : كيف كان بِرّ آبنك بك؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سطحًا وأنا تحته .

حدثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عَطاء بن السائب عن ١٥ عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركتَ أباكَ مُرْعشةً يداه * وأمّك ما تُسيغ لها شرابا

اذا غنّتْ حمامةُ بطنِ وَجٍّ * على بَيْضاتها ذكرتْ كِلابا

فقال عمر : مَن ذاك؟ قال : هاجر الى الشأم وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر وكتب الى يزيدَ بن أبى سفيان فى أن يُرَحِّله ، فقدِم عليه ، فقال : بَرّ أبويك وكن معهما ٢٠

(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعـة كلاب بالبصرة اليه تنسب، والعوام تقول مُرَبّعة الكلاب .

قال أبو علىّ الضرير :

أتيتُك جَذْلانَ مستبشرًا * لبُشراك لما أتانى الخبرْ

أتانى البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ * غلاما فأبهجنى ما ذَكَرْ

وأنك، والرشـدُ فيما فعلـ * ـتَ، أسميته باسم خير البشرْ

وطهَّـرتَه يوم أسبوعه * ومن قبلُ فى الذِّكْرِ ما قد طُهِّرْ[1]

فعمّـرك الله حتى ترا * ه قد قارَب الخَطْوَ منه الكِبَرْ

وحتى ترى حولَه من بَنِيه * وإخوتِه وبنيهم زُمَرْ

وحتى يروم الأمورَ الجسامَ * ويُرْجَى لنفع ويُخْشَى لضُرّْ

وأوزعك[2] اللهُ شكرَ العطاء * فإن المزيد لعبدٍ شَكَرْ

وصلَّى على السَّلَفِ الصالحيـ * ـن منكم وبارك فيمن غَبَرْ[3]

وهذا قد وقع فى باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدًا أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخّن وهما فى السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه الى قُمْقُم[4] كان يُسَخَّن فيه الماءُ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائما وهو فى يده حتى أصبح .

---

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنأ من آل البيت، فأشار بطهارته فى الذكر الى قول الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : ألهمك، وفى الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بقى، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .

(٤) قمقم : إناء من نحاس .

وقّص أعرابيٌّ ابنه وقال :

أُحِبّه حبَّ الشَّحيحِ مالَهْ * قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَهْ

* إذا يُريد بَذْلَه بدا لَهْ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هـذه تُفّاحة القلب ؛ فقال : انبِذها عنك؛ قال : ولم ؟ قال : لأنهنّ يَلِدْنَ الأعداء، ويُقرّبْنَ البُعَداء، ويُورِثْنَ الضغائن؛ فقال : لا تَقُلْ ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهُن ، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنو أُخته؛ فقال له عمرو : ما أعلمُك إلا حَبّبتَهن الىّ .

الاعتـــــذار

كان يقال : الاعتراف يَهْدِم الاقتراف .

كتب بعض الكُتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حقّـك علىّ بمتقـدّم المودّة ومؤكّد الحُرْمة الى ما جدّده الله لك بالسلطان والوِلاية ، لم أرْضَ فى قضائه بالكتاب دون تَجَشُّم الرِّحلة ومُعاناة السفر اليك ، لا سيما مع قُرْب الدار منك ؛ غير أن الشغل بما ألفيتُ عليه أموري من الانتشار وعلائق الخراج وغير ذلك ممـا لا خِيار معه ، أحلّنى فى الظاهر محلَّ المُقصّرين ؛ وإن وهب الله فُرْجةً من الشـغل وسهّل سبيلا اليك ، لم أتخلّف عمّا لى فيه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمّن بالنظر اليك ، غاديا ورائحا عليك ، إن شاء الله تعالى .

كتب ابن الجهم[1] الى نجاح من الحبس :

إن تَعْفُ عن عبدك المسيءِ ففى * فضـلِك مأوًى للصَّـفح والمِنَنِ

أتيتُ ما أسْـتحقّ من خطأ * فَعُـدْ لمـا تستحقّ من حَسَنِ

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ * لا سيّما عن غير ذى ناصرِ
إن كان لى ذنبٌ، ولا ذنبَ لى، * فماله غيرَك من غافرِ
أعوذ بالودّ الذى بيننا * أن يُفسِد الأوّلُ بالآخرِ

٥ كتب رجلٌ الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقّع فى ظهر كتابه : أحتجّ عليك بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النيّة .

قال بعض الشعراء :

وتعـذِر نفسَك إمّا أساتَ * وغيرَك بالعُـذرِ لا تعـذِر
وتُبصِر فى العين منه القذى (١) * وفى عينك الجِذع لا تُبصِر

١٠ وقال بعض الشعراء :

ياذا المُمَيِّزُ للإخـاءِ ولِلإِ * خوانِ فى التفضيل والقَدْرِ
لا يَقبِضنَّك عن معاشرتى * بالأُنس أن قصّرتَ فى برّى
إنى اذا ضاق آمرؤٌ بجدًا (٢) * عنّى آستعنتُ عليه بالعذرِ

وفى الحديث المرفوع : " من لم يَقبَل من معتذرٍ صادقًا كان أو كاذبا لم يَرِدْ

١٥ علىّ الحوض" . وفيه : "أقيلوا ذوِى الهَنَاتِ عَثَراتِهم" .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشبه بآستئنافِ ذنبٍ من عُذرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوبِ عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفو خائبا .

٢٠ (١) فى الأصل : «وتبصر فى التبر منك القذى» . وفى الحديث : «يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه» . والجِذْل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل . (٢) الجدا (وزان فتى) : العطية .

وقال مُطرِّف : المَعاذِرُ[1] مَكاذِبُ .

اعتذر رجل الى إبراهيم[2] فقال له : قد عذرتُك غير معتذِر، إن المعاذير يشوبُها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذنبا .

وقال الشاعر : ٥

لا ترجُ رجعةَ مذنبٍ * خلَط احتجاجًا باعتذارِ

اعتذر رجل الى سَلْم[3] بن قتيبة، فقبل منه وقال : لايدعونّك أمر تخلّصتَ منه الى أمر لعلك لا تخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تعذِرانى فى الإساءة إنه * شِرارُ الرجال مَنْ يُسيء فيَعْتَذِرْ ١٠

وقال ابن الطَّثَرِيّة :

هَبِينِى امرأً إما بريئًا ظلمتِه * وإما مُسيئًا تاب بعدُ وأعْتَبَا

وكنتُ كذى داءٍ تَبَغّى لدائه * طبيبا فلمّا لم يجِدْه تَطَبَّبا

كتب بعض الكتّاب معتذرا : توهّمت، أعزك الله، نَفرتَك عند نظرتك الى عنوان كتابى هذا باسمى، لما تضمّنَتْه من السَّخيمة علىّ ، فأخليتُه منه؛ وانتظرت ١٥ باستعطافك من طويّتك فىّ عاقبةَ امتدادِ العهد، وأمِنتُ اضطغانَك لنفى الدّين الحقد، واختصرتُ من الاحتجاج المنتسِب الى الإصرار، والاعتذارِ المتعاوَدِ بين النُّظَراء، والإقرار المثبِّت للأقدام، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتَنى رِضاك اتّسعتُ بعفوك، وإن أعدَمتنيهما توغّر صدرك لم تَضِق من الرِّقة علىّ من مُصيبة

(١) هو مطرف بن الشخير. والمعاذر: جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب: جمع الكذب كالمحاسن والمقابح، وهو كقولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعىّ . ٢٠

(٣) فى الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرْمان ، وإن قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ من أياديك عندى نازعةٌ بك الى آستتمامها لدىّ . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُوءِ من خُوّلوا بالإحسان . ولا نعمةَ على مُجْرِم اليــه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبةَ لمجرِمٍ أبلغُ من النــدم ؛ وقد ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبّ بِشْرًا[1] إن تغمدت زلّتى ، وكما تُحب ضرًّا إن تركتَ إقالتى ، وبخيرٍ فى كلتا الحالتين ما بقِيتَ .

وكتبتُ فى كتاب آعتذار وآستعطاف : كم عسى أن يكون آنتظارى لعطفك ! وكم عسى أن يكون تمـادِيك فى عَتْبك ؛ لولا أنى مضطرٌّ الى وصلك وأنت مطبوع على هجرى . لقد آستحييتُ وآستحييتَ من ذُلّى وعِزّك ، وخَفْضى جَنـاحى ونأْيِى بجانبـــك .

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعمك مابَسّطنى فى القول مُدِلًّا به عليك ، ووكّد من حُرْمتى بك ماشفّع لى فى الذنوب اليك ، وأعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف معــه نَبَوات الزمان علىّ فيك ، وأمّنتنى بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك ؛ فاقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عثَرتُ ، وبتقويمك إن زُغتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَللتُ .

وفى كتاب آعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك ؛ فإن تجمعْ علىّ العلّةَ وعتبَك أُفْدَحْ[2] . على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى ؛ وحضرنى هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولى :

لك الحـقُّ إن تَعتِبْ علىّ لأننى * جَفوتُ وإمّا تَغتفِرْ فلك الفضلُ

أنهيتُ عذرى لأنتهىَ الى تَفضُّــلك بقبوله وإن أُبلّك[3] يمْحُ إفراطى فى البرّ بك تفريطى فيه ، والى ذلك ماأسألك تعريفى خبرَك لأُراحَ اليه ، وأستزيدُ اللهَ فى أسره لك .

---

(١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أفدح : أبهظ وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا بجهد ما وصلت اليه الطاقة ؛ على أنا لم نعثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر .

وفى فصل آخر :

اما المُقِرّ بقصورى عن حقّك، وآستحقاق جفاءَك، و بفضلك من عَذلك أعوذ، فوالله لئن تأخر كتابى عنك، ما أستزيد نفسى فى شكر مودّتك، واطيف عنايتك. وكيف يَسْلاكَ أو يسساك أخٌ مُغْرَمٌ بك يراك زِينةَ مَشْهده ومَغيبه ! .

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ * عنـدى ولا بالذى أوليتَ من نِعَمِ

وفى آخر الكتاب :

إذا آعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصـير عذرَ أخٍ مُقِرِّ
فصُنْه عن عتابك وآعفُ عنه * فإن الصـفح شيمةُ كلِّ حُرِّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعـلم ما أقول عذرتَنى * أو كنتُ أجهلُ[1] ما تقول عَذَلتُكا
لكن جَهِلتَ مقالتى فعـذلتَنى * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعـذرتُكا

قيـل لبُزُرْجِمِهر : ما بالُكم لا تُعاتبون الجَهَلَةَ ، قال : لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

وقال آبن الدُّمَيْنة :

بنفسى وأهـلى مَنْ اذا عرَضُوا له * ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ
ولم يعتـذِرْ عذرَ البرىء ولم تزل * به ضَعْفَةٌ[2] حتى يقـالَ مُرِيبُ

وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جِهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلّا بالاعتراف بالزَّلّة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عدلتكا » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حماسة أبى تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت فى كتاب: لستُ أدرى بأىّ شىء آستجزتَ تصديقَ ظنك حتى أنفذتَ علىّ به حكمَ قَطيعتك، فوالله ماصَدَق علىّ ولا كاد، ولا آستجزتُ ما توهّمته فيمن لا يلزمنى حقُّه. وأُعيذك بالله من بِدارٍ الى حكم يُوجب الاعتذار، فإن الأناة سبيلُ أهـلِ التقى والنُّهى، والظنّ والإسراعُ الى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاءَ، ويُميلان عن الوَفاءِ الى اللَّفاء[1].

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل فى آخر يوم من شعبانَ: والله فإنّى فى غُبّر[2] يومٍ عظيم، وتلقاءَ ليلةٍ تَفترّ عن أيامٍ عظامٍ، ماكان ما بلغك.

وقرأتُ فى كتاب معتـذرٍ: إنك تُحسِن مجاورتَك للنعمة، وآستدامتَك لها، واجتلابَك مابَعُد منها بشكر ماقرُب، واستعمالَك الصفحَ لِما فى عاقبته من جميل عادة الله عندك، ستقبلُ العذر على معرفةٍ منك بشناعة الذنب، وتُقيل العثرةَ وإن لم تكن على يقينٍ من صدق النيّة، وتدفع السيئةَ بالتى هى أحسن.

اعتـذر رجلٌ الى جعفر بن يحيى البرمكى، فقال له جعفر: قد أغنـاك الله بالعذر منّا عن الاعتذار، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك.

وقال بعض الشعراء:

إذا ما آمرؤٌ من ذنبه جاء تائبًا * إليك فلم تَغفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للمنصور على المدينة، فهجاه وَرْدُ بن عاصم المُبَرسَم فقال:

له حقٌّ وليس عليـه حقٌّ * ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ
وقد كان الرسول يَرى حقوقا * عليـه لأهلها وهو الرسولُ

(١) اللفاء: اليسير الحقير، يقال: رضى فلان من الوفاء باللفاء، أى رضى من حقه الوافى بالقليل.

(٢) غبر يوم: بواقيه، جمع غابر.

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثلٌ بين يديه يقول :

سيأتي عُذرِيَ الحسنَ بن زيدٍ * وتَشهَدُ لى بِصِفِّينَ القبورُ

قبورٌ لو بأحمدَ أو علىٍّ * يلوذ مُجيرها حُفِظ المُجيرُ

هما أبَوَاكَ مَنْ وَضَعا تَضَعْه * وأنتَ برفع مارفعا جديرُ

فاستخفّ الحسنَ كرمُه، فقام اليه فبسط له رداءَه وأجلسه عليه . ٥

وفى كتابٍ لمعتذرٍ : عُلوّ الرُّتبة وآتِّساعُ القدرة وآنبساطُ اليد بالسَّطْوة ، ربما أنْسَتْ ذا الحَنَق المُحْفَظَ من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفح ومافى إقالة المذنب وآستبقائه من حسن السماع وجَميـل الأُحدوثة ، فبعثته على شِفاء غَيْظه، وحرَّكته على تبريد غُلّته، وأسرعتْ به الى مُجانبة طِباعه و ركوبِ ما ليس من عادته . وهِمّتك تَجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفر . ١٠

وفى فصل : نَبَتْ بى عنك غِرّة الحَداثة فردّتْنى اليك الحُنْكَة، و باعدتْنى عنك الثقةُ بالأيام فأدنتْنى اليك الضرورةُ، ثقةً بإسراعك الىّ وإن كنتُ أبطأتُ منك، وقبولِك العذرَ وإن كانت ذنوبى قد سدّت عليك مسالكَ الصَّفح؛ فأىُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لك! وأىُّ خُطّةٍ هى أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها فى رِضاك ! . ١٥

أوقع الحجاج يوما بخالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه[(١)] وعنده عمرو بن عُتْبة : فقال عمرو : إن خالدا أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده بقديم غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبق اليه؛ فقال الحجاج معتذرا : يابن عُتْبة، إنا لنَسترضيكم بأنْ نَغضَبَ عليكم، ونستعطفكم

(١) الذى فى كتب اللغة : «وقع فيه : أعابه» .

بأن نال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا ، فتعرّضنا للذى تحبّون .

قال المنصور لرجل أتاه تائبا معتــذرًا من ذنب : عهدى بك خطيبا فمـا هذا السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين، لسنا وفدَ مُباهاة وإنما نحن وفد توبةٍ، والتوبةُ ٥ تُتَلقّى بالاستكانة .

وقع بين أبى مسـلم وبين قائد له كلام ، فأرْبَى عليـه القائد الى أن قال له : يا لَقيط ! فأطرق أبو مسلم، فلما سكتتْ عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما آنسطتُ حتى بسطتَنى ولا نطقتُ حتى أنطقتَنى فاغفر لى، قال : قد فعلتُ، فقال : إنى أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسى، فقال أبو مسلم: ١٠ سبحان الله ! كنتَ تُسِيء وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسيء ! .

قال الطائى :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نكثتْ به * أمانيه وآستخذَى بحقك باطلُهْ
هفا طَ له الإقرارُ بالذنب روحَه * وجثمانَه اذ لم تحُطْـــه قبائلُهْ

وقال آخر :

١٥ حتى متى لا تَزال معتــذرًا * من زلّة منـك ما تُجانِبُهـا
لا تتّـقى عيبَهـا عليــكَ ولا * ينهاك عن مثلِها عواقِبُها
لَتَركُكَ الذنبَ لا تقارِفــه * أيســرُ من توبةٍ تقارِبُها

قال أعرابىٌّ لآبن عمٍّ له : سأتخطّى ذنبَك الى عذرِك، وإن كنتُ من أحدهما على يقينٍ ومن الآخرِ على شـك ؛ ليتمَّ المعروفُ منّى اليك ، ولتقوم الحجّـةُ منّى ٢٠ عليــك .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثني الزِّياديّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مُعاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم مسلما فوقَ ثلاثٍ، وأيّهما فعل فإنهما نا كِبان عن الحقّ ما داما على صُرْمهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة". ٥

قال بعض الشعراء:

سَنّ الضغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا * فلن تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه: العداوةُ تُتوارثُ.

وقرأتُ في كتاب للهند: اذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوّا، واذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوما. ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسْخِطَه عليه طلَبُه رضاه. ١٠

قال بعض المحدَثين:

فلا تَلْهُ عن كسب وُدّ العدوّ * ولا تجعلنّ صديقًا عدوّا

ولا تَغْتَرِرْ بهُدُوّ امرئٍ * اذا هِيج فارق ذاك الهدوّا

وقال آخر: ١٥

احذَرْ مودّة ماذِقٍ[1] * شابَ المرارةَ بالحلاوه

يُحصِي العيوبَ عليك أيـ * ـامَ الصداقةِ والعداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤليّ:

اذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغْنِ أجحفت * به سَنةٌ حَلّتْ مصيبتُه حِقْدِي

(١) الماذق: الذي يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه. ٢٠

وقال محمد بن أبان اللّاحِق لأخيه إسماعيلَ :

تلومُ على القطيعة مَن أتاها * وأنت سَنَنْتَها فى الناس قَبْلِي

وقال آخر :

ورُوِّعتُ حتى ما أراعُ من النوى * وإن بان جيرانٌ علىّ كِرامُ

فقد جعلتْ نفسى على اليأس تنطوِى * وعَيْنى على هجرِ الصديق تنامُ

قال أحمدُ بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كنّا آفترقنا بسِنْدا(١) * دَ ولا بيننا عقَدْنا الإخاءَ

نطعنُ الناسَ بالمُثقّفة السُّمْـ * ـرِ على غَدْرهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلا فى نفســه .

وكان يقال : احذَرْ مُعاداة الذليل، فربما شَرِق بالذّباب العزيزُ .

كتب رجل من الكتّاب الى صديقٍ له تجنّى عليه :

عَتَبْتَ علىّ ولا ذنبَ لِى * بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ

وحاذرتَ لَوْمى فبادرتَنى * الى اللومِ من قبل أن أبْدُرَكْ

فكنّا كما قيـــل فيما مضى * خُذِ اللّصَّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر :

رأيتُك لمـا نلتَ مالًا، ومَسّنا * زمانٌ ترى فى حدّ أنيـابه شَغْبا(٢)

جعلتَ لنا ذنبـا لتمنعَ نائــلا * فأمسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

(١) سداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهييج الشرّ، وفى الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدين أن أرضَى وأنتِ بخيـــلةٌ * ومَنْ ذا الذى يرضى الأخلاءَ بالبخلِ

وجَدِّكِ لا يَرْضَى[1] اذا كان عاتبا * خليـــلُك إلا بالمـــودّةِ والبَـــذْلِ

متى تجعِى مَنًّا كثيرًا ونائـــلًا * قليـــلا يُقَطّعْ ذاك باقيـــةَ الوصـــلِ

كتب رجل الى صديقٍ له :

لئن ساءنِى أن نِلتنى بَمسَاءةٍ * لقد سرّنى أنّى خطرتُ ببالكِ[2]

وقال آخر :

إذا رأيتُ آزورارا من أخى ثِقةٍ * ضاقتْ علىّ برُحْبِ الأرض أوطانى

فإن صددتُ بوجهى كى أُكافئه * فالعـــين غَضْبَى وقلبى غيرُ غضبان

وقال إبراهيمُ بن العباس :

وقـــد غضِبتُ فـــا بالَيْتُمُ غضبِى * حتى آنصرفتُ بقلبٍ ساخِطٍ راضِى

وقال زُهَيْر :

وما بِك فى عدوٍّ أو صديقٍ * تُخبِّرك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيْد :

وماتخفَى الضغينةُ حيث كانت * ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال آبن أبى حازم :

خُذْ من الدهر ما كَفى * ومن العيش ما صفا

لا تُلِحَنّ بالبـــكا * ء على مـــنزلٍ عفـــا

---

(١) فى الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة * ونشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

حَلَّ عنــك العتاب إن * خان ذو الـوُدّ أو هفـا
عينُ من لا يُحِبّ وصـ * ـلَك تُبدى لك الجفـا

وقال أعرابيّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلُون[1] جَنِينَ الضِّغْنِ بينهـم * والضِّغْنُ أَسْوَدُ أو فى وجهه كَلَفُ[2]
٥ إن كاتَمونا القِـلَى نمت عيونُهـم * والعينُ تُظْهِر ما فى القلبِ أو تَصِفُ

وقال ابنُ أبى أميّة :

كم فَرْحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ تخرصّتْها لِىَ فيــكَ الظنونْ
اذا قــلوبٌ أظهــرت غيرَما * تُضمره أنبتْــك عنها العيونْ

وقال آخر :

١٠ أما تُبْصِــر فى عيــنَىَّ عُنوانَــ الذى أبدى

وقال آخر :

ومولىً كأنّ الشمس بينى و بينه * اذا ما آلتقينا ليس ممّن أُعاتبُهْ

يقول : لا أقدِر [أن] أنظر اليه، فكأن الشمس بينى وبينه . ومثلُه :

اذا أبصَرْتَنِى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمس من قِبَـلِى تدورُ

١٥ وقال النَّمِر بن تَوْلَب فى الإعراض :

فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِناَعِها * بَدا حاجِبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواس فقال :

يا قمرا للنّصف من شَهْرِهِ * أبدى ضِياءً لثمانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه .

٢٠ (١) زمل الشىء : أخفاه . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

وقال آخر فى الضغينة :

وفينا وإن قيل اصطلحنا تَضَاغُنٌ * كما طَرّ أوبارُ الجرابِ على النَّشْرِ (١)

وقال آخر فى نحوه :

وقد ينبُتُ المرعَى على دِمَنِ الثّرَى * وتبقَى حَزَازاتُ النفوسِ كما هِيَا

وقال الأخطل :

إنّ الضغينةَ تلقاها وإن قَدُمتْ * كالعُرِّ (٢) يكمُنُ حينا ثم ينتشرُ

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاما اذا قَدَروا

وقرأتُ فى كتابٍ للهنـد : ليس بين عداوةِ الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما ينتكثُ، كالمـاء إن أُطيل إسخانُه فانه لا يمتنع من إطفاء النار اذا صُبّ عليها .

قال سعد بن أبى وقّاص لعمّار بن ياسر : إن كنا لنَعُدُّك من أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حتى اذا لم يبق من عمرك إلا ظِمْءُ (٣) الحمـار فعلتَ وفعلتَ؛ قال : أيُّما أحبُّ اليك : مودّةٌ على دَخَلٍ أو مُصارمةٌ جميلة ؟ قال : مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال : لله علىّ ألّا أُكلّمك أبدا .

وقال بعضُ الشعراء فى صديقٍ له تغيّر :

إِحْوَلَّ (٤) عنّى وكان ينظرُ من * عينى ويَرمى بساعدى ويَدى

---

(١) النشر : الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندىّ أخضر تدوى منه الابل (يكثر وبرها وشحمها) اذا رعته؛ كذا ذكره صاحب اللسان فى مادة (نشر)، وقد ساق هذا البيت فى أبيات لعمير بن حباب، وقال فى تفسيره : يقول : ظاهرنا فى الصلح حسن فى مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجرب عن أكل النشر وتحتها داء منه فى أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر فى هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرا ونشورا اذا حيى بعد ذهابه» اهـ . (٢) العرّ : الجرب . (٣) يقال : ما بقى منه إلا قدر ظمء الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير لأنه يقال : إنه ليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد المـاء كل يوم فى الصيف مرتين . (٤) احولت عينه بمعنى حولت، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقِّب العَبْدىّ :

ولا تَعِدى مواعِدَ كاذباتٍ * تمرّ بها رياحُ الصيفِ دونى

فإنى لو تُعاندنى شِمالى * عِنادَكِ ما وصلتُ بها يمينى

اذًا لقطعتُها ولقلتُ بِينى * كذلك أجتوِى مَنْ يجتوينى

٥ وقال الكُمَيْت :

ولكنّ صبرًا عن أخٍ عنكَ صابرٍ (١) * عَزاءً اذا ما النفس حَنّ طَروبُها

رأيتُ عِذابَ الماءِ إن حِيل دونها * كفاكَ لِما لابُدّ منه شَرُوبُها (٢)

وإن لم يكن إلا الأسِنّةَ مركبٌ * فلا رأىَ للمَجْهــــود (٣) إلا ركوبُها

وقرأت فى كتابٍ للهند : العدوّ اذا أحدث صداقة لعلّةٍ ألجأته اليها فمع ذهابِ

١٠ العلة رجوع العداوة، كالمــاء يسخن فاذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : اذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبِّلها .

قال الشاعر :

لقــــد زادنى حبًّا لنفسىَ أننِى * بغيضٌ الى كل امرئٍ غيرِ طائلِ

اذا ما رآنى قَطَّــعَ الطرفَ دونَه * ودُونىَ فعلَ العارفِ المتجاهل

١٥ ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ حابِلِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اِعتزِلْ عدوّك وٱحذرْ صديقَك إلا الأمينَ،

ولا أمينَ إلا من خشِىَ اللهَ .

الهيثم عن ٱبن عيّاش قال: أخبرنى رجل من الأَزْد قال: كنا مع أسد بن عبدالله

بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدّ نهرٌ فجاء بأمرٍ عظيم لا يوصفُ، وإذا رجل

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «لك» .

٢٠ (٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : « للمضطر » وهى الرواية المشهورة .

يضربه الموج وهو ينادى : الغريقَ الغريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من سابح ؟ فقلت : نعم، فقال : ويحك ! الحَقِ الرجلَ ! فوثبتُ عن فرسى وألقيتُ عنّى ثيابى ثم رميتُ بنفسى فى الماء، فما زلتُ أسبَحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن الرجلُ؟ قال : من بنى تميم؛ قلت : امضِ راشدًا، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى غَرِق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما اتقيتَ الله ! غرَّقتَ رجلا مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لِبنةٌ لضربتُ بها رأسَه .

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه؛ فقيل له : ألا تدعو لأمك؟ فقال : إنها تميميةٌ .

وقرأت فى كتاب للهند : جانب الموتورَ(١) وكن أحذرَ ما تكون له ألطفَ ما يكون بك، فإن السلامة بين الأعداء توحُّش بعضهم من بعض، ومن الأنس والثقة حضور آجالهم(٢) .

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجِمهر وأن يتزوج ابنته بعد قتله؛ فقال : لو كان ملِكُكم حازما ما جعل بينه وبين شعاره موْتورة .

قال أبو حازم : لا تُعَادِيَنّ رجلا حتى تنظر الى سَرِيرته؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن يخذُله بعداوتك إياه، وإن كانت سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساويَه، لو أردتَ أن تعمل بأكثر من معاصى الله لم تقدِر .

قال رجل : إنى لأغتنم فى عدوّى أن ألْقِيَ عليه النملةَ وهو لا يشعُر لتؤذيَه .

وقال الأفوه الأوْدِىّ :

بلوتُ الناسَ قرنا بعد قرنٍ * فلم أر غيرَ خَلّابٍ وقالِ
وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعا * فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ
ولم أر فى الخطوب أشدَّ هولًا * وأصعبَ من معاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : «توحشة» . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشـبهه بلاءٌ * عداوةُ غير ذى حسبٍ ودِينِ

يُبيحك منه عِرضا لم يَصُنه * ويرتعُ منك فى عِرضٍ مصون

شمـاتة الأعـــداء

٥ بلغ عمرَو بن عتبة شماتةُ قوم به فى مصائبَ؛ فقـال : والله، لئن عظُم مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمتِ النعمةُ علينا بما أبقى الله لنا : شُبّانا يَشُبُّون الحروبَ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ، وما خُلِقنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت .

قيل لأيوبَ النبيّ عليه السلام : أىّ شىء كان أشدّ عليك فى بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

١٠ اشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شـديدةً وبلغه أنّ هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب الى هشام يعاتبه، وكتب فى آخر الكتاب :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيهـا بأوحدِ

وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعى علىّ بمُخْـلَدِ

مَنِيّتُـه تجرى لوقتٍ وحتفُـه * يصادفُه يوما على غير مَوعدِ

١٥ فقل للذى يبغى خِلافَ الذى مضى * تهيّأْ لأخرى مثـلِها فكأنْ قـدِ

وقال الفرزدقُ :

اذا ما الدّهرُ جرّعلى أُناسٍ * حوادثَه أناخ بآخرِينـا

فقل للشامِتِين بنا أَفِيقُوا * سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغِير على رجلٍ من الأعراب فذُهِب بإبله فقال :

٢٠ لا والذى أنا عبدٌ فى عِبادته * لولا شماتةُ أعداءٍ ذوِى إحَنِ

ماسرّنى أنّ إبلى فى مَبارِكها * وأنّ شيئاً قضاه الله لم يكنِ

وقال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

أرواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ * لكَ فانظر لأىِّ حالٍ تصيرُ

وابيضاضُ السوادِ من نُذُرِ المو * تِ فهل بعده لإنسٍ نذيرُ

أيها الشامتُ المعيِّرُ بالدهـ * ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيـ * ـامِ أم أنت جاهلٌ مغرورُ

مَن رأيتَ المنونَ خلّدنَ أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضامَ مُجيرُ

أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وانُ أم أين قبله سابورُ[1]

وأخو الحضر[2] إذ بناه وإذ دجـ * ـلةُ تُجبَى إليه والخابورُ[3]

شادَهُ مرمرًا وجلّله كلـ * ـسًا[4] فللطيرِ فى ذُراه وُكورُ

لم يَهبْه ريبُ المنونِ فباد الـ * ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ

وتبيّنْ ربَّ الخورنقِ إذ أشـ * ـرفَ يوما وللهُدى تفكيرُ

سرَّه حالُهُ وكثرةُ ما يمـ * ـلِكُ والبحرُ مُعرِضًا[5] والسَّديرُ

فارعوى قلبُه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىٍّ إلى المماتِ يصيرُ

ثم بعد الفلاحِ والمُلكِ والنّعـ * ـمةِ[6] وارتهم هناك القبورُ

ثم أضحَوا كأنهم ورقٌ جفّ * فألوتْ به الصَّبا والدَّبورُ

---

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضر : قصر حيال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، وخبر قصرى الحضر والخورنق مذكور فى الأغانى ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطلى بها المنازل . (٥) معرضا : متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٩ : «والإمة» وهو بمعناها .

قال ابن الكلبي : لما قُبض النبيّ صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءٌ من كندة وحضرموت فخضبن أيديهنّ وضربن بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلغ أبا بكرٍ اذا ما جئته * أنّ البغايا رُمنَ أيّ مرامِ

أظهرن من موت النبيّ شماتة * وخضبن أيديهنّ بالعُلّام[1]

فاقطع، هُديتَ، أكفّهن بصارمٍ * كالبرقِ أومضَ من متون غمامِ

فكتب أبو بكر الى المهاجر عامله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ .

وقرأت فى كتاب ذُكر فيه عدوّ : فإنه يتربّص بك الدوائرَ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ، ولا يؤمّل صلاحًا إلا فى فسادك، ولا رِفعةً إلا فى سقوط حالك والسلام .

---

(١) العلام بالتشديد : الحناء، عن ابن الأعرابى .

وجد بالأصل فى آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِىّ رحمة الله عليه . وكُتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ وآله الطاهرين .

وفى هذه الصفحة عينها وجد ما يأتى — وهو من زيادة الناسخ — :

قيل قدم المهدى أمير المؤمنين، وقيل الرشيد[1]، فتلقّاه الناس، وتلقّاه أبو دُلَامة فى جملة الناس، فأنشده :

إنى نذرتُ لئن رأيتُك سالمـًا * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْـرِ

لتصلّيَنْ على النبىّ محمـد * ولتملأنّ دراهمـًا حِجْـرِى

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعمْ . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين، فضحك وأمر حتى ملئوا حجره دراهم .

شاعر[2] :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتى * فاذا لها من راحتيكَ نسيمُ

ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاحَ كريمُ

---

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفى سنة إحدى وستين ومائة، وتولى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش الى أيام الرشيد .

(٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج[1]

حدثنى أحمدُ بن الخليل قال حدثنا محمدُ بن المصيب قال حدثنى أوسُ بن عبد الله بن بُريدةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استعينُوا على الحوائج بالكتمانِ فإنّ كلّ ذى نعمةٍ محسودٌ" .

قال خالدُ بن صفوان : لا تطلبُوا الحوائجَ فى غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلبُوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع خُلقاءَ .

قال شبيبُ بن شيبةَ : إنّى لأعرف أمرًا لا يتلاقى به اثنانِ إلّا وجب النُّجْحُ بينهما ؛ فقال له خالدُ بن صفوانَ : ما هو ؟ قال : [العقل، فإنّ][2] العاقل لا يَسأل مالا يجوز ولا يُردُّ عما يُمكن، فقال له خالد : نَعَيتَ الىّ نفسى ! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه .

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعى حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير فى كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر وبأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو رَبيعة — وهم من بنى عِسْلِ[1] بن عمرو بن يربوع — يُوصونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيبـةُ الإخوان مَقْطَعـةٌ * لأخى الحاجاتِ عن طَلَبِهْ

فإذا ما هِبتَ ذا أَمَـلٍ * مات ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس :

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُهـا[2] * من الناس الا المُصبِحونَ على رِجْلِ

تأنّ مواعيـدَ الكرامِ فربّمـا * أصبتَ من الإلحاح سَمْحًا على بُخْلِ

والبيتُ المشهور فى هذا :

إنّ الأمورَ اذا انسدّتْ مَسَالكُها * فالصبرُ يَفْتَحُ[3] منها كلّ ما ارْتُتِجَا

أخْلِقْ بذِى الصبر أن يحظَى بحاجته * ومُدمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلِجَا

لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فرجًا

وقال آخرُ :

إنّى رأيتُ، وللأيّامِ تجـربةٌ، * للصبرِ عاقبـةً محمـودةَ الأثرِ

وقلّ مَنْ جَدّ فى أمرٍ يُطالبه[3] * واستصحبَ الصبرَ إلّا فاز بالظَّفَرِ

---

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس وشرحه مادة عسل) . (٢) وروى هذا فى اللسان مادة رجل هكذا :

* ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغى *

(٣) فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يحاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلة تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخرَق ويعجل في حاجته فتتأخر أو تبطُل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أنقعُ» . يريدون أن الشراب الذي يُترشَّف رُويدًا رُويدًا أقطعُ للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيدَ بنِ الصَّعِق :

إنك إن كلَّفتَنى ما لم أُطِقْ * ساءكَ ما سرَّكَ مِنّى من خُلُق

وكانوا يَستنجِحُون حوائجَهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إنّى بكَ أستفتِحُ ، وبكَ أستنجِحُ ، وبمحمّد نبيك إليك أتوجّه ، اللهم ذلِّلْ لى صعوبتَه ، وسهِّل لى حُزونتَه ، وارزُقنى من الخير أكثرَ مما أرجو ، واصرِف عنّى من الشرّ أكثرَ مما أخاف .

وقال القطامىُّ :

قد يُدرِكُ المتأنِّى بعضَ حاجتِه[1] * وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

عمرو بن بحر عن إبراهيم بن السِّندى قال : قلت في أيام ولايتى الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يجِفّ لِبْده ولا يستريح قلبه[2] ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مُفوّها ، خبّرنى عن الشيء الذي هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار ، في أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفْقَ أوتارِ العيدان ، وترجيعَ أصوات القيانِ الحسان ، ما طرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربى من شاء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكرِ حُرٍّ لمنعِمٍ حُرٍّ ، ومن شفاعة مُحتَسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقد حُشيتَ كرما فزادكَ الله كرما ، فبأىِّ شىء سَهُلَتْ عليك المعاودةُ والطلبُ؟

(١) كذا في ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة في كتب الأدب . وفي الأصل :
* قد يدرك المتأنى بعدُ حاجتَه * وهى رواية جيدة . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ ، وفي الأصل : «قلبه» .

قال : لأني لا أبلغ المجهودَ ولا أسأل مالا يجوز، وليس صدقُ العذر أكرَهَ اليّ من إنجاز الوعد، ولست لإ كداء أسائل أكره منّي للإلحاف بالمسئول ، ولا أرى الراغبَ أوجبَ عليّ حقًّا للذي قدم من حسن ظنه من المرغوب اليه الذي احتمل من كَلِّه[1].

قال إبراهيم : سمعتُ كلامًا قطُّ أشدَّ موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا الكلام .

وقال مُصعبٌ

في القوم مُعتصمٌ بقوة أمره * ومُقصِّرٌ أودى به التقصيرُ

لا ترض منزلة لدليل ولا تقم * في دار مَعجِزة وأنت حسيرُ

وإذا هممت فامض همَّك إنما * طلب الحوائج كلُّه تغريرُ

١٠ وكان يقال : إذ أحببتَ أن تطاع، فلا تَسألْ ما لا يستطاع .

وقال : الحوائج تُطلبُ بالرجاء، وتُدركُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدثني زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول : إذا أردتَ أن تزوّج فأهدِ للأم . والعرب تقول : « من صانَع[2] لم يحتشِم مِنْ طلب الحاجة » .

١٥

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتُك الى كاتب فليكن رسولُكَ الطمعَ .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهديّةُ أمامَ الحاجةِ .

---

(١) الكل بالفتح : العيال والثقل من كل ما يتكلف . (٢) صانع : هادى .

وقال رؤبة:

لما رأيتُ الشُّفعاءَ بلَّدوا[1] * وسألوا أميرَهم فأنكدوا[2]

ماسستُهم[3] برشوةٍ فأقردوا[4] * وسهّل الله بها ما شدّدُوا

وقال آخر[5]:

وكنتُ إذا خاصمتُ خصماً كببتُه * على الوجه حتى خاصمتني الدراهمُ

فلما تنازعْنا الخصومةَ غُلِّبتْ[6] * عليّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول في مثل هذا المعنى «مَنْ يخطُبِ الحسْناءَ يُعطِ مهرًا» يريدون مَن طلب حاجةً مُهِمّةً بذل فيها.

وقال بعض المحْدَثين:

ما مِن صديقٍ وإن تمّت[7] صداقته * يومًا بأنجحَ في الحاجات من طَبَقِ

إذا تلثّم[8] بالمنديل منطلقا * لم يخشَ نبوةَ بوابٍ ولا غَلَقِ

لا تكذبنّ[9] فإن الناس مذ خُلقوا * لرغبةٍ يكرمون الناسَ أو فَرَقِ

وقال آخر:

ما أرسل الأقوامُ في حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمِ

يأتيك عفوًا بالذي تشتهي * نِعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

---

(١) يقال: بلد الرجل إذا لم يتجه لشيء، وبلد إذا كسل في العمل وضعف. (٢) أي منعوا الحاجة ولم يعطوا. (٣) يقال: ماسس الرجل صاحبه مماسة ومساسا إذا ساوره. (٤) يقال: أقرد الرجل وقرد إذا ذل وخضع. (٥) هو رجل من ولد طلبة (صحف في الكامل بالعين، بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر في المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للمبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوروبا). (٦) يقال غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه بالغلبة. (٧) في المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوروبا. «أبدى مودته». (٨) في المحاسن والأضداد «تقنّع». (٩) في المحاسن والأضداد «لا تكثرن».

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثني سهلُ بن محمد عن الأصمعيّ قال : دخل أبو بكر الهَجَرِيّ على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نَغَضَ فمي[1] وأنتم أهلَ بيت بركة، فلو أذِنتَ لي فقبّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدُ لي منه . فقال أبو جعفر : اخْتَرْ منها ومن الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين، أهون عليّ من ذهابِ درهمٍ من الجائزة ألّا تبقى في فمي حاكّةٌ[2] .

قال أبو حاتم وحدثنا الأصمعيّ عن خلف قال: كنتُ أرى أنّه ليس في الدنيا رُقْية إلا رقية الحيّات ، فإذا رقية الخبزِ أسهلُ . يعني ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله : الأجلُ آفةُ الأمل، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد، والبِرُّ غنيمةُ الحازم، والتفريطُ مصيبةُ أخي القدرة ؛ فأمر وهبًا كاتبَه أن يكتُبَ الكلماتِ . ورفع[3] إليه رُقعةً فيها . يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده ، ويا ذاكر مَنْ يَنْسَى نصيبَه منه ، ليس كتابي إذا كتبتُ استبطاءً، ولا إمساكي إذا أمسكتُ استغناءً، لكنّ كتابي إذا كتبتُ تذكرةٌ لك ، وإمساكي إذا أمسكتُ ثقةٌ بك .

وقال رجل لآخر : ما قصّرتْ بي همّةٌ صيّرتني إليك ، ولا أخّرني ارتيادٌ دلّني عليك ، ولا قعد بي رجاءٌ حداني إلى بابك . ويحسْبِ معتصمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ ، ونُجْحٌ في مؤمَّلٍ وتَسديد .

دخل الهُذَيل بن زُفَر على يزيد بن المُهلَّب في حَمَالاتٍ[4] لزِمته ، فقال له : قد عَظُم شأنُك عن أن يُستعان بك أو يُستعانَ عليك ، ولستَ تصنع شيئًا من المعروف إلّا وأنت أكبرُ منه . وليس العَجَبُ أن تفعل ، وإنما العجبُ من ألّا تفعل .

(١) نغض سنه أي قلقت وتحركت . (٢) الحاكّة السنّ لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة . (٣) في الأصل : « وقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهي ما تتحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحَمْدُونىّ في الحسين بن أيوب وإلى البَصْرة :

قُلْ لابنِ أيوبَ قد أصبحتَ مأمولَا لا زال بابُك مَغْشِيًّا ومأهولَا

إن كنتَ في عُطْلةٍ فالصدرُ مُتَّصِلٌ مِثْلَ إذا كنتَ بالسلطانِ موصولَا

شَرُّ الأخِلَّاءِ مَنْ وَلَّى قفاه إذا كان المُوَلَّى وأعطَى البِشْرَ معزولَا

مَنْ لم يُسَمَّنْ جوادًا كان يركبُه في الخِصْبِ قام به في الجَدْبِ مهزولَا

افرُغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشغولا لو قد فرغتَ لقد أُلفيتَ مبذولا

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغْلِ عنّا فإنما تناطُ بك الآمالُ ما اتّصلَ الشُّغْلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الوُلاة، وكان صديقَه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا، فقال: اعذِرْني فإنّي مشغول، فقال : لولا الشغلُ ما أتيتُك . ١٠

وكتب رجلٌ إلى صديقٍ له : قد عرضَتْ قِبَلَكَ حاجةٌ، فإنْ نُجِحتْ بك فالفاني منها حَظّي والباقي حظُّك، وإن تَعتذرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقدَّمٌ لك.

وفي فصلٍ آخر : قد عذَرَك الشُّغْلُ في إغفالِ الحاجةِ وعذَرني في إذكارك .

وفي فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالي مع علمك بها، ولا أقتضيَك عمارتَها بأكثرَ من قدرتك عليها ، فلربّما نِيلَ الغِنَى على يَدَيْ مَنْ هو دونَك فأدنَى مِن حُرْمتي. ١٥
وما أستصغرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستقِلُّه إلا لك .

وقال آخر: إن رأيتَ أن تَصْطنِعَ يدًا صنيعةً باقٍ ذِكْرُها جميلٍ في الدهر أثرُها، تَغتنمُ غِرَّةَ الزمان فيها وتُبادر فوتَ الإمكان بها، فافعلْ .

قَدِمَ على زيادٍ نفرٌ من الأعراب فقام خطيبُهم فقال: أصلح الله الأميرَ! نحن، وإن كانت نزَعت بنا أنفسُنا إليك وأنصينا ركائبَنا[1] نحوك التماسًا لفضلِ عطائك ، ٢٠

(١) أنصينا : أهزلنا .

عالمون بأنه لا مانِعَ لما أعطى الله ولا مُعطِيَ لما منَع ؛ وإنما أنت أيُّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون ، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا اللهَ وشكرناك ، وان لم يُؤذَنْ لك فمنعتَ حَمِدنا اللهَ وعذَرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تاللهِ ما رأيتُ كلامًا أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم .

٥ دخل العَتّابِيّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبِّرتُ بوَفاتِك فغَمَّتْنى ، ثم جاءتنى وِفادتُك فَسرَّتنى ؛ فقال العتابى : لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لَوسِعَتْهم ؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معك ؛ قال : سَلْنِي ، قال : يَداكَ بالعطيّة أطلقُ من لسانى .

قال نُصَيْب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كَبِرتْ سِنِّى ورَقَّ عَظْمِى ، ١٠ وبُلِيتُ بِبُنَيّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لونى فكَسَدْنَ علىّ ؛ فرَقّ له عمر ووصَله .

سأل رجلٌ أسَدَ(١) بن عبد الله فاعتلّ عليه ، فقال : إنى سألتُ الأميرَ من غير حاجة ؛ قال : وما حَملك على ذلك؟ قال : رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلاء ، فأحببتُ أنْ أتعلّق منك بحبلِ مَودّة .

لَزِم بعضُ الحكماءِ بابَ بعضِ ملوكِ العجم دهرًا فلم يَصِلْ اليه ، فتَلَطَّف للحاجب ١٥ فى إيصال رُقْعةٍ فعل ، وكان فيها أربعةُ أسطرٍ .

السطرُ الأوّلُ « الأملُ والضَّرورةُ أقدمانِى عليك » .

والسطرُ الثانى « والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطَالبة » .

والسطرُ الثالثُ « الانصرافُ بِلا فائدةٍ شماتةٌ للأعداءِ » .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسرى حاجة الخ» .

والسطرُ الرابعُ " فإمّا نَعَمْ مثمِرةٌ ، وإمّا لا مُرِيحةٌ " . فلما قرأها وَقّع فى كلّ سطرٍ : زه[1]؛ فأُعطِىَ ستّةَ عَشَرَ ألفَ مِثْقالٍ فِضّة .

دخل محمد بن واسع على قُتَيبة بن مُسْلِم، فقال له : أتيتُك فى حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلَك ، فإنْ تقضِها حَمِدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا فى حاجةٍ أخرى : إنى أتيتُك فى حاجةٍ ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكنّا جميعًا كريمَينِ ، وإنْ شِئتَ منعتَها وكنّا جميعًا لئيمَينِ[2] .

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله فى حاجةٍ ، فقال له : أتكلَّمُ بجُرأة اليأسِ أم بهيبةِ الأمَلِ ؟ قال : بل بهيبة الأمل ، فسأله حاجتَه فقضاها .

وقال أبو سَمّالٍ لرجل : لم أَصُنْ وجهى عن الطَّلَبِ اليك ، فصُنْ وجهَك عن ردّى ، وضَعْنى من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك .

قال المنصور لرجل : ما مالُك ؟ قال : ما يَكُفُّ وجهى ويَعجِز عن برِّ الصَّديق فقال : لقد تلطَّفتَ للسؤال ، ووصَله .

وقال المنصور لرجلٍ أحمَدَ منه أمرًا : سَلْ حاجتَك فقال : يُبقيك الله يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : سل ، فليس يمكنك ذلك فى كلّ وقتٍ ؛ فقال : ولِمَ يا أميرَ المؤمنين !

---

(١) كلمة « زه » فى لغة الفرس معناها أحسنت . وفى العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ؛ وإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبى تمام :

عياش إنك للئيم وإننى * مذ صرتَ موضع حاجتى للئيم

فوالله لا أستقصر عمرك ولا أرهب بخلك ولا أغتنم مالك وإن سؤالك لزين، وإن عطاءك لشرف، وما على أحد بذل وجهه إليك نقص ولا شين ، فأمر حتى ملئ فوه درا .

قال أبو العباس لأبى دلامة : سل حاجتك. قال : كلب، قال : لك كلب. قال : ودابة أتصيد عليها ؛ قال : ودابة. قال : وغلام يركب الدابة ويصيد؛ قال : وغلام . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ؛ قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين، هؤلاء عيال ولا بد من دار؛ قال : ودار. قال : ولا بد من ضيعة لهؤلاء، قال : قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وأى شىء الغامرة؟ قال : ليس فيها نبات. قال: فأنا أقطعك ألفا وخمسمائة جريب من فيافى بنى أسد؛ قال : قد جعلتها [كلها لك] (١) عامرة . قال : أقبل يدك ؛ قال : أما هذه فدعها . قال : ما منعت عيالى شيئا أهون عليهم فقدا (٢) منها .

قال عبد الملك لرجل : مالى أراك واجما (٣) لا تنطق؟ قال : أشكو إليك ثقل الشرف؛ قال : أعينوه على حمله .

رأى زياد على مائدته رجلا قبيح الوجه كثير الأكل ، فقال له : كم عيالك ؟ قال : تسع بنات ؛ قال : أين هن منك ؟ قال : أنا أجمل منهن وهن آكل منى؛ قال : ما أحسن ما تلطفت فى السؤال وفرض له وأعطاه .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغانى فى أخبار أبى دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل : « فقدا منه » وفى الأغانى : «ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها» . (٣) الواجم : الذى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قِلّة الجِرذان ؛ قال : ما أحسَنَ هذه الكناية ! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القُصّاص فى قَصَصه : اللهم أقِلّ صِبيانَنا وأكثِر جِرذانَنا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الوليَّ بالوليِّ والجارَ بالجار ؛ فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصيفةٌ رُوقةٌ[1] ، فنظر اليها ؛ فقال سليمان : أأعجبتْك؟ قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثالٍ فى الاِست وخُذْها ؛ فقال : «صَرّ عليه الغَزوُ آستَه»[2] . قال : واحد . قال : «آستُ البائنِ أعلم»[3] ؛ قال : آثنان . قال : «آستٌ لم تُعوَّدِ المِجمَرَ تحتَرِقُ»[4] ؛ قال : ثلاثة . قال : الحُرُّ يُعطى والعبدُ يَيجع بآستِه»[5] ؛ قال : أربعة . قال : «آستى أخبَثى»[6] ! قال : خمسة . قال : « عادَ سَلاها فى آستِها »[7] ؛

---

(١) الوصيفة : الجارية ، والروقة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه تصرفه أمره . (٣) البائن : الذى يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذى من الجانب الآخر : المعلى أو المستعلى ، وهو الذى يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضلّ إبله ووجدها فى حَرّة فاستنجد بالحارث بن ظالم المرى فردها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها ، فقال لهما الحارث : خليا عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هى لك ، فقال الحارث : "اِست البائن أعلم" فأرسلها مثلا : يضرب لمن ولى أمرا وصَلِيَ به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يَصْلَ به ، وقيل : يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضربُ لمن حصل فى نعمة لم يعهدها . وأصله أنّ مارية بنت عَفزَر كانت ملكة وكانت تتزوّج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ، فجاءوها بحاتم الطائى ؛ فقالت له : آستقدمْ الى الفراش ؛ فقال هذه الجملة . أراد : إنى أعرابيٌّ متقهل (يابس الجلد متقشف) لم أتعوّد الطيب والترف . (٥) الذى فى الأمثال للميدانى : « الحرّ يعطى والعبد يألم قلبه » وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال فى فرائد اللآل : يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل . (٦) لم يذكر هذا المثل الميدانى ، وذكره الزمخشرى فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛ وقال فى شرحه : «يضرب فى وضع الشىء فى غير موضعه ، وأصله أنّ سعد بن زيد مناة زوّج أخاه مالكا النوار بنت جَلّ بن عدى رجاءَ أن يولد له ، وكان محمقا ، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت ، فقال له : « لِج مالِ ولجت الرجَم » (أى القبر) ؛ حتى ولج ونعلاه معلقتان فى ذراعيه ، فقال له : ضع نعليك ، فقال : ساعداى أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله فى آسته ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : «آستى أخبثى» . (٧) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد ، من الناس والمواشى .

قل . سنة . قال : « لا مالك نقيت ولا حرك أنقيت » ، قال : ليس هذا من ذاك ؛ قال : أحدثُ الحارَ بالحار كما يفعل أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلب لسليمان في حَمَالة[2] كلمه فيها : يا أميرَ المؤمنين ، والله لحمدُها خيرٌ منها ، ولَذِكرُها أحسن من جمعها ، ويَدِي مبسوطةٌ بيدك فابسُطها لسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجْرِيها عليهم ، لِتَباعُدٍ كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه عمرو بن عُتْبة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أدْنَى حقّك مُتْعِبٌ وتقصّيه فادحٌ ، ولنا مع حقّك علينا حقٌّ عليك ، لقرابتنا منك وإكرامِ سلفنا لك ، فانظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليك ، وضَعْنا بحيث وضَعَتْنا الرَّحِمُ منك ، وزِدنا بقدر ما زادك الله ؛ فقال : أفعَلُ ، وإنما يَستحق عطيّتي من استعطاها ، فأمّا من ظنّ أنه يَستغنى بنفسه فسنَكِلُه إليها ، يعرّض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أمّا عمرٌو فقد أعطى من نفسه أكثرَ مما أخذ ، أوَ بالحرمان يتهدّدني ! يدُ الله فوق يده مانعةٌ ، وعطاؤه دونه مبذول .

أتى رجل يزيدَ بن أبي مسلم برُقْعة يسأله أن يرفعها الى الحجّاج ؛ فنظر فيها يزيدُ فقال : ليست هذه من الحوائج التي تُرفع الى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإني أسألك أن ترفعها ، فلعلّها توافق قدَرًا فيقضيها وهو كارهٌ ؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجّاج في الرُّقعة ، وقال ليزيدَ : قلْ للرجل : إنها وافقتْ قدَرا وقد قضيناها ونحن كارهون .

---

(١) أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معهما ماء يسير فاغتسلت ، فلم يكفها لغسلها وأنفدت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحمالة (بالفتح) : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

دخل بعض الشعراء على بشر بن مروان (١) فأنشده :

أغفيتُ عند الصبح نومَ مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها

فرأيتُ أنك رُعْتَنى بوليدةٍ * مَغْنوجةٍ (٢) حَسَنٍ علىّ قيامُها

وببَدْرةٍ حُمِلَت الىّ وبغلةٍ * دهماءَ مُشرِفَةٍ (٣) يَصِلُّ (٤) لجامُها

فدعوت ربّى أن يُثيبك جنّةً * عِوَضًا يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر : فى كل شىء أصبتَ إلا فى البغلة فإنى لا أملك إلا شُهْبا : فقال : إنى والله ما رأيتُ إلا شُهْبًا .

قال رجل لمعاوية : أقطِعْنى البَحْرَيْن، قال : إنى لا أصِلُ الى ذلك . قال : فاستَعمِلْنى على البَصْرة، قال : ما أُريدُ عَزْلَ عامِلها . قال : تأمرُ لى بألفينِ، قال : ذاك لك . فقيل له : وَيْحَك ! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا ! قال : اسكتوا لولا الأُولَيَان ما أُعطيتُ هذه .

جاء أعرابىّ الى بعض الكتّاب فسأله، فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن يعطيَه عشرة دراهم وقميصًا من قُمُصه، فقال الأعرابىّ :

حوِّل العَقْد بالشمال أبا الأصـ * ـبغ واضْمُمْ الى القميص قميصَا

إن عَقْدَ اليمين يَقْصُرعنّى * وأرى فى قميصكم تَقْليصَا

يقول : حوّل عَقْد (٥) اليمين وهو عشرة الى عَقْد الشمال وهو مائة .

(١) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة، والذى بها : امرأة مغناج وغنجة : حسنة الدل؛ ووجد هذا الشعر منسوبا الى حمزة بن بيض فى الأغانى (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتى الأغانى الأولى وهذا الكتاب، وفيه موسومة بدل مغنوجة، وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مغلوجة» . (٣) مشرفة : سريعة العدو، والمشرفة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوّت . (٥) كان للعرب حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم فى ذلك اصطلاحات فى أصابع اليد، فالعشرة يُدلّ عليها بجعل السبابة فى اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابيّ فقال في مسألته : لقـد جُعتُ حتى أكلتُ النوى المُحرَق ولقد مَشيتُ حتى آنتعلتُ الدّمَ وحتى سقط من رجلي بَخَصُ[1] لحمٍ وحتى تمنيت أنّ وجهي حِذاءٌ لِقَدمي[2]، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخرُ قومًا فقال : رَحِم الله آمرأً لم تَمُجَّ أذناه كلامي، وقدّم لنفسه مَعاذًا من سوءِ مَقامي، فإن البلاد مُجْدِبة، والحالَ مُصْعِبة[3]، والحياءَ زاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ[4] عاذِرٌ يدعو الى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدقتين فرحم الله امرأً أمر بمِيرٍ[5]، ودعا بخير ،فقال له رجل من القوم : مِمّن الرجل ؟ فقـال : اللهم غَفْرا مِمّن لا تَضرُّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه، ذُلّ الاكتساب، يمنع من عِزّ الانتساب .

سأل أعرابيٌّ رجلا فحَرَمه، فقال : عَلامَ تَحرِمُني ! فواللهِ ما زلتَ قِبلةً لأملٍ لا تلفِتُني عنك المطامعُ ، فإن قلتَ : قـد أحسنتُ بَدءًا، فما يُنكَر لمثلك أن يُحسِن عَـوْدًا ! .

قال آبنُ أبي عَتيق : دخلتُ على أشعبَ وعنده مَتاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له : ويحك! أما تستحِي أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال : يا فَدَيتُك! معي والله من لطيف السؤال مالا تَطيب نفسي بتركه .

قال الصَّلَتانُ العَبْديّ :

تَروح ونغـدو لحاجاتنـا * وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضِي
تموت مع المـرءِ حاجاتُه * وتَبقَى له حاجةٌ ما بَـقِي
إذا ليـلةٌ هَرَّمتْ يومَها * أتى بعـد ذلك يومٌ فَتِي

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) في الأصل : «حذاء لدمى» . (٣) في المحاسن والمساوي للبيهقي طبع أوروبا ص ٦٣١ : «مسغبة» وقد رويت هذه الحكاية فيه بآختلاف عما هنا . (٤) كذا في المحاسن والمساوي . وفي الأصل : «عار» . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجةٍ دونَ أُخرى قد سَنَحتُ بها[١] * جعلتُهـا للتى أخفيتُ عُنـوانَا

كتب دِعْبِلٌ الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفِعًا[٢] بلا سبب * اليـك إلا بُحرمةِ الأدبِ

فاقضِ ذِمامى فإنّنى رجلٌ * غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

من يُعْتَمَد فى الحاجة ويُسْتَسْعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر[٣] عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مُصْعَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطلُبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوُجوه[٤]" .

وفى حديث آخر : "اِعتَمِدْ لحوائجك الصِّباحَ الوُجوهِ ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تلقاكَ من الرجل" .

قالت امرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْمًا ولاتَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين :

حسنُ ظنِّى إليكَ أكرمكَ الله دعانى فلا عَدِمتَ الصَّـلاحَا

ودعانى إليكَ قولُ رسـول الله إذ قال مُفصِحـًا إفصاحَا

إنْ أردتُم حوائجًا عند قومٍ * فتنقَّوْا لهـا الوجـوهَ الصِّباحَا

---

(١) سنحت بكذا : عَرّضت ولحت ، وقد أورد صاحب اللسان هـذا البيت فى مادة « سنح » ونسبه لسَوّار بن المضرّب .   (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : «مستوعدا» .

(٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «جميعر» وهو تحريف .   (٤) فى الجامع الصغير : « اطلبوا الخير الى حسان الوجوه» .

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نخيارُهم * من كان أفضلهم أبوه الأوّلُ

أعطى الذى أعطى أبوه قبلَه * وتبخّلتْ أبناءُ مَنْ يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ : فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها الى غير أهلها ، وأشدُّ من المصيبة سوءُ الخَلَف منها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال مسلمُ بنُ قُتيبة : لا تطلُبَنّ حاجتك الى كذّابٍ فإنه يُقرّبُها وهى بعيدٌ[1] ويُبعّدها وهى قريب[1] ، ولا الى أحمقَ فإنه يريد أن ينفعَكَ فيضرُّكَ ، ولاالى رجل له عند من تسأله الحاجة مأكلةٌ، فإنه لا يُؤثرك على نفسه .

أنشدَنا الرِّياشىّ لأبى عَوْنٍ :

ولستُ بسائِلِ الأعرابِ شيئًا * حَمِـدتُ الله إذ لم يأكلونى

وقال ميمونُ بن ميمون : لا تطلُبنّ الى لئيم حاجةً ، فإن طلبتَ فأجّلْه حتى يروضَ نفسَه .

هارونُ بن معروف عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطَاء ، قال : عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ؛ ثم قرأ قولَ يوسفَ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وقولَ يعقوبَ ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وقال بشّارٌ :

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا[2] * فنبِّهْ لها عُمَرًا ثم نَمْ

فتًى لا يبيتُ على دِمْنَـةٍ * ولا يشربُ الماءَ إلا بِدَمْ

يلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء * فيغـدُو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

---

(١) بعيد وقريب يوصف بهما المذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) .

(٢) فى الأغانى (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * اذا دهمتك عظام الأمور *

وقال أبو عبّادٍ الكاتبُ: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجكَ بالجيّد اللسان، ولا المتسرّع الى الضّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع ؛ ومَن وعَد ما يَعجِزُ عنه فقد ظلَم نفسَه وأساء الى غيره ؛ ومن وَثِق بجودةِ لسانه ظنّ أنّ فى فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعدَه يقوم مَقامَ إنجازه . وقال أيضا : عليك بذى الحَصَرِ البَكِىّ[1]، وبذى الخِيم[2] الرضِىّ، فإن مثقالًا من شدّة الحياء والعِىّ، أنفعُ فى الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ وعقلٍ ذكىّ ؛ وعليك بالشّهم النَّدْب[3] الذى إن عجَز أيأسك، وإن قدَر أطمعك .

قال بعضُ الشعراء :

لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجةً * واقعُدْ فإنك قائمًا كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهاتَ ! تضربُ فى حديدٍ بارد

وقال آخرُ :

إذا الشافعُ استقصَى لكَ الجُهدَ كلَّه * وإن لم تَنَلْ نُجْحًا فقد وجَب الشُّكرُ

وقال آخرُ[4] :

وإذا امرؤٌ أسدَى اليك[5] صنيعةً * مِن جاهِه فكأنّها مِن مالِهِ

ذكر أعرابىّ رجلا، فقال : كان والله إذا نزَلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تقعُد به عِلّاتُ النفوس .

قال الشاعرُ :

ما إنْ مدَحتُكَ إلا قلتَ تخدَعُنى * ولا استَعنتُكَ إلا قلتَ مشغولُ

ابنُ عائشةَ قال : كان شبيبُ بن شيبة رجلا شريفا يَفزَعُ اليه أهلُ البصرة فى حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم ركِبَ ؛ فقيل له :

(١) البكىّ : القليل الكلام . (٢) الخيم : السجية والطبيعة . (٣) الندب : الخفيف فى الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائى . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصل : «أهدى الىّ» .

إنك تُباكِر النداءَ! فقال: أجَل! أُطفِئُ به فَوْرَةَ جوعى، وأقطَعُ به خُلوفَ(١) فمى، وأبلغ فى قضاء حوائجى، فخذ من الطعام ما يُذهِبُ عنك النَّهَمَ، ويُداوِى من الخَوَى.

قال بعضُ المحدَثين:

لعمرُكَ ما أخلقتُ وجهًا بذلتُه * إليـــكَ ولا عرّضتُه للمَعـايِرِ

متى وفرتْ أيدى المحامدِ عِرضَه * وحلّت(٢) لديه مالَه غيرَ وافـــرِ

وقال آخرُ:

أتيتُـكَ لا أُدلِى بقُـرْبَى ولا يدٍ * اليك ســوى أنّى بجُودكَ واثِقُ

فإن تُولِنِى عُرفًا أكنْ لكَ شاكرًا * وإن قلتَ لى عذرًا أقلْ أنتَ صادقُ

وقال رجلٌ لآخرَ فى كلامه: أيدينا ممدودةٌ اليكَ بالرغبة، وأعناقُنا خاضعةٌ لك بالذلّة، وأبصارُنا شاخصةٌ اليك بالشكر، فأمِّل فى أمورنا حَسَبَ آمالنا فيكَ، والسلام.

الإجابة الى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد: إنّى أتيتُكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ؛ قال: اطلب لها رجلا صغيرا. وهذا خلافُ قولِ علىّ بن عبد الله بن العبّاس لرجل قال له: إنى أتيتكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له علىّ بن عبد الله: هاتها، إنّ الرجل لا يصغُرُ عن كبيرِ أخيه ولا يكبُرُ عن صغيرِه.

قال رجل للأحنف: أتيتُكَ فى حاجةٍ لا تَنْكِيكَ(٣) ولا ترْزَؤك، قال: اذًا لا تُقضَى! أمثلى يؤتَى فى حاجةٍ لا تَنكِى ولا ترزأ!.

---

(١) الخلوف: رائحة الفم.

(٢) فى العقد الفريد: (ج ١ ص ٩٠):
* عليه وحلت ماله غير وافر *

(٣) لا تنكيك: لا تنال منك، من نكى العدوّ نكاية: أصاب منه. ولا ترزؤك: لا تصيب من مالك شيئا.

جاء قومٌ الى رجل يُكلّمونه فى حاجةٍ لهم ومعهم رَقبةُ، فقال لرقبة : تضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة : جئناك نطلُب منك فضلَ التوسُّع فأدخلتَ علينا همّ الضَّمان .

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئا إلا قال : لا ، فقال عمرو : أقِلّ من قول : «لا» فإنّ «لا» ليستْ فى الجنّة .

كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم اذا سُئل مايَجِدُ أعطَى، واذا سُئل مالا يجد قال : "يصنع الله" .

قال عمرُ بن أبى ربيعةَ :

إنّ لى حاجةً اليـك فقالت * بين أُذْنى وعاتق ما تُرِيدُ

أى قد تضمّنتُه لك فهو فى عُنُق .

سأل رجلٌ قومًا ، فقال له رجل منهم : اللهمّ هذا سائلُنا ونحن سُؤّالُك، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلا حاجةً ، فقال : اذهَبْ بسـلام، قال السائلُ : أنصفَنا مَنْ رَدّنا فى حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ .

قال رجل لثُمَامةَ : إن لى اليـكَ حاجةً، قال ثمامةُ : ولى اليكَ حاجةٌ ، قال : وما هى؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمّنَ قضاءها ، قال : قد فعلتُ، قال : حاجتى ألّا تسألَنى هـذه الحاجةَ، قال : رجعتُ عما أعطيتُك، قال ثمـامةُ : لكنّى لا أردّ ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشّى قومٌ الى الأصمعىّ مع رجل اشـترى منه ثمرةَ نخله ، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له ، فقال الأصمعىّ : أسمِعتم بالقِسْمة الضِّيزَى[1] ! هى

(١) القسمة الضيزى ، الناقصة الجائرة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اِشترى منّى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له ! اِذهبوا فاشتروا لى طعامَ السَّواد[1] على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدةٌ هى لكم دونى ، ولا بدّ من الاحتيال لكم اذ لم تحتملوا لى ، هـذا ما مَشَيتم معـه إلا وأنتم تُوجبون حقَّه وتُحِبُّون رِفدَه ، ولو كنتُ أُوجبُ له مثلَ الذى توجبونَ لقـد كنتُ أغنيتُه عنكم ، ولكن لا أعرِفُه ولا يصرِّنى بحقّ ، فهلُمَّ فلنتوزّعْ هـذا الخسرانَ بيننا بالسواء ؛ فقاموا ولم يعودوا ، وأيس التاجرُ لحرج له من حقّه .

قال يزيدُ بن عُمَير[2] الأُسَيِّدى لبَنِيه : يا بَنِىّ ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء ، ولأن يعلَم بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم ، ولأنْ يقالَ لأحدكم : بخيلٌ وهو غنىٌّ خيرٌ له من أن يقال : سخىٌّ وهو فقير .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصرُ يُقرئكَ السـلامَ وإنمـا * أهدَى السـلامَ تعرّضًا للطَّمعِ

فاقطعْ لُبانَتَـــه بيأسٍ عاجلٍ * وأرِحْ فؤادَكَ من تقاضى الأضلُعِ

ذكر ثُمامةُ محمدَ بن الجَهْم فقال : لم يُطمِعْ أحدًا قطّ فى ماله إلا ليشغَلَهُ بالطمع فيه عن غيره ، ولا شفَع لصديقٍ ولا تكلّم فى حاجةٍ مُتَحرِّم به ، إلا ليُلقِّنَ المسئولَ حُجّةَ منعٍ ، وليفتح على السائل بابَ حِرمانٍ .

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران :

إنّ الضميرَ اذ سألتك حاجةً * لأبى الهُذَيل[3] خلافُ ما أُبدى

فأَمنعْه روحَ اليأس ثم آمدُدْ له * حبـلَ الرجاء لُمخلِفِ الوعـدِ

(١) السواد . ارجع (٢) فى الأصل . «عمر» والتصويب عن السمعانى .

(٣) هو أبو هذيل العلاف أحد موس لعصره ، وكان يعتزل . (اعتبار الحلاج ص ٦٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ طبع أوروبا)

وإنّ له كتفًا ليحسُنَ ظنُّه * في غــير منفعةٍ ولا رِفْــدِ
حتى اذا طالتْ شــقاوةُ جدّه * وعناؤه فأجبْتُــهُ بالردّ

قيل لحُبّى المدينيّة : ما الجُرْحُ الذى لا يندمِلُ ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يردّه. قيل لها : فما الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يُؤْذَنَ له . قيل : فما الشرفُ ؟ قالت : اعتقاد المِنَنِ فى رِقاب الرجال . ٥

قال مَعْنُ بنُ زائدة : ما سألنى قطّ أحدٌ حاجةً فرددتُه إلا رأيتُ الغنى فى قفاه.

روى علىّ بن مُسْهِر عن هشام عن أبيه قال : قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : أعلمتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأسَ غِنًى، وأن المرءَ اذا يئس من شيء آستغنى عنه .

وقال آخر فى كلامٍ له : كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنًى عنه بغيره ،وكُلُّ مانع ما عنده ففى الأرض غِنًى عنه . ١٠

وقد قيل : أرخص ما يكون الشيءُ عند غَلائه .

وقال بشارٌ : * والدرُّ يُترَكُ من غَلائِه *

قال شُرَيح : مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض نفسَه على الرقّ، فإنْ قضاها المسئولُ آستعبده بها، و إن ردّه عنها رجع حرًّا وهما ذليلانِ : هذا بذُلّ البخل، وهذا بذلّ الردّ .

وقال بعضُهم : مَن سألكَ لم يُكرِم وجهَه عن مسألتك، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه. ١٥

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول .

وقال أسماءُ بن خارجةَ : ما أُحبُّ أن أردّ أحدا عن حاجةٍ؛ فإنه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونَه، أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال أعرابىّ سأل حاجة فرُدَّ عنها :

ما يمنعُ الناسُ شــيئا كنتُ أطلبُه * إلا أرى اللهَ يكفى فقدَ ما منَعوا ٢٠

أتى رجلٌ الحسنَ بن علىّ رضى الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن: إن المسألة لا تصلُحُ الا فى غُرْمٍ فادحٍ أو فقرٍ مُدْقِعٍ أو حَمالةٍ مُفظِعةٍ ؛ فقال الرجل : ما جئتُ الا فى إحداهن، فأمر له بمائة دينار.[1] ثم أتى الرجلُ الحسينَ بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردّ عليه كما ردّ على الحسن ؛ فقال: كم أعطاك ؟ قال: مائة دينار، فنقصه دينارا . كره أن يساوى أخاه . ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضى الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةَ دنانير ولم يسأله عن شىء ؛ فقال الرجل له : إنى أتيتُ الحسنَ والحسينَ ، واقتصّ كلامَهما عليه وفعلَهما به ؛ فقال عبدُ الله : ويحكَ ! وأنّى تجعلنى مثلَهما ! إنهما غُرّا[2] العلمَ غَرًّا المالَ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جاء شيخٌ من بنى عَقيلٍ الى عمرَ بن هُبيرةَ ، فمتّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئا ؛ فعاد اليه بعد أيام فقال : أنا العَقيلىّ الذى سألتُك منذ أيام ؛ فقال عمر: وأنا الفَزارِىّ الذى منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرةٌ الى الله ! إنى سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحارِبىّ ؛ فقال : ذاك ألأمُ لك ، وأهونُ بك علىّ ، نشأ فى قومك مثلى ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسِىّ اسْفَعْ[3] بيده .

أتى عبدَ الله بنَ الزبير أعرابىٌّ[4] يسأله ، فشكا اليه نَقَبَ[5] ناقته وآستحمله[6] ؛ فقال له آبنُ الزبير: ارقَعها بسِبْتٍ[7] وآخصِفها بهُلبٍ وآصلِ وآفعل ... ؛ فقال الأعرابىّ : إنى أتيتُك مُستوصِلًا ولم آتِك مُستوصِفًا ، فلا حملَتْ ناقةٌ حملتنى إليكَ ! فقال : إنَّ[8] وصاحِبَها .

(١) فى الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرّا العلم : ألقياه ، يقال : غرّ الطائر فرخه اذا زقه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يغرّ عليا بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبى الأسدى كما فى الأغانى ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وتنقب فى خف البعير . (٦) استحمله : سأله حوامل يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تُحذى منه النعال السبتية . والخصف : ان يظاهر الجلدين بعضهما الى بعض و يخرزهما ولذلك قيل للخرز : الخصف . والهلب (بالضم) : شعر الخنزير الذى يخرز به . (٨) إنّ بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائبا ولم يظفر بحاجته : «جاء على غُبيراءِ الظهرِ»(١) .

وتقول هى والعوام : «جاء بخُفَّىْ حُنَينٍ» و «جاء على حاجبه صُوفةٌ» .

وقال أبو عطاء السِّنْدِىّ فى عمرَ بن هُبَيرة :

ثلاثٌ حُكْتُهنّ لقرمِ قيسٍ(٢) * طلبتُ بها الأخوةَ والثناءَ

رجَعْنَ على حواجبهن صُوفٌ * فعند الله أحتسِبُ الجــزاءَ

والأصــل فى قولهم : «جاء بخُفَّىْ حُنَيْنٍ» أن إسكافاً من أهل الحِيرة ساومَه أعرابىٌّ بخفَّيْن، فاختلفا حتى أغضبه، فازداد غيظ الأعرابىّ؛ فلمــا ارتحل أخذ حُنَينٌ أحد خفَّيه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخَرَ فى موضع آخر؛ فلما مرّ الأعرابىّ بأحدهما قال : ما أشبَهَ هذا بخفّ حنين! ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى؛ فلما انتهى الى الآخر نَدِم على تَرْكه الأول، وأناخ راحلتَه فأخذه و رجع الى الأوّل، وقد كَمَن له حنينٌ فعمَد الى راحلته وما عليها فذهب به؛ وأقبل الأعرابىّ ليس معــه غيرُ الخفّين؛ فقال له قومه : ما الذى أتيتَ به ؟ قال : بخفّى حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قُضِيتْ حاجتُــه قيل : «جاء ثانيًا من عِنانه»(٣) . فإن جاء ولمّــا تُقْضَ حاجتُه وقد أُصِيب ببعض ما معه، قالوا : «ذهب يبتغى قَرْنًا فلم يَرْجع بأُذُنَيْن» . يقول بشار :

فكنتُ كالعَيْرِ غَدَا يبتغِى * قَرْنًا فلم يَرجِعْ بأُذُنَيْنِ(٤)

---

(١) غبيراء الظهر : الأرض، تصغير الغبراء . ويروى : جاء على ظهر الغبيراء، أى جاء لا يصاحبه غير أرضه التى يجىء ويذهب فيها . (انظر ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٧٨ أدب م) .   (٢) كذا فى الشعر والشعراء للمؤلف والقرم من الرجال السيّد المعظم وفى الأصل : «لقوم» .   (٣) فى الأصل : «فلما جاء ...» وهو غير مستقيم .   (٤) رواية هذا البيت فى الأغانى ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحماد عجرد وأعشى باهلة، وطلب اليهم أن يضمنوا هذا المثل فى شعر، ووعد لمن يخرجه جائزة، وهددهم إن لم يفعلوا؛ فضمنه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابيٌّ قوما، فقيل له : بُورِكَ فيــك ! فقال : وكلكم الله الى دعوة لا تحضُرها نيّة .

أرسل الوليد خيلا فى حَلْبَةٍ[1]، فأرسل أعرابيٌّ فرسًا له فسبَقت الخيلَ؛ فقال له الوليد : آحملنى عليها؛ فقال : إن لهـا حُرمةً، ولكنى أحملك على مُهْرٍ لهـا سبَق الخيل عام أوّل وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يَشغَلُه شأنُه عن الحاجة يُسألُها : «شغَلَ الحَلْىُ أهلَه أن يُعارا » بنَصْب الحلى ، ويعار : من العارية . فأمّا قولهم : « أحقُّ الخيـل بالركض المعار» ، فإن المُعار : المَنْتوف الذَّنَبِ[2] وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أخفّ من الدَّيّال الذَنَبِ[3]، يقال : أعَرْتُ الفرس إذا نتفتَه .

١٠ وتقول العرب لمن سُئل وهو لا يَقدِر فردّ : « بيتى يَبْخَل لا أنا » ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

ووعد رجلٌ رجلا فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده؛ فقال له : كذَبْتَنى؛ قال: لا ، ولكن كذَبَك مالى .

وتقول العرب فيمن آعتذر بالمنع بالعُدْم وعنــده ما سُئل : « أبَى الحَقِينُ العِذْرَةَ[4] » . قال أبو زيد : وأصـله أن رجلا ضاف قوما فآستسقاهم لبنًا ، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه فى وَطْبٍ ، فاعتــذروا أنه لا لبنَ عنــدهم ؛ فقال : "أبَى الحَقِينُ العِذرةَ" . ويقال : « العِذْرةُ طَرَفُ النخل » .

---

(١) فى الأصل «من حلة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسّرت به هذه الكلمة ، وقيل . المعار . المسمن، يقال : أعرت الفرس اذا سمنته ، وقيل : المعار : المضمر، من عار الفرس اذا ٢٠ أخذ يذهب ويجىء مرحا ونشاطا ، فالمعار: ما ردد الذهاب به والمجىء حتى ضمر، ويروى : المِعارُ — بكسر الميم — وهو الفرس الذى يحيد راكبه عن الطريق ، وكذلك يروى : المُغار — بالغين المعجمة — أى المضمّر من أغرت الحبل اذا فتلته . (٣) الديال الذنب : الطويله . (٤) الحقين : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائى يذكر المَطْل :

وكان المَطْــلُ فى بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصــنيعةِ وهى نارُ

نســيبُ البخلِ مذ كانا وإن لم * يكن نسبٌ فبينهــما جِوارُ

لذلك قِيــل بعضُ المنعِ أدنى * الى جُودٍ وبعضُ الجــود عارُ

قال إسماعيلُ[1] القراطيسىّ فى الفضل بن الربيع :

٥

لئن أخطأتُ فى مدحِــ[2]ـك ما أخطأتَ فى منعى

لقـــد أحللتُ حاجاتى * بـوادٍ غيرِ ذى زَرْعِ

عزا المُنذرُ بن الزُّبَيْرِ [فى] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بنى أسد بن عبد العُزّى ؛ فقال له حكيم بن حِزام : يابْنَ أخى ، إنى قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّوجلّ ، وإنى قد صنعتُ أمرًا ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردُّه علىّ أحدٌ منكم ؛ فقال

١٠

المُنْـذِر : لاها اللهِ إذًا[3] ، بل نأخذ ما تُعطى ، فإن نَحْتَجْ إليه نَسـتعِنْ به ولا نكره أن يأجُرَك اللهُ ، وإن نستغْنِ عنه نُعطِه من يأجُرنا اللهُ فيه كما أجرَك .

سأل أعرابىٌّ رجلا يقال له : الغَمْر فأعطاه درهمين ، فردّهما وقال :

جعلتُ لغَمرٍ درهميْــه ولم يكن * ليُغنِىَ عــنى فاقتى دِرْهما عَمْــرِ

وقلت لغمرٍ حدهما فَاصْطَرِفْهما * سريعَيْنِ فى نقص المُرُوءة والأجرِ

١٥

أتمنعُ سُؤّالَ العشيرةِ بعــد ما * تَسَمّيْتَ عمرًا وٱكتنيتَ أبا بحرِ

(١) نسبهما ابن حجة فى حواشيه ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومى . وذكر صاحب معاهد التنصيص فى الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومى ولكنه قال : ورأيت فى الأغانى نسبتهما الى اسماعيل القراطيسى . وقد ذكرا فى ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرا فى ديوان ابن الرومى .   (٢) فيه الكف وهو حذف السابع الساكن ، والكف حسن فى هذا البحر وهو الهزج . وفى الأغانى (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « فى مدحيك » وبهذه الرواية لا كف فيه .

٢٠

(٣) أى لا يردّه عليك أحد والله اذا ، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العتاهيـة الى الفضـل بن الربيع فى حاجة له زماناً فلم يقضها له ، فكتب :

أكلَّ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُـكَ فى حاجةٍ تقولُ غدًا !
لا جعل اللهُ لى اليـك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبدا !

وقال آخر :

إن كنتَ لم تنوِ فيما قلتَ لى صِلةً * فما آنتفاعُك من حَبْسى وترديدى
فالمنعُ أجمَلُه ما كان أعجَلَه * والمَطْل من غير عُسْرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفَه * فنِصفُ لسانى فى آمتداحك مُطْلَقُ
فإن أنتَ لم تُنْجِزْ عِداتى تركتَنى * وباقى لسانِ الشكر باليأسِ مُوثَقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعلٍ * ليتَ جُودَ اللسانِ فى راحتَيكا

المواعيـــدُ وتَنَجُّـــزها

ذكر جبّار بن سُـلْمَى[1] عامرَ بن الطُّفَيل فقال : كان والله اذا وعد الخيرَ وفى ، واذا أوْعَد بالشرّ أخلفَ وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العَلَاء فى مثل هذا المعنى .

ولا يَرْهَبُ آبنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلتى * ويأمَنُ منّى صـولةَ المتهـدِّدِ
وإنّى إنْ أوعدتُه أو وعـدتُه * لَيكذِبُ إيعادى ويَصْـدُقُ مَوْعِدى

---

(١) فى الإصابة : « بضم السين وقيل بفتحها »

وكان يقال : وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف .

وقال عبد الصّمد بن الفضل الرَّقاشِيُّ (أبو الفضلِ والعباسِ الرَّقاشِيَّيْن البغداديَّيْن) لخالد بن دَيْسَم عامل الرَّيِّ :

أخالدُ إنَّ الرَّيَّ قد أجحفتْ بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعَاشُها

وقد أطمعتْنا منك يوما سحابةٌ * أضاء لنا برقٌ وكفَّ رِشاشُها

فلا غيمُها يصحو فَيُؤْيِسَ طامعٌ * ولا ماؤها يأتى فتَرْوَى عِطاشُها

وقال رجل فى الحجّاج .

كأنّ فؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف فى جوّ السماء مُحَلِّقِ

حِذارَ امرئٍ قد كنتُ أعلم أنه * متى مَا يَعِدْ من نفسه الشرَّ يَصْدُقِ

قال عمرو بن الحارث : كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعيانى مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وَعَدتِنِي ثم لم تُوفِ بمَوعِدَتِي * فكنتِ كالمُزْنِ لم يُمطِرْ وقد رعَدا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِي : «برقٌ خُلَّب» .

وقال آخر :

قد بَلَوْناكَ بحمد اللهِ إنْ أغنَى البَلاءُ

فإذا جُلُّ مواعيـ * ـدِكَ والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

لنا كلَّ عامٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ * ووقت اذا ماراًس حولٍ تَجَرَّما [1]

فإن أوعدتْ شرًّا أتى دون وقتِه * وإن وَعَدَتْ خيرا أراثَ وأعتَما [2]

(١) تجرّم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبــد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوّجه ابنته ؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوّجه إياها ، وقال : كَرِهتُ أن ألقى الله عزّ وجلّ بثُلُث النفاق .

وقال الطائىّ :

تقولُ قولَ الذى ليس الوفاءُ له ، خُلُقًا وتُعجِزُ إنجازَ الذى حَلَفَا

وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيّه إسماعيل صلّى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشّار يمدح :

اذا قال تمّ على قــوْلِه * وماتَ العَنَـاءُ بِـلَا أو نَعَمْ
وبعضُ الرجالِ بمـوْعُوده * قريبٌ وبالفعلِ تحت الرَّجَمْ[1]
كجَارى السَّرابِ ترَى لَمْعَـهُ * ولستَ بواجده عنـــد كَمّْ

وقال العبّاس بن الأحنف :

ماضرّ مَنْ قطعَ الرجاءَ ببخله * لو كان علّلنى بوعدٍ كاذبِ

وقال آخر :

عسى منك خيرٌ من نَعَمْ ألفَ مرّةٍ * مِنَ آخَرَ غالَ الصِّدقَ منه غوائلُهْ

وقال نُصَيْب :

يقول فيُحسِنُ القولَ ابنُ يسيرٍ * ويفعل فوق أحسن ما يقولُ

وقال زيادٌ الأعجم :

لله درُّك من فتًى * لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ
لا خير فى كذب الجوا * د وحبّذا صِدقُ البخيلْ

---

(١) الرجم (بالتحريك) [illegible] : الحجارة التى توضع على القبر ، يريد أنه فى تحقيق وعده كاذب .

والعرب تضرب المثلَ فى الخُلف بعُرْقوب . قال ابن الكلبىّ عن أبيه : كان عُرْقوب رجلًا من العماليق، فأتاه أخٌ له فسأله شيئا، فقال له عُرْقوب : اذا أَطْلَعَ نخلى.[1] فلما أَطْلع أتاه، قال : اذا أَبْلح . فلما أبلح أتاه، فقال : اذا أَزْهى.[2] فلما أزهى أتاه، قال : اذا أَرْطَب . فلما أرطب أتاه، قال : اذا صار تمرا. فلمـا صار تمراً جَدَّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئا .

قال كعبُ بن زُهَير :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مواعيـدُها إلّا الأباطيـلُ

وقال الأشجعىّ :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منك سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بِيَتْرَبِ[3]

هكذا قرأته على البِصْريين فى كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ * نَعَمْ، أقضِها قُدْما وذلك من شَكْلى

وإن قلتُ لا ، بيّنتُها من مكانها * ولم أُوذِهِ منها بجبـرٍ ولا مَطْـلِ

وللبَخْلَةُ الأولى أقـلُّ مَلامـةً * من الجُـود بَدْءًا ثم يُتْبع بالبُخْلِ

وقال أبو نُوَاس لامرأة :

أنضيتِ أحرفَ لا مما لَهِجتِ بها * فـوّلى رحلَها عنهـا الى نَعَمِ

أو حوّليها الى «لا» فهى تَعْدِلُها[4] * إن كنتِ حاولتِ فى ذا قلّةَ الكَلِمِ

قِسـتُمْ علينا فعارضـنا قياسَـكُمُ * يا مَنْ تناهَى اليه غايةُ الكَرَمِ

---

(١) أطلع النخل : خرج طَلْعه . (٢) أزهى : تلوّن تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترب بالتاء المثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا فى الأصول، وفى ديوانه «أو حولوها اليها فهى تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها الى «ها» التى بمعنى «خذ» فكتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها، و«ها» تعدل «لا» فى قياسها لفظا . وبين ما فى الأصل وما فى الديوان تغيير طفيف فى هذه الأبيات .

وفى هذا معنًى لطيفٌ .

كتب رجلٌ الى صـديق له : قد أوردتك رجائى بعد الله ، وتعجَّلتُ راحة اليأس ممن يجود بالوعد ويَضَنُّ بالإنجاز، ويحسُدُ أن يُفْضَل، ويَزْهَدُ أن يُفْضِل، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق .

٥ وقال آخر :

وذى ثقةٍ تبدَّلَ حين أثْرى ٭ ومن شِيَمِى مراقبةُ الثِّقاتِ

فقلتُ له عَتَبْتَ علىّ إثمًا ، فِرارًا من مَؤوناتِ العِدَاتِ

فعُـدْ لمودّتى وعلىّ نَذْرٌ ٭ سألْتُك[1] حاجةً حتّى المماتِ

وقال آخر فى أصحاب النبيذ :

١٠ مواعيدُهم رِيحٌ لمن يَعِدونَه ٭ بها قطعُوا بردَ الشتاء وقاظُوا

وقال مسلم :

لسانُك أحلَى من جَنَى النحلِ موعدًا ٭ وكفُّكَ بالمعروف أضيقُ من قُفْلِ

تُمَنِّى الذى يأتيـك حتّى اذا انتهَى ٭ الى أملٍ ناولتَـه طرَفَ الحبـلِ

وسأل خَلَف بن خليفة أبانَ بن الوليد أن يَهَبَ له جاريةً، فوعده وأبطأ عليه،

١٥ فكتب اليه :

أرى حاجتِى عند الأميرِ كأنّما ٭ تَهُـمُّ زمانًا عنـده بمُقامِ

وأَحْصَرُ من إذْكارِه إن لَقِيتُـهُ ٭ وصِـدْقُ الحيـاءِ مُلْجِمٌ بلِجامِ

أراهـا اذا كان النهـارُ نَسِيئةً ٭ وباللّيـلِ تُقضَى عندَ كلِّ منامِ

فيارَبِّ أخرِجْها فإنك مُخرِجٌ ٭ من المَيْتِ حَيًّا مُفصِحًا بكلامِ

٢٠ (١) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فتعلَمَ ما شُكرِى اذا ما قضيتَها[1] * وكيف صَلاتِى عندها وصيامى

وإنْ حاجتِى من بعد هذا تأخرتْ * خَشِيتُ لما بى أن أزور غُلامى

والعرب تقول : «أنجزَ حُرٌّ ما وعدَ» .

وقال أميّة بن أبى الصَّلْت لعبد الله بن جُدْعان :

أأذكُرُ حاجَتِى أمْ قد كفانى * حَياؤك إنّ شِيمتكَ الحياءُ

إذا أثنَى عليك المرءُ يومًا * كفاه من تعرُّضه الثناءُ

وقال الطائىّ :

وإذا المجدُ كان عَونِى على المر * ءِ تقاضَيْتُهُ بتركِ التقاضِى

وقال الزُّهْرِىّ : حَقِيقٌ على مَنْ أَوْرَقَ بوعدٍ، أن يُثمِر بفعل[2] .

وقال المُغيرةُ : من أخّر حاجةَ رجلٍ فقد تضمَّن قضاءها .

وقال الشاعر :

كفاكَ مُذَكِّرًا وجهِى بأمرِى * وحَسْبِى أن أراكَ وأنْ ترانِى

وكيف أحُثّ من يُعْنَى بشأنى * ويَعرِف حاجتى ويرى مكانى

وقال الشاعر :

ياصاحِ قُلْ فى حاجتى * أذكرتَها فيما ذكرتَا

إنّ السَّراحَ[3] من النجا * ح إذا شَقِيتَ[4] بما طلبتَا

---

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٩٤٤ طبعة أوربا) : «قضيتها» ، ويورد فيه بعد ذكر الأبيات : «فصدقه أبانه وبعث إليه بجارية» . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق) وفى الأصل : «حقيق من أيحر الخ ...» والظاهر أنه تحريف . (٣) قال فى اللسان مادة (سرح) : «وفى المثل السراح من النجاح ، أى إذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فآيسه ، فإن ذلك عنده بمنزلة الإسعاف» . وقال الميدانى بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة ، أى يجب أن تؤيسه منها إذا لم تقض حاجته» . (٤) فى الأصل : «شفيت» بالفاء .

وقال آخر :

في تصـدِّيكَ للطـالبِ إذْ كا * نَ بوعدٍ جرى به المِقـدارُ

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديقٍ له : إن من العَجَب إذ كار مَعْنِيٍّ، وحَثّ مُتيقِّظ، واستِبْطاءَ ذاكرٍ، إلّا أن ذا الحاجة لا يَدَعُ أن يقولَ في حاجته، حَلّ بذلك منها أو عَقَل . وكتابي تذكرةٌ والسلام .

وقال الطِّرِمّاح :

أَلِحُسْنِ مَنزِلِتي تُؤَخِّر حاجتي * أم ليسَ عندكَ لي بخيرٍ مَطْمَعُ

وقال حمزةُ بن بِيْض لمَخلَدِ بن يزيدَ بن المُهلَّب :

أتيناكَ في حاجـةٍ فاقضِها * وقُل مَرحبًا يجبُ المرحَبُ

ولا تَكِلَنّا إلى مَعْشـرٍ * متى يَعِـدوا عِدَةً يكذِبوا

وقال بعض المحدَثين :

حوائجُ النـاسِ كُلُّهـا قُضِيَتْ * وحاجتي لا أَراكَ تَقْضِـيها

أناقـةُ[1] الله حاجتي عُقِـرَتْ * أم نَبَتَ الحُـرْفُ[2] في نواحِيها

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز :

أأذكُرُ الضُّرَّ والبَـلْوَى التي نزلتْ * أم تكتفِي بالذي بُلِّغتَ من خبَرِي

وقال آخر :

أروحُ لتسليمٍ عليك وأغتـدِي * وحسبُكَ بالتسليمِ منّي تقاضيـا

كفى بِطِلابِ المرءِ ما لا ينـالُه * عناءً وباليأسِ المصرِّحِ[3] ناهيـا

---

(١) يعني ناقة الله هنا ناقة صالح التي عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل . ولعله يريد : أم أهملت ، فكنى بنبات الحرف في نواحيها عن الإهمال ، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله أرذله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذي ليس للإنسان معه أمل في شيء ، يقال : صرح الشيء تصريحا إذا صار خالصا .

وقال آخر :

ما أنتَ بالسّبب الضّعيف وإنما * نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنا اليك[1] وإنما * يُدعَى الطبيبُ لكثرة الأوْصَابِ

كتب بعضُ الكُتّاب الى بعض السلطان : أنا أنزهك عن التجمُّلِ لى بوعدٍ يطول به المَدَى ويَعْتَرِله الوفاء، وأُحِبّ أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعدُ من أن أختلِسَ الأمورَ منك آختلاسَ من يرى فى عاجلِكَ عِوضًا من آجِلك، وفى الراهنِ من يومِك بدلا من المأمول فى غَدِك، وألّا تكون منزلتى فى نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ عنه وتُسْتكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلّفُ ما فوق المفروله، وأن تختارَ[2] بين العذرِ والشكرِ؛ فالله يعلمُ أن آثرَ الحظّين عندى أحقُّهما عليكَ، وأصوبُهما الحالى عندك .

وفى كتاب : ذو الحرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّةِ، كما أنّ المتحرِّمَ به مذمومٌ على التناسِى والإزالة . ومن مذهبى الوقوفُ بنفسى دون الغايةِ التى يَقْتَضِى إليها حقّ، لأمرين : أحدُهما ألّا أرضى بدون الحق أزيدَ فى الحقّ . والثانى أن أرى النفيسَ من الحظّ زهيدا اذا أتى من جهة الإرهاقِ. ولِى ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التى كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لها، وحق الشكرِ الذى جعله الله وفاءً بالنعم وإن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُرَاعى المعالى وحافِظُ بقيّةِ الكرمِ؛ فأىُّ سبيلٍ لِلعذرِ، بل أىّ موضعٍ لِلإكداء بين حُرْمتى ورعايتكَ، وذِمَامِى وكرمِك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّلُ المعروف مُستخَفٌّ، وآخرُه مُستثقَلٌ؛ يكاد أوّلُه يكون للهوى دون الرأى، وآخرُه للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : ربُّ[3] الصّنيعةِ أشدُّ من ابتدائها .

---

(١) فى الأصل : «اليه» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) فى الأصل : «يختار» بالياء المثناة من تحت . (٣) ربُّ الصنيعةِ ربًّا : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السِّندىّ فى يزيدَ بن عمر [بن هُبيرة] :

ثلاثٌ [1] حُكْتُهنّ لقَرم [2] قيسٍ * وجِئْنَ الىّ صِفْرًا خائبات
أقام على الفُرات يزيدُ شهرًا * فقال الناسُ أيُّهما الفرات [3]
فيا عجبًا لبحرٍ فاضَ يسقى * جميعَ الناس لم يَبْلُلْ لَهاتى [4]

حال المسئول عند السؤال

قال الشاعر [5] :

سألناه الجزيلَ فما تلكَّا [6] * وأعطى فوق مُنيتِنا وزادا
مِرارًا ما أعودُ [7] إليه إلّا * تبسّم ضاحكا وثنَى الوسادا

وقال آخرُ :

قومٌ اذا نزل الغريبُ بدارهم * تركوه ربَّ صَواهلٍ [8] وقيانِ
وإذا دعوتَهُمُ ليومِ كريهةٍ * سدّوا شُعاعَ الشمسِ بالفُرسانِ
لا ينقُرونَ الأرضَ عند سؤالهم * لِتلمُّسِ العِلّاتِ بالعِيدانِ
بل يُسفِرونَ وجوهَهم فترى لها * عند السؤالِ كأحسنِ الألوانِ

وقال آخرُ :

يَجعَلُ المعروفَ والبِرَّ ذُخْرًا * ويَعُدُّ الحمدَ خيرَ التجارهْ

(١) يعنى ثلاث قصائد . (٢) كذا فى الشعر والشعراء للمؤلف . وفى الأصل : «لقوم» .
(٣) فى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه فى ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) «تأبّى» . (٧) فى الأغانى : «ما دنوت» . (٨) كذا فى العقد الفريد .
والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذى يخبط برجله و يده الأرض ولا يرغو ، وفى الأصل : «صياهل» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئته تجتديه * خلته بشرته بشاره
فترى فى الطرف منه حياء * وترى فى الوجه منه استناره

وقال آخر :

إذا غدا المهدىُّ فى جنده * أو راح فى آل الرسول الغضابْ
بدا لك المعروف فى وجهه * كالضوء يجرى فى ثنايا الكعابْ (١)

وأنشدنى العُتْبىّ :

له فى ذُرَى المعروف نُعمى كأنها * مواقع ماءِ المُزن فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون توقدتْ * عليه مصابيحُ الطلاقة والبِشرِ

والمشهور فى هذا قول زهير :

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تُعطيه الذى أنت سائلُهْ

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِه] شيئا، فقال :

كدحتُ بأظفارى وأعملتُ مِعْوَلى * فصادفتُ جُلْمودًا من الصخر أملسا
تشاغلَ لما جئتُ فى وجه حاجتى * وأطرقَ حتى قلتُ قد مات أو عسى
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيته * يفوقُ فُواقَ [الموت] (٢) ثم تنفسا
فقلتُ له لا بأسَ، لستُ بعائذٍ (٣) * فافرخْ (٤) تعلوه الكآبةُ مُبلِسا

وقال مسلم :

أطرقَ لما أتيتُ ممتدحًا * فلم يقل "لا" فضلا على "نعم"

(١) الكعاب : جمع كاعب، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم : ثنتان فى الفك الأعلى وثنتان فى الأسفل .   (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن .
(٣) العائذ : الملتجئ . وفى الأصل : «بعائد» بالدال المهملة .   (٤) فأفرخ : ذهب روعه، وفى الأصل : «فأفرج» بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

نخفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به * فقمتُ أبغى النَّجاةَ من أَمَمِ (١)

لو أنّ كنزَ البــلادِ فى يده * لم يَدَعِ الإعْتِــلالَ بالعَــدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِىّ :

فلما أن أتيناه وقلنــا * بحاجتنا تلوَّنَ لونَ وَرْسِ (٢)

وآضَ بكفّه يَحْتكُّ ضرسًا * يُرينــا أنه وَجِعٌ بضرسِ (٣)

فقلتُ لصاحبى أبه كُزازٌ (٤) * وقلتُ أُسِرُّه أتُراه يُمْسِى

وقمنا هاربيْن معًا جميعًا * نُحاذِرُ أن نُزَنَّ (٥) بقتلِ نفسِ

قال الأصمعىّ :

دخل أعرابىّ على المُساوِرِ الضّبّىّ وهو بُنْــدارُ (٦) الرّىّ ، فسأله فلم يُعطِه شيئا ، فأنشأ يقول :

أتيتُ المساورَ فى حاجــةٍ * فما زال يَسعُلُ حتى ضَرَطْ

وحكّ قفــاه بكُرْسُوعِه (٧) * ومَسّــحَ عُثْنُونَه وامتخطْ

فأمسكتُ عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقطِّعُ شَرْجَ (٨) السَّفَطْ

فأُقسِمُ لو عُــدتُ فى حاجتى * لَلَطّــخَ بالسَّلْحِ (٩) وَشْىَ النَّمَطْ (١٠)

وقال غَلِطْنا حسابَ الخــراج * فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال : فكان العاملُ كلّما ركِبَ صاح به الصّبيانُ . « من الضرط جاء الغلط » فهرب من غير عَزْلٍ الى بلاد أصبهانَ .

(١) من أمم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) آض : صار وعاد . (٤) الكزاز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) نزن : نتهم . (٦) البندار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر . (٨) الشرج بالتحريك : العرى ، وسكن للضرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرج السفط هنا كناية عن الاست . (٩) السلح : النجو . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهارُ بنُ تَوسِعةَ فى قُتيبةَ بن مسلم :

كانتْ خُراسانُ أرضا اذ يزيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفتوحُ
فَبُدِّلَتْ بعــدَه قِردًا نُطِيفُ به * كأنما وجْهُــهُ بالخلِّ مَنضُوحُ

وقال جرير[1] :

يَزيدُ يَغُضّ الطَّــرفَ دونى كأنّمـا * زَوَى بين عينَيْــه علَــىَّ المحاجِمُ[2]
فلا يَنبَسِطْ من بينِ عينَيْكَ ما آنزَوَى * ولا تَلقَــنِى إلا وأنفُــكَ رَاغِــمُ

وقال آخرُ :

لا تَسألِ المرءَ عن خلائِقه * فى وجهِهِ شاهدٌ من الخبَرِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن الأبَحّ[3] عن البَتّىّ قال قال محمــد بن واسع :
إنك لتعرِفُ فُجورَ الفاجر فى وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالى أرى الناس قــد أبرقُوا[4] * بلُؤمِ الفِعال وقــد أرعدوا
اذا جئتَ أفضلَهم للســلا * م ردّ وأحشاؤه تُرْعَــدُ
كأنكَ، من خشيةِ للسّــؤا * ل، فى عينه الحيّةُ الأســودُ[5]

---

(١) نسب المبرّد فى الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيبانى ، وورد فى الأغانى فى ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادّة «زوى» ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجام . (٣) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا «الأبج» بالباء المثناة من تحت ، ولم نعثر فى الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد فى تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبح ، فلعله محرّف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» وفى هذه الحالة يسمى «أثلم» . وقد ورد فى ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... ... الخ .

(٥) كذا فى ديوانه ، وفى الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر :

اذا ما الرزق أحجم عن كريم * فألجأه الزمانُ إلى زيادِ

تلقّاه بوجـــهٍ مُكفَهِـــرٍّ * كأنّ عليـــه أرزاق العبـادِ

وقال آخَر :

ولى خليـــلٌ ما مسّنى عَدَمٌ * مذ نظرتْ عينُه الى عَدَمِى

بشّرنى بالغِـــنَى تهلُّـلُه * وقبل هـــذا تهلُّلُ الخَـــدَمِ

وبهجةُ الزائرين بيِّنَـــةٌ * تُعرَف قبل اللقاء فى الحَشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال : انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّؤَلى] :

(١)
ليت شـعرى عن أميرى ما الذى * غاله فى الـوُدّ حـــتى ودَعَـــهْ

لا تُهِنِّى بعـــد إذ أكرمتَنى، * وشـــديدٌ عادةٌ مُنـــتزَعَهْ

(٢)
أذكرِ البلْوى الـــتى أبليتَنى * وكلامًا قُلتَـــهُ فى المَجْمَعَـــهْ

لا يكُنْ برقُـــك برقًا خُلَّبًـــا * إنّ خيرَ البَرقِ ما الغيثُ معَـــهْ

والمشهورُ فى هذا قولُ الأعشى :

عَوَّدتَ كِندةَ عادةً فاصبِرْ لهـــا * وٱغفِـــرْ لجاهلها ورَوِّ سِجالَهـــا

(١) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحترى (ص ٢٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبى أنس الليثى وهى :

سل أميرى ما الذى غيّر لى * ودّه والصنع حتى ودّعه

ما الذى أنكر منى فأتى * وهو يبدى لى أمورا شنعه

لا تهنى بعد إكرامك لى * وشـــديد عادة منتزعه

واذكر العهد الذى عاهدتنى * وحديثا قلته فى المجمعه

ليت من يسعى بسوء بيننا * جنّه الليـــل بأرض مسبعه

(٢) المجمعة : مجلس الاجتماع، قال الشاعر : وتوقد ناركم شررا ويرفع * لكم فى كل مجمعة لواء

سأل أعرابىّ قوماً، فرقّ له رجلٌ منهم فضمّه اليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابىّ :

تسرّى[1] فلمّا حاسبَ المرءُ نفسَه * رأى أنه لا يستقيم له السَّرْوُ

وقدِم أبو زيادٍ الكِلابىّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمَة[2]، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفا لكل رجلٍ ثم قطَعه؛ فقال أبو زياد :

إن يقطعِ العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يأتِى من نِعمةِ الله أكثرُ[3]

والحكماء تقول : «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ» .

وفى الحديث : «الخيرُ عادةٌ والشرُّ لجاجةٌ» .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضرَبنا فى البلاد فلم نجِد * أحدا سِواكَ الى المكارم يُنْسَبُ

فاصبِرْ لعادتك التى عوّدتَنا * أوْلا فأرشِدْنا الى مَنْ نَذهَبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفا ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد يتمّ : «شَوَى أخوكَ حتى اذا أنضجَ رمّد»[4] .

قال أبو كعب القاصّ : كان رجل يجرِى علىّ رغيفا فى كلّ يوم، وكان يقول اذا أتاه الرغيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعننى إن تركتُك حتى أُصيبَ خيرا منك .

والعربُ تقولُ فى مثل هذا : «خُذْ من الرَّضَفةِ ما عليها»[5] .

(١) تسرّى : تكلف السرو، والسرو : السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدم شرحه فى صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . ورمد : ألقى الشىء فى الرماد . وفى الأصل : «رمّل» باللام وهو يصح به المعنى أيضا .

(٥) هذا المثل يضرب فى اغتنام الشىء من البخيل وإن كان نزرا ، والرضفة : الحجارة المحماة يوغر (يسخّن) بها اللبن، وهى اذا ألقيت فى اللبن لزق بها شىء منه .

وقال الشاعر :

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّه * إنّ اللئيم بما أتى معذورُ

ومعذور : موسوم فى موضع العِذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

٥ حدّثنى شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف [(١)] قال قال صلى الله عليه وسلم : "اذا صلّى [(٢)] أحدُكم فليُدْنِ عليه من سِتر بيته فانّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناء كما يَقسِمُ الرزقَ" .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سعيد عن أبى عِمران الجَوْنى عن عبد الله بن الصّامت قال قال أبو ذرّ : قلتُ للنبىّ صلى الله عليه وسلم : الرجلُ يعمَل العمَلَ

١٠ ويحبّه الناس؟ قال: "تلكَ عاجِلُ بُشْرَى المؤمنِ". وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إذا أردتم أن تعلَموا ما للعبدِ عند الله فانظُروا ما ذا يَتْبَعُه من الثَّناءِ" .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الثناء يُضاعَفُ كما تُضاعَفُ الحسناتُ، يكون الرجل سخيًّا فيزيدُ الله فى سخائه، و يكون شُجاعًا فيزيدُ الله فى شجاعته .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن العُمَرىّ قال : قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب

١٥ رضى الله عنه : إنّ فلانًا رجلُ صِدْقٍ ، قال : سافرتَ معه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك و بينه خُصُومةٌ ؟ قال لا . قال : فهل ائتمنته على شىءٍ؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم لك به، أُراك رأيتَه يرفع رأسَه ويَخفِضه فى المسجد ! .

(١) ترجم له فى الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال فى التهذيب : « و يقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحديث فى الجامع الصغير هكذا : « اذا صلى أحدكم

٢٠ فليصل الى سترة وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعضُ الحكماء : إذا قَصُرتْ يدُك عن المكافأة فليَطُلْ لسانُك بالشكر .

وقال آخرُ : حقُّ النّعمةِ أن تُحسِنَ لباسَها، وتنسُبَها إلى وليِّها، وتذكرَ ما تناسى عندك منها .

وقال بعضُ الحارثيّين :

عثمانُ يعلمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ * لكنّه يشتهي حمدًا بمجّانِ
والناسُ أكيسُ من أن يحمَدوا أحدًا * حتى يرَوا قبلَه آثارَ إحسانِ

وقال حمّادُ عَجْرد :

قد ينقضي كلُّ ما أُوليتَ من حسَنٍ * إذا أتى دونَ ما أُوليتَ يومانِ
تنأى بُودّك ما آستغنيتَ عن أحدٍ * وإن طمِعتَ فأنتَ الواصلُ الدّاني
الشّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضتْ * وحنظَلٌ كلّما آستغنيتَ خُطْبانُ (١)

وقال عِمرانُ بن حِطّان :

وقد عرَضتْ لي حاجةٌ وأظُنُّني * بأنّي إذا أنزلتُها بك مُنجِحُ
فإن أكُ في أخذ العطيّة مُربِحًا * فإنك في بذل العطيّة أربَحُ
لأنّ لك العُقبى من الأجرِ خالصًا * وشُكريَ في الدنيا، فحظُّك أرجحُ

وقال معاويةُ بن أبي سُفيانَ يعاتب قُريشًا :

اذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتُمُ * وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكرُ
وما لمتُ نفسي في قضاء حقوقكمْ * وقد كان لي فيما آعتذرتُ به عُذرُ
وأمتحِكُمْ مالي وتَكفُرُ نعمتي * وتَشتِمُ عِرضي في مجالسها فِهرُ

(١) أخطب الحنظل : أصفر وصار خطبانا وهو أن يصفر وتصير فيه خطوط خضر . وفي الأصل : « حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

إذا العذرُ لم يُقبَلْ ولم ينفعِ الأسى * وضاقت قلوبٌ منهمُ حشوُها الغِمرُ[1]

فكيف أُداوِى داءَكم ودَواؤُكم * يَزِيدكم غيًّا ! فقـد عَظُمَ الأمرُ

سأَحرِمُكُمْ حتى يَذِلّ صِعابُكم، * وأبلَـغُ شيءٍ في صَلاحِكمُ الفقـرُ

وقال طُرَيح الثَّقفىّ :

سَعيتُ ابتغاءَ الشكر فيما صنعتَ بى * فقصَّـرتُ مغلوباً وإنى لشـاكرُ

ومثله قول الخُرَيمىّ :

لِأنك تُعطِيـنى الجزيلَ بَداهـةً * وأنت لِـمَا استكثرتُ من ذاك حاقرُ

ومثلُه قولُه أيضـا :

زاد معروفَكَ عنـدى عِظَمًا * أنه عنـدك مَحقُورٌ صغيرُ

تتنَاساه كأنْ لم تأتِه * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

قال رجل لبعض السلطان : المواجهةُ بالشكر ضربٌ من المَلَق ، منسوبٌ من عُرِف بها الى التخلّقِ[2] ، وأنت تَمحُنى من ذلك وترفع الحالُ بيننـا عنه ، ولذلك تركتُ لقاءك به ، غيرَ أنى من الاعتراف بمعروفك ونَشرِ ما تَطوِى منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والانتسابِ إلى التقصير مع الإطناب فى وصفه ، على ما أرجو أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصَّنيعة، الناهض بحقِّ النعمة .

قال ابنُ عنقاء الفَزارىّ :

رآنى على ما بى عُمَيلَةُ فاشتكَى * الى ماله حالى أسَرّ كما جَهَرْ

دعانى فآسانِى ولو ضَنّ لم أَلُمْ[3] * على حين لا بَدْوٌ يُرجَّى ولا حَضَرْ

فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فعلَه[4] * وأوفاك ما أسديتَ مَن ذمّ أو شكَرْ

---

(١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر فى خلقه خلاف ما فى نفسه .

(٣) فى ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ضن» . (٤) أثنيت فعله أى على فعله ، بحذف حرف الجر، ويجوز أن يكون عدّى أثنى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للتبريزى) .

وقال آخر[١] :

ساشكر عمرًا إن تراخت منيّتي * أيادِيَ لم تُمنَن وإن هي جلّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظهِرِ الشكوَى اذا النعلُ زلّتِ
رأى خَلّتي[٢] من حيثُ يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينَيْه حتى تجلّتِ

وقرأتُ فى كتاب للهند : أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة : مُسَارُّ الأصمّ ، والباذرُ فى السَّبِخَة ، والمُسْرِجُ فى الشمس ، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكرَ له .

وقال بعضُ الشعراء المُحْدَثين ، وقيل : إنه للبحترىّ ، فبعثتُ إليه أسأله عنه فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ * إذا ما تأمّله الناظرُ
لبيّنتُهُ لك حتّى تراه * فتعلَمَ أنّى امرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكنٌ فى الضمير * يُحرّكه الكَلِمُ السائرُ

وقال آخرُ :

فلو كان يَستغنى عن الشكر سيّدٌ * لِعِزّة مُلْكٍ أو عُلوِّ مكانِ
لما أمر اللهُ الجليلُ بشكره * فقال آشكرونى أيها الثّقلانِ

وقال آخرُ :

فأثنُوا علينا لا أبًا لأبيكمُ * بإحساننا إنّ الثناءَ هو الخُلْدُ

وقال رجل من غَنِيّ :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدّثوا * ومن الثناء مَهالكٌ وخُلودُ

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٧ طبع أوربا) .
(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تتمثّل بقول الشاعر :

يَجزيكَ أو يُثنى عليـك وإنّ مَنْ * أثنى عليك بمـا فعلتَ كمن جَزى

وقال الحارثُ بن شدّاد فى علىّ بن الربيع الحارثىّ :

النـاسُ تحتك أقـدامٌ وأنت لهم * رأسٌ وكيف يُسوّى الرأسُ والقدمُ

لحسْبُه من ثناء المادحين إذا * أثنَوا عليـك بأن يُثنوا بمـا عَلِموا

وقال آخرُ :

بأىّ الخصلتين عليك أُثنى * وإنى عند منْصرَفى مَسُولُ

أبالحُسنى وليس لهـا ضياءٌ * علىّ فمَنْ يُصـدِّقُ ما أقـولُ

أم الأُخرى ولستَ لها بأهلٍ * وأنت البحرُ من ذهبٍ يسيلُ

وقال بشّار :

أُثنى عليـك ولى حال تُكذّبنى * فيما أقول فأستحيي من النـاسِ

قد قلتُ إنّ أبا حفصٍ لأكرمُ مَنْ * يمشى فخاصمنى فى ذاك إفلاسى

وكتب بعض الكتّاب إلى وزير : لستَ تُشبه حالَنا فى الحُرمة ، ولا تُشبه حالَك فى الجاه والقُدرة ، ولا ظاهرُ ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرمتى حرمةٌ ، ولا فوق سَبَبى سببٌ ، ولا بعـد حالك حالٌ يُرتجى ، ولا بعـد منزلتك منزلةٌ تُتمنّى ، ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره ، ولا أتوقع حقًّا أزيدُه فى حقوق ، ولا نتوقّع فائدة تزيدها فى ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتُموّه بالمعـانى ، والنـاس يحتجّون بالعمـل ويقضون بالعيان .

وقال بعض الشعراء :

وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صـنعتُه * إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشكرِ

وقال أبو الهَوْل فى أبى المراء عُتْبة بن عاصم :

اذا فاخرتْنَــا من معَدٍّ عِصابةٌ * فخرنا عليهــا بابن عُتْبَةَ عاصِمِ
يجُرّ رِياطَ الحمدِ فى دار قومه * ويختالُ فى عِرْضٍ من الذمّ سالِمِ

وقال رجل لبعض السلطان : مِثلك أوجب حقّا لا يجب عليـه ، وسمَح بحق يجب له ، وقبِــل واضحَ العذر، وٱستكثرَ قليلَ الشــكرِ . لا زالت أياديك فوق شكرِ أوليائك، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غايةٍ من شكرك ، إلا وجدتُ وراءَها غايةً من معروفك يَحْسُرُنى[1] بلوغُها . وما عَجَز الناسُ عنه فالقُه من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ [لك] تبلغه ، وأملٍ فيك تُحقِّقُه، حتى تَتَمَلَّى من الأعمار أطولَها ، وتنالَ من الهِبَاتِ أفضلَها .

ونحو هذا قولُ آخر :

كان لى فيك أمَلانِ : أحدُهما لك، والآخَرُ بك . فأمّا الأملُ لك فقد بلَغْتَه ، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقِّقَه الله ويُوشِكَه .

وفى كتاب آخر :

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ، والمُتْعةُ بها وإن كثُرتْ قليلةٌ، والمعروفُ وإنْ أُسْدِىَ الى من يَكفُرُه مشكورٌ بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكُتّاب :

وما ذكرتُ — أعزّك الله — من ذلك قديمًــا ولا جَدّدتَ منه حديثًا ، إلّا وأصغرُ أملِى فيك فوقَه وإن كان ٱستحقاقى دونه . فإن أفضَ واجبَ حقِّ الله علىّ

(١) يحسرنى (من باب نصر، ويجوز فيه أحسر أيضا) : يعيينى ويتعبنى .

فى شكرِ نِعَمك فبتوفيقِه وعَوْنه، وإن أُقَصِّرْ عن كُنْهِه فمن غيرِ تقصيرٍ فى بلوغ الجُهدِ فيـــه .

وفى هذا الكتاب :

أمّا ما بَذَلَ الأميرُ من ماله، فذلك ماقد سَبَق الرجاءُ بل اليقينُ اليه، مَعْرِفةً منّى بطَوْله وكرمه، وليس يُنكِرُ أياديَه ولا يَدَعُ صنائعَه . وما يُرشِدُنى أملى بعد الله إلّا اليه، ولا أفزَعُ لحادثةٍ الى غيره، ولا أتضاءلُ لنائبة معه. ولو عَجَزتُ عن النّهضة لَمَا حاولتُ الاستقلالَ والانتعاشَ إلّا به وما لُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عند انقطاع الحِيَل، لا مُعَنَّفٌ طالبُه، ولا مُخَوَّفٌ على الرّدّ عنه واهبُه، ولا عائقَ مَنْعٍ دونه، ولا تنغيصَ من ورائه ؛ ولا كنزَ أولَى بالصون وأن يُجعَلَ وَقْفًا على النوائب والعواقبِ مِنْ كنزٍ مَنْ هذه حالُه .

قالت بنو تميم لِسَلَامةَ بن جَنْدَل[1] : مَجِّدْنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتّى أقولَ .

ونحوُه قولُ عمرو بن مَعْديكَرِب :

فلو أنّ قومى أنطقتْنى رِماحُهم * نطقتُ ولكنّ الرّماحَ أجَرّتِ[2]

قال رجل من قريش لأشعبَ : والله ما شكرتَ معروفى عندك ؛ فقـال : إنّ معروفَك كان من غيرِ مُحتسِبٍ، فوقع عند غيرِ شاكرٍ .

وقال أبو نُوَاس :

أنت امرؤٌ أوليتَـــنى نِعَمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفا

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢) وفى الأصل : « جندب » بالباء وهو تحريف . (٢) أجرّت : قطعت، يقول : لو قاتل قومى أو أبلوا لذكرت ذلك وفخرت بهم ، ولكن رماحهم أجرّتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليكَ بعد اليومِ تَقْدِمةٌ * وَٱلْتَّـكْ[1] بالتصريحِ مُنكشِفَا

لا تُحدِثَنَّ إليَّ عارفـةً * حتَّى أقومَ بشكرِ ما سَلَفا

وقال أبو نُخَيْلة :

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يَقضِى

فأحييتَ من ذكري وما كان مَيِّتاً[2] * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعض

آخر :

لأشكُرنّك معروفًا هَممتَ به * إنّ ٱهتمامَك بالمعروفِ معروفُ

ولا أَلومُك إن لم يُمْضِه قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسعيد بن جُبَير : المجوسيُّ يُولينى خيرًا فأشكرُه، ويُسلِّمُ علَيَّ فأردُّ عليه ؛ فقال سعيد : سألتُ ٱبنَ عبّاس عن نحو هذا، فقال لى : لو قال لى فرعونُ خيرا لرَدَدتُ عليه مثله .

أنشد ٱبن الأعرابيّ :

أهلكتْنى بفلانٍ ثِقَتِى * وظُنونٌ بفلانٍ حسنَهْ

ليس يَستوجبُ شكرًا رجلٌ * نِلتُ خيرًا منه من بعد سنَهْ

وقال بعضهم : لا تَثِقْ بشكرِ من تُعطيه حتى تمنَعه ؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر .

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

سأَجْزِيكَ أو يَجْزِيكَ عَنِّى مُثوِّبٌ[3] * وقَصْدُكَ أنْ يُثْنَى عليك وتُحْمَدِى

(١) والتك : تابعتك ، وفى ديوانه المطبوع : فإليك قبل اليوم تقدمة * لاتنك بالتصريح مكشفا

(٢) فى نهاية الأرب : * ونبهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا فى ديوانه طبع أوربا والأغانى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفى الأصل :

... . منى مثوب ، وحسبك منى أن أرد وأحمد وروى المصدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ « أشكَرُ من البَرْوَق » وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طِبتَ نَفْسًا عن تَنائِي فإننى * لأَطيَبُ نفسًا عن نَداك على عُسْرِى

فلستُ الى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً * على شِدّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِى

وقال آخر :

حَسْبُ امرئٍ إن فاتني غرضٌ * من بِرِّه أن فاتَه شُكرِى

إنّى اذا ضاق امرؤٌ يجَدًا[1] * عنّى اتّسعتُ عليه بالعُذْرِ

وقال الطائىّ لإسحاق بن ابراهيم :

ومُحَجَّبٍ حاولتُه فوجدتُه * نجمًا عن الركبِ العُفاةِ شَسُوعَا

أعدمتُه لمّا عَدِمتُ نوالَه * شُكرِى فرُحْنا مُعدِمَيْنِ جميعَا

وقال :

فإنْ يكُ أرْبَى عفوُ شكرِى على نَدَى * أُناسٍ فقد أربَى نَداهُ على جُهدِى[2]

وقال :

وكيفَ يجورُ عن قَصْدٍ لسانِى * وقلبى رائحٌ برِضاكَ[3] غادِى

وممّا كانتِ العلماءُ قالتْ * لسانُ المرءِ مِن خَدَمِ الفُؤادِ

وقال :

أبا سَعيدٍ وما وصفِى بمُتَّهَمٍ * على الثَّناءِ[4] وما شُكرِى بمُختَرَمِ

---

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل : « أدنى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ديوان أبى تمام وهو الذى يناسب البيت الذى بعده ، وفى الأصل : « بنداك » .

(٤) فى الديوان : « على المعالى » .

لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من نِعَمٍ * إنّي لفي الشكر أحظى منك في النِّعَمِ[1]

أنسى ابتسامَك والألوانُ كاسفةٌ * تبسُّمَ الصبحِ في داجٍ من الظُّلَمِ

رددتَ رونقَ وجهي في صفيحتِه * ردَّ الصِّقالِ بهاءَ الصارمِ الخَذِمِ

وما أُبالي، وخيرُ القول أصدقُه، * حقنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دمي

وقال :

فلا تكدَرْ حياضُك لي فإني * أمُتُّ اليك آمالًا طِوالا

وفِرْ جاهي علىَّ فإنّ جاهي[2] * اذا ما غُبَّ يومٌ كان مالا

وقال :

يا مِنّةً لك لولا ما أُخَفِّفُها * به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطِقِ

بالله أدفعُ عنّي ثِقْلَ فادحِها * فإنّني خائفٌ منه[3] على عُنُقي

وقال بشارٌ في عمرَ بنِ العلاء :

دعاني الى عُمَرٍ جُودُه * وقولُ العشيرةِ بَحْرٌ خِضَمّْ

ولولا الذي زعموا لم أكن * لأمدحَ رَيْحانةً قبلَ شَمّْ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازلَ : لِمَن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِك بالمكافأةِ، ولِمَن دونك بالإفضال عليه .

---

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت في الديوان هكذا :

لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من حَسَنٍ * إني لفي اللوم أحظى منكَ في الكرم

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفَر عِرضَه ووفره له لم يشتمه كأنه أجمله له طيبا لم ينقصه بشتم قال الشاعر :

ألكني وفِرْ لابن الفريرة عرضه * الى خالد من آل سلمى بن جندل

(٣) في الديوان «منها» .

قال إبراهيمُ بنُ المهديّ يشكر المأمونَ[1] :

رَددتَ مالى ولم تَمْنُنْ[2] علىّ به * وقبل ردِّكَ مالى قد حقَنتَ[3] دَمِى

فَأُبْتُ منـــكَ وقـد جلّلتَنِى نِعَماً * هى الحياتان من موتٍ ومن عَدَمِ

فلو بذلتُ دَمى أبغِى رِضــاكَ به * والمــالَ حتى أَسُلَّ النعلَ من قَدَمِى

٥ ما كان ذاكَ سِوى عاريّةٍ رجعَتْ * اليـكَ لولم تُعِــرْها كنتَ لم تُلَمِ

وقام علمُكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى * مقامَ شــاهدٍ عدلٍ غيرِ مُتَّهَــمِ

وقال آخرُ، وبلغنى أنه الخثعمىّ :

فاذْهَبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ الى جَنب قـبره فاعقِـرَانى

وانضَحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نَداه لو تَعلمانِ

١٠ وفد رجل على سليمانَ بن عبد الملك فى خلافته ؛ فقال له : ما أقدمكَ؟ قال : ما أقدمنى عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرَّغبةُ فقد وصلَتْ الينا وفاضتْ فى رحالنا وتَناولهــا الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرَّهبــةُ فقد أمِنّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سيرتِه فينا من الظلم ، فنحن وَفدُ الشكر .

وقال الفرزدقُ فى عمرو بن عُتبةَ :

١٥ لولا ٱبنُ عُتبــةَ عمْرُو والرجاء له * ما كانت البَصْرةُ الحمقاءُ لى وطَنَا

أعطانِىَ المــالَ حتى قلتُ يُودِعُنِى * أو قلتُ أُودِعَ لى مالاً رآه لنَــا

---

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدى وشكره للأمون وعفوه عنه ورد ماله وضياعه اليه فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) فى أمالى القالى : «ولم تمنن» . (٣) كذا فى أمالى القالى والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفى الأصل : «ما حقنت دمى» . وهى هنا مصدرية .

بجُودُهُ مُتعِبٌ شكرِى ومِنّتُه * وكلّما زدتُ شكرا زادنى مِنَنا

يَرمِى بهمّتِه أقصى مسافتِها * ولا يُريدُ على معروفِه ثمَنا

هذا مثل قول الأعرابيّ : ما زال فلانٌ يُعطِينى حتى ظننتُ أنه يُودِعُنى ماله . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ .

ويقال : خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ فى شمسٍ ، ومَطَرٌ جَوْدٌ فى سَبِخةٍ ، وحَسناءُ تُزفُّ الى عِنّينٍ ، وطعامٌ استُجِيدَ وقُدِّمَ الى سَكرانَ ، ومعروفٌ صُنِعَ الى مَنْ لا شكرَ له .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ فى النِّعم وأمانٌ من الغِيَر .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : اذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التّعزِيةُ ، واذا قَدُمَ الإخاء قَبُحَ الثناء .

بعثَ رَوْحُ بنُ حاتم الى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهم ، وكَتَبَ[1] اليه : قد بعثتُ بها اليك ، ولا أُقلِّلها تكبُّراً ، ولا أُكثّرها تمنُّناً ، ولا أستثيبُكَ عليها ثناء ، ولا أقطَعُ عنك بها رجاء .

وفى كتاب الهند : لاثَناءَ مع كِبْرٍ . وفيه : ستّةُ أشياءَ لاثَباتَ لها : ظِلُّ الغَمامِ ، وخُلّةُ الأشرارِ ، وعِشقُ النساءِ ، والمالُ الكثيرُ ، والسّلطانُ الجائرُ ، والثناءُ الكاذبُ .

والعربُ تقول : « لا تَهرِفْ[2] قبلَ أن تَعرِف » أى لا تُطنِبَنّ فى الثّناء قبلَ الاختبار .

(١) فى الأصل : «مكتب اليه» . (٢) هذه الرواية أشار اليها صاحب اللسان فى مادة «هرف» وفى مجمع الأمثال الميدانى : «لا تهرف بما لا تعرف» وهى الرواية المشهورة .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما مِن يدٍ فى الناس واحدةٍ * كيـدٍ أبو العبـاس مَولاها
نام الثِّقاتُ على مَضاجعهم * وسَرَى الى نفسى فأحياهَـا
قـد كنتُ خفتُكَ ثم آمنَنِى * من أن أخافَكَ خوفُـكَ اللهَ
فعفوتَ عنِّى عفوَ مُقتـدِرٍ * وجبَتْ له نِـقَـمٌ فألغاهَـا

٥

والبيتُ المشهور فى هذا قول النَّجاشىّ :

لا تحمَدَنْ امرأً حتى تُجَرِّبَه * ولا تذُمَّنَّ مَنْ لم يَبْلُه الخُـبْرُ

وقال آخَرُ فى الاختبار :

إنّ الرجالَ إذا اختبرْتَ طِباعَهم * ألفيتَهُمْ شتَّى على الأخبـارِ
لا تعجَلَنَّ الى شريعـةِ مَوْرِدٍ * حتى تبيَّنَ خُطّةَ الإصـدارِ

١٠

وقال الرِّياشىّ : أنشدَنى أبو العاليةِ :

اذا أنا لم أشكُرْ[1] على الخير أهلَه * ولم أذُمِمِ الجِبْسَ[2] اللئيمَ المذمَّمَا
ففيمَ عرَفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ * وشَـقّ لِىَ اللهُ المسامعَ والفَمَا

قال ابن التَّوأم : كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجِـع اليه، ولولا رجوعه اليه لمـا جاد عليك، ولو تهيأ له ذلك المعنى فى سِواك لمـا قصدَ اليك، فليس يجب له عليكَ شكرٌ.

١٥

وإنما يُوصفُ بالجود فى الحقيقةِ ويُشكرُ على النفع فى حُجّةِ العقل، الذى إن جاد عليك فلك جادَ، ونفعَك أراد، من غير أن يرجع اليه جودُه بشىءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحدَه لا شريكَ له . فإن شكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنا على

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص ٢٥٠) : « اذا أنا لم أمدح » . (٢) الجبس : الدنىء الجبان .

أيديهم، فلأمرين : أحدُهما التعبُّد ؛ وقد أمر اللهُ تعالى بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين وتعظيم مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضلَ منه . والآخرُ : لأن النفسَ مالا تحصّل الأمورَ وتميّزُ المعاني، فالسابقُ اليها حُبُّ مَنْ جرى لها على يديه الخيرُ وإن كان لم يُرِدْها ولم يقصد اليها . ألا ترى أنّ عطيّةَ الرجلِ صاحبَه لاتخلو أن تكونَ لله أو لغير الله ؛ فإن كانتْ لله فثوابُه على الله ؛ وكيف يجبُ[1] فى حجّة العقل شكرُه وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غيرى لما أعطانى ؛ وإما أن يكونَ إعطاؤه إياى للذكرِ ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلنى سُلّمًا الى حاجته وسببًا الى بُغيته ؛ أو يكونَ إعطاؤه إياى طلبا للمكافأة ؛ فإنما ذلك تجارةٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه لخوف يدى أو لسانى أو اجترار معونتى ونصرتى ، وسبيلُ هذا معروفٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه للرحمة والرقّة ولما يجدُ فى فؤاده من العصر والألم ، فإنما داوَى بتلك العطيّة من دائه ورقَى من خناقه .

وكان محمد بن الجهم يقول : نحوُ هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُك ما الناسُ أثنَوا عليك * ولا عظّموك ولا عظّموا[2]

ولا شايعوك على ما بلغْـ * ـتَ من الصالحات ولا قدّموا

ولو وجدوا لهمُ مطعنًا * الى أن يعيبوك ما جمجموا

ولكن صبرتَ لما ألزموك * وجُدتَ بما لم يكن يلزمُ

وكان قِراكَ اذا ما لقوكَ * لسانًا بما سرّهم يُنْعِمُ

وخفضَ الجناح ووشْكَ النجاح * وتصغيرَ ما عظّم المُنعِمُ

فأنتَ بفضلك ألجأتَهم * الى أن يُجِلّوا وأن يُنعِموا

وقال خلف بن خليفة الأقطع :

وفى اليأس من أن تسألَ الناسَ راحةٌ * تُميتُ بها عُسْرًا وتُحيى بها يُسْرَا

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظموا » أى أكثروا من نظم المدائح فيك .

وليس يسدّ أوليتها بغنيمـة * اذا كنت تبغى أن يمدّ لها شكرا

غنى النفس يكفى النفس ما سدّ فاقةً * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

قال ابن عائشة : بلغنى أنّ عبد الرحمن بن حسّان سأل بعض الولاة حاجةً فلم يقضها له ، فسألها آخر فقضاها[1] له ؛ فقال :

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتى * تولّى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأىٌ مقصّرٌ * ونفسٌ أضاق الله بالخير باعها

اذا هى حثّته على الخير مرّةً * عصاها وإن همّت بشرٍّ أطاعها

وقال ابن عائشة : قال رجلٌ يوما لابن عيينة : ما شىء تحدّثونه يا أبا محمد؟ قال : ما هو؟ قال : يقولون إن الله تعالى يقول : أيّما عبدٍ كانت له الىّ حاجةٌ فشغله الثناء علىّ عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أمنيّته ؛ فقال له : يابن أخى ، وما تنكر من هذا! أما سمعت قول أميّة بن أبى الصّلت فى عبد الله بن جدعان :

اذا أثنى عليه المرء يومًا * كفاه من تعرّضه الثناء

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : فى طلب الرجل الحاجة الى أخيه فتنةٌ : إن هو أعطاه حمد غير الذى أعطاه ، وإن منعه ذمّ غير الذى منعه .

حدّثنا الرّياشىّ قال : أنشدنا كيسان لدكين الراجز :

اذا المرء لم يدنس من اللّؤم عرضه * فكلّ رداءٍ يرتديه جميلُ[2]

اذا المرء لم يضرع عن اللؤم نفسهُ * فليس الى حسن الثناء سبيلُ

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفى الأصل : «فشفع رجل فقضيت حاجته» . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموءل بن عاديا اليهودىّ ، كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما ، والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

ويروى فى أمالى القالى هكذا : اذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ .

قال عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ اللّيثيّ[1] :

لا تَتْرُكَنْ ، إنْ صَنيعةٌ سَلَفَتْ * منكَ وإن كنتَ لا تُصَغّرُها

الى آمرئ ، أنْ تقولَ إن ذُكِرَتْ * عندكَ في الجِدّ لستُ أذكُرُها

فإنّ إحياءها إماتَتُها * وإنَّ مَنًّا بها يُكَدّرُها

وإن تولّى آمرؤٌ بشُكرِ يدٍ * فالله يَجزِي بها ويَشكُرُها

ويقال : أحيُوا المعروف بإماتته .

أبو سُفيان الحِمْيَريّ قال : كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَولَى خالد القَسْريّ ، وكان في ديوان الرسائل بواسط ، وكان مُوجِزًا في كُتُبه ، فكتب الى صديقٍ له : أما بعد ، فإنه لن يَعْدَمك من معروفك عندنا أمران : أجرٌ من الله وشكرٌ منّا . وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعضُ الكُتّاب الى بعض العُمّال : وما أتأمّلُ في وقت من الأوقات ولا يومٍ من الأيّام آثارَ أياديك لديّ ، ومواقعَ معروفك عندي ، إلا تَنَهّى التأمّل على ما يُحسِرُ الشكرَ ويُثقِل الظهرَ ، لأنك أنعشتَ من عَثْرَة ، وأنهضتَ من سَقْطة ، وتلافيتَ نعمةً كانت على شَفَا زَوالٍ ودُروس ، وتلقّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلّ بوجهٍ طَلِيق وباعٍ رَحِيب[2] . والسلام .

---

(١) أدينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثي . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء أهل المدينة وثقة ثبتا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضي الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته في كتاب الأغاني (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) في الأصل : «وبال» .

الترغيب فى قضـاء الحاجة وآصطناع المعروف

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنـا داود بن المُحَبَّر عن محمـد بن الحسن الهَمْدانى عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أخيه المسلم والسَّعْىَ معه فى حاجته قُضِيَتْ أَوْ لم تُقْضَ كُلِّف أن يسعى فى حاجة مَنْ لا يُؤْجَر فى حاجته . ومَنْ ترك الحجّ لحاجةٍ عَرَضَتْ له لم تُقْضَ حاجتُهُ حتى يرى رءوس المحلِّقين" .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنـا آبن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِشْفَعُوا إلىَّ و يَقْضِى اللهُ على لِسَانِ نَبِيِّكم ما شاءَ" .

بلغنى عن جعفر بن أبى جعفر المـازنىّ عن آبن أبى السَّرِىّ عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحببتَ أن يُحِبَّـك اللهُ فآزهَدْ فى الدنيـا وإن أحببتَ أن يُحِبّك الناسُ فلا يقع فى يدك من حُطامها شىء إلا نبذتَه اليهم" .

حدّثنى محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال آبن عُيَينَة : ليس أقول لكم إلّا ما سمِعتُ : قيل لآبن المنكدر : أىُّ الأعمالِ أفضـــلُ ؟ قال : إدخالُ السرور على المؤمن . وقيل : أىّ الدنيا أحبُّ اليك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا زَرِيرٌ[1] العُطَارِدِىّ قال : صلّى بنـا أبو رجاء العُطَارِدىّ العَتَمَةَ ثم أوَى الى فراشه، فأتته آمرأةٌ فقالت : أبا رجاء، إنّ

(١) ورد هـذا الاسم بالأصل هكذا : «زريك» بالكاف وهو تحريف، فقد جاء فى القاموس وشرحه مادة زرر : «سلم بن زرير بكرير من تابعى التابعين عطاردىّ مصرى سمع أبا رجاء العطاردىّ» .

لطارق الليل حقًّا، وإنّ بني فلان خرجوا الى سَفْوان[1] وتركوا كُتُبهم وشيئًا من متاعهم، فأنتعل أبو رَجاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ، وهو مسيرهُ ليلةٍ للإبل، والناسُ يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا آبن المبارَك عن حميد عن الحسن قال : لأَنْ أَقضِيَ حاجةً لأخٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ سنةً .

قال آبنُ عائشةَ : كان عمرو بن معاوية العُقيليّ يقول : اللهم بلِّغْني عثراتِ الكرام .

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهلّبيّ : أنت متلافٌ، فقال : يا أمير المؤمنين، مَنْعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

وكان ابنُ عبّاس يقول : صاحبُ المعروف لا يَقَعُ، فإن وقَع وجد مُتَّكأً. هذا نحوُ قولِ النبيّ صلى الله عليه وسلم : "المعروفُ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ" .

وكان آبن عبّاس يقول أيضا : ما رأيتُ رجلا أوْليتُه معروفا إلّا أضاء ما بيني و بينه، ولا رأيتُ رجلا أوْليتُه سوءا إلّا أظلم ما بيني و بينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تَعرِض للرجل قِبَلي فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستغنيَ عنها أو تأتِيَه وقد آستبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادِرْ بسلطان إذا كنتَ قادرًا * زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنك يُعقِب

---

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة وبه ماء كثير السافى (التراب) .

وقال آخر فى مثله :

بدا[1] حين أثرى بإخوانه * ففكّك[2] عنهم شباة[3] العَدَمْ
وذكّره الحزم غِبَّ الأمور * فبادَرَ قبل انتقال النِّعَمْ

وقرأتُ فى كتاب للهند: مَنْ صَنَع المعروفَ لعاجل الجزاء، فهو كمُلقِى الحبِّ ليَصيدَ به الطيرَ لا لينفعَه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافِئهم : رجل بَدَأنِى بالسلام ، ورجلٌ وسّع لى فى المجلس ، ورجل اغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادةَ التسليم علىّ ؛ فأما الرابع فلا يكافئه عنّى إلا الله جلّ وعزّ ، قيل : ومن هو؟ قال: رجل نزَل به أمرٌ فبات ليلَته يفكّر بمَنْ يُنزِله ، ثم رآنى أهلًا لحاجته فأنزلها بى .

وقال سَلْم[4] بن قُتَيْبة : رَبُّ[5] المعروفِ أشدّ من ابتدائه .

ويقال : الابتداء بالمعروف نافلة ، ورَبُّه فريضة .

قيل لبُزُرْجمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ شيئا ؟ قال : نعم ، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ ، فقد أصاب نصيبًا من معروفك .

قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلىّ أحدٌ بوسيلة هى أقربُ به إلى ما يُحِبّ من يدٍ سَلَفتْ منّى اليه ، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبَّها وحِفظَها ؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكرَ الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْرىّ ، فقال خالد : إنى لأُبغِض هذا الرجل وماله إلىّ ذنب ، فقال رجل من القوم: أَوْلِه[6] أيها الأمير معروفًا ففعل ، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «فصلّ» . (٣) الشباة : طرف السيف وحدّه ، وشباة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العدم وشدّته وحدّته .

(٤) فى الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشىء يربّه ربًّا : تعهده وأتمه .

(٦) فى الأصل : «وماله اليه ذنب» وهى لا تتفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يتمّ المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وستره، فإنه اذا عجّله هنّأه، وإذا صغّره عظّمه، واذا ستره تمّمه .

وقال الخُرَيمى فى نحو هذا :

زاد معروفَك عندى عِظَمًا * أنه عنــدك محقورٌ صغير
تتناساه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

وقال الطائى :

جودٌ مشيتَ به الضَّرَاءَ[1] تواضعًا * وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ
أخفيتَــه فخَفيتَه[2] وطويتَــه * فنشرتُه والشخصُ منه عَمِيمُ[3]

وكان يقال : سَتَرَ رجلٌ ما أولَى، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولِيَ .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فانسَوْها . وقالوا : المنّة تهدم الصنيعة . قال الشاعر :

أفسدتَ بالمنّ ما أسديتَ من حَسَنٍ * ليس الكريمُ إذا أسدى بمنّانِ

قال رجل لابن شُبْرُمة : فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا ؛ فقال : لا خيرَ فى المعروف إذا أُحصِيَ .

وفى بعض الحديث : "كلُّ معروفٍ صَدَقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله ونفسِه وولدِه صَدَقةٌ وما وقَى المرء به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقها فعلى الله خَلَفُها مثلها إلا فى معصيةٍ أو بنيانٍ[4]". وفى الحديث المرفوع "فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به

---

(١) هكذا ورد هذا الشعر فى ديوان أبى تمام الطائى (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الضاد وتخفيف الراء) : ما واراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشى فيما يواريك عمن تكيده وتختله ، يقال : لا أمشى له الضراء ولا الخمر أى أجاهره ولا أخاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم : الطويل التام . (٤) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : إنه البنيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى .

على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منكَ عليه وإماطتُك الأذى عن الطريق صدقةٌ مِنك على أهله ".

وكان يقـال : بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف .

وقال بعض الشعراء :

٥ وليس فتى الفتيانِ مَنْ راحَ واغتدَى * لشُربِ صَبوحٍ(١) أو لشُربِ غَبوقِ

ولكنْ فتى الفتيانِ مَنْ راح واغتدى * لِضَـــرِّ عدوٍّ أو لنفعِ صـــديقِ

قال ابن عباس : لا يُزهّدنّك فى المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه .

وقال حمّاد عَجْرد :

١٠ إنّ الكريمَ ليُخفى عنك عُسْرتَه * حتى تراه غَنِيّـا وهـــو مجهودُ

إذا تكرّمتَ أنْ تُعطى القليلَ ولم * تَقدِر على سَعَةٍ لم يَظهر الجودُ

وللبخيــلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ

أوْرِق بخيرٍ تُرَجّى للنوال فما * تُرجَى الثمارُ اذا لم يُورِقِ العُودُ

بُثّ النوالَ ولا تمنعْك قِلّتُـه * فكلُّ ما سَدّ فقرا فهـو محمودُ

١٥ والعـرب تقول : "مَنْ حَقَرَ حَرَمَ"(٢) .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْم بن قتيبة : أحدُهم يَحقِر الشىءَ فيأتى ما هو شرٌّ منه، يعنى المنع .

وقال الشاعر :

---

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق : ماشرب بالعشىّ . (٢) هذا ٢٠ مثل ذكره الميدانىّ وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته اذا عددته حقيرا أى من حقر يسيرا تما يقدر عليه ولم يقـدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفى الحديث : « لاتردّوا السائل ولو بظلف محرق » .

وما أبالى إذا ضيفٌ تضيَّفني * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودِى

جُهدُ المقِلّ إذا أعطاك مُصْطبِراً * ومُكثِرٌ مِن غِنًى سِيّانِ فِى الجودِ

وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصَّدقةِ جُهْدُ المُقِلّ" .

وقال البُرَيْق الهُذَلِيّ :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقرَه * على نفسِه ومُشِيعٌ غِناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف، فإن فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِىَ اللهُ على جَوازِيه، والبيت المشهور فى هذا قول الحُطَيئة :

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه[1] * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ويقال : إنه فى بعض كتب الله عزّ وجل .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه : إن أحسنَ الناس عيشا من حَسُنَ عيشُ الناسِ فى عَيْشِه، وإنّ مِن ألذِّ اللّذّة الإفضالَ على الإخوان . وفى الحديث المرفوع "إنّما لكَ مِن مالِكَ[2] ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ وما سِوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ" .

وقال بشارٌ :

أنفِقِ المالَ ولا تَشْقَ به * خيرُ دينارَيْك دينارٌ نَفَقْ[3]

قال بُزُرْجِمْهر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفِق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفق فإنها لا تَبْقَى . أخذه بعض المُحْدَثين فقال :

(١) قال ابن جنى : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أى لا يعدم جزاء عليه، جاز على جواز لمشابهة اسم الفاعل للصدر، فكما جمع سيل على سوائل، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر اللسان مادة جزى) . (٢) يروى : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ» . (٣) نفقت الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فنيت وذهبت .

فانفق إذا أنفقتَ إن كنتَ مُوسِرًا * وأنفِقْ على ما خَيَّلتْ[1] حين تُعْسِرُ

فلا الجودُ يُفني المالَ والجَدُّ مقبِلٌ * ولا البخلُ يُبْقِي المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

وفى "كتاب كليلة": لا يُعَدّ عائشًا من لا يُشارِك فى غِناه .

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهما ، فقال له : أتحبّ دِرهمَك هذا؟ قال : نعم ، قال : أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خُثَيْم لأخٍ له : كن وصيَّ نفسك ولا تجعلْ أوصياءك الرجالَ .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحْبِس مالى على حاجتى * وأُوثِر نفسى على الوارِثِ

أعاذِلُ عاجِلُ ما أشتهى * أحبُّ مِن المُبطِئ الرّائِثِ

قال عبيد الله بن عِكْراش : زمنٌ خَؤونٌ ، ووارِثٌ شَفُونٌ[2] ؛ فلا تأمنِ الخؤون وكن وارِثَ الشّفون .

وقال أبو ذَرّ: لك فى مالك شريكانِ اذا جاءا أخذا ولم يؤامِراك : الحَدَثان والقَدَر، كلاهما يمرّ على الغثّ والسمين ، والورثةُ ينتظرون متى تموت فيأخذون ما تحتَ يديك وأنتَ لم تقدّم لنفسك ؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسَّ الثلاثة نصيبا فافعل .

وقال سعيد بن العاص[3] فى خطبة له : من رزَقه الله رزقا حسنا فليكن أسعدَ الناس به فإنه إنما يترُك لأحد رجلين : إمّا مصلِحٍ فلا يقلّ عليه شىءٌ ، وإمّا مُفسِدٍ فلا يَبقى له شىء . فقال معاوية . جمع أبو عثمان طرَفَى الكلام .

(١) على ما خيلت أى شيمت وقوّمت ، ومعناه على أىّ حال . (٢) الشفون : الذى ينظر اليك كالكاره أو المبغض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «فليعق منه سرّا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به» .

وقال حُطَائط بن يَعْفُر :

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يكُنْ * لِيَ المالُ ربًّا تحمَدِى غِبَّه غدا

أرِينى جوادا مات هَزْلا لعلّنى * أرى ما ترَيْنَ أو بخيلًا مخلَّدا

وقلت ولم أعْىَ الجوابَ تبيّنى . أكان الهُزال حتفَ زيدٍ وأربدا

قال أعرابىّ : الدراهم مِيسمٌ تَسِمُ حمدًا أو ذمًّا ، فمن حبَسها كان لها ، ومن ٥ أنفقها كانت له ، وما كلّ من أعطى مالًا أُعطى حمدا ، ولا كلّ عديم ذميم .

وقال بعض المُحدَثين :

أنتَ للمال اذا أمسكتَه * فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ

حدّثنى يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تنزِلُ ١٠ المَعُونةُ على قدْرِ المؤُونة " .

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرو بن العاص : ما بَقِى من الدنيا تَلَذّه؟ قال : المريض الطويل ؛ قال : وما هو؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهرُ فأجبره ؛ قال : نحن أحقّ بهما منك ؛ قال : إن أحقّ بهما منك من سَبَقك إليهما . ١٥

وقال أعرابىّ :

وما هذه الأيام إلا مُعَارةٌ * فما اسطعتَ من معروفها فتزوّدِ

فإنك لا تدرى بأيّةِ بلدةٍ * تموت ولا ما يُحدث اللهُ فى غدِ

يقولون لا تَبْعَدْ ، ومن يك بعدُه * ذِراعَين من قُربِ الأحِبّة يَبْعَدِ

وقال آخر : ٢٠

إن كنتَ لا تَبْذُلُ أو تَسالُ * أفسدتَ ما تُعطِى بما تفعلُ

قال بعضهم : مضى لنا سَلَفٌ أهلُ تواصُلٍ، اعتقدوا مِنَنًا، واتّخذوا أيادىَ ذخيرةً لمن بعدهم : كانوا يرون اصطناعَ المعروف عليهم فرضا، و إظهارَ البِرّ حقًّا واجبا، ثم حال الزمان بنَشْءٍ اتخذوا مِنَنَهم صناعةً، و برّهم مرابحةً، وأياديَهم تجارةً واصطناعَ المعروف مقارضة كنقد السُّوق خذ منّى وهاتِ .

قال العُتْبى : وقع ميراثٌ بين ناس من آل أبى سفيان و بنى مروان، فتشاحُّوا فيه، فلما انصرفوا أقبل عمرو بن عُتْبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش دَرَجا تَزَلَّقُ عنها أقدامُ الرجال، وأفعالا تخشع لهـا رقابُ الأموال، وألْسُنًا تَكِلُّ معها الشِّفار المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنهـا الجيادُ المنسوبة، ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزيّنتْ إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلّقوا بأخلاق العوامّ، فصار لهم رفق باللؤم وخُرق فى الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها؛ إن خافوا مكروها تعجّلوا له الفقر، و إن عُجّلت لهم نعمة أخّروا عليها الشكر، أولئك أنضاء فكر الفقر[(1)] وعجزة حَمَلة الشكر .

قال بعض الحجازيّين :

فلو كنتَ تطلب شأو الكرام * فعلتَ كفعلِ أبى البَخْتَرى
تتبّع إخوانَه فى البلاد * فأغنَى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

القَنـاعة والاستعفاف

حدّثنى شيخٌ لنا عن وكيع عن ابن أبى ذِئْب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيدَ عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "مَن يتَقبّلُ لى بواحدةٍ[(2)]

(1) فى العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (2) فى تهذيب التهذيب للعسقلانى فى الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هـذا الحديث بالهامش هكذا : " من يتقبل لى بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هى؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وأتقبّلُ له بالجنة" فقال ثوبانُ : أنا يا رسول الله، قال : "لاتَسْأَلِ الناسَ شيئًا" فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يده نزل فأخذه ولم يَسألْ أحدا أن يُناوِلَه إياه .

وحدّثنى أيضا عن عبد الرحمن المحاربىّ عن الأعمش عن مجاهد قال : قال عمرُ رضى الله عنه : ليس من عبد إلا وبينه وبين رزقه حجابٌ، فإن آقتصدَ أتاه رزقُه وإن آقتحم هتَك الحجابَ ولم يَزدْ فى رزقه .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سفيان عن أسامه بن زيد عن أبى مَعْنٍ الإسكندرانىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الصَّفَا[1] الزَّلَالَ الذى لا تَثبُتُ عليه أقدامُ العلماء الطمعُ" . وقال عليه السلام : "إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نفسًا لن تموتَ حتى تَستكمِلَ رِزقَها[2] فاتّقُوا اللهَ وأجمِلُوا فى الطلب" .

قال آبن حازم :

للناس مالٌ ولى مالانِ مالَهُما * اذا تحارسَ أهلُ المالِ أحْرَاسُ
مالِى الرِضا بالذى أصبحتُ أملِكُه * ومالِىَ اليأسُ ممّا يملِكُ الناسُ

أخذ هذا من قول أبى حازم المدنىّ ، وقال له بعضُ الملوك : ما مالُكَ ؟ قال : الرضا عن الله، والغِنى عن الناس .

وقال بشّارُ بن بِشر[3] :

وإنى لعفٌّ عن فكاهةِ جارتى * وإنى لمشنُوءٌ الىّ اغتيابُها
اذا غاب عنها بعلُها لم أكن لها * زَءُورًا ولم تأنسْ الىّ كلابُها

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) فى الجامع الصغير « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا فى الأصل ولم نجد فى كتب الأدب التى بين أيدينا شاعرا بهذا الاسم ؛ وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات «اذا سد ... الخ» فى حماسة البحترى (ص ٣٤٢ طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمى .

وَلم أكُ طَلَّابًا أحاديثَ سِرِّها * ولا عالمًا من أيِّ حَوْكٍ ثِيابُها

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه * ويكفيكَ سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها

إذا سُدّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ * فذَرْها لأُخرى لَيِّنٍ لكَ بابُها

وقال ابن أبى حازم[1] :

أوجعُ من وَخْزةِ السِّنانِ * لذى الحجا وَخْزةُ اللِّسانِ

فاسترزِقِ اللهَ واستعنْه * فإنه خيرُ مُستعانِ

وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ * فمن مكانٍ الى مكانِ

لا يَثبتُ الحرّ فى مكانٍ * يُنسبُ فيه إلى الهوانِ

الحرُّ حرٌّ وإن تعدّتْ * عليه يوما يدُ الزّمانِ

حدّثنى محمد بن داود عن جابر بن عثمان الحنفىّ عن يوسفَ بن عطيّةَ قال حدّثنى المعلّى بن زياد القُرْدُوسى[2] : أن عامر بن عبد قيس العَنْبرىّ كان يقول : أربعُ آياتٍ من كتاب الله اذا قرأتُهنّ مَساءً لم أُبالِ على ما أُمسِى، وإذا تلوتُهنّ صباحًا لم أُبالِ على ما أُصبِحُ : ﴿ ما يَفتحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رحْمةٍ فَلَا مُمْسِكَ لهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدّثنى عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك وبين الله مُنعِمًا عليك، وعُدَّ النِّعمَ منه عليك مَغْرما[3] .

---

(١) تقدّم هذا الشاعر فى الصفحة السابقة باسم «أبى حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد، وقد بحثنا فى هذه الأبيات لتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال محررا بضم القاف . وفى الأصل : «الفردوسى» بالفاء، وهو تحريف .

(٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وأعدد النعم منهم مغنما» .

حدّثنى الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال : أبرَعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى ذُؤَيبٍ الهُـذَلىّ :

والنَّفسُ رَاغِبـةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قليـلٍ تقنَـعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأسود قال : احتاجت عجوزٌ من العُجزِ القُدُمِ، قال : فجزِعتْ الى المسألة، ولو صبَرتْ لكان خيرا لها . ولقد بلغنى أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ، ويَسألُ فيُمنَعُ، والصَّبرُ مُنتبِذٌ ناحيةً يقول : لو صِرتَ إلىّ لكَفيتُكَ .

وكان يقال : أنت أخو العزّ ما ٱلتحفتَ القناعةَ، ويقال : اليأس حُرٌّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال : بالقناعة .

وقال سعد بن أبى وقّاص لابنه عمر : يا بنىّ إذا طلبت الغنى فٱطلُبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ .

وقال عروةُ بن أُذَينَة :

لقد علِمتُ — وما الإسرافُ فى طمعٍ — * أنّ الذى هو رزقى سـوف يأتينى[1]

أسـعَى له فيُعنّينى تَطَلُّبُـه * ولو قعـدتُ أتانى لا يُعنّينى

وقال أبو العَتاهِيَة :

إن كانَ لا يُغنيكَ ما يَكفِيكا[2] * فكل ما فى الأرض لا يُغنيكا

(١) ورد هذا البيت فى العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وإن لم يأت يأتينى

(٢) أورد الجاحظ فى البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبى العتاهية وهى : «إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك» .

وقال بعضهم : الغنى والفقر يجولان فى طلب القناعة فإذا وجداها قطناها .

بحثت أعرابيـةٌ على ناقةٍ لها ، فقيل لها : أين زرعك ؟ قالت : ما معى إلا ما فى ضرعها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حسمتْ قناعتُـه سببَ المطامعِ من غدٍ وغدِ
مَـنْ لم يكن لله متّهِـمًا * لم يُمسِ محتاجًا الى أحـدِ

وقال أرْدَشِيرُ . خيرُ الشيم القناعة ، وغناء العمل بالتعلّم .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

ومتى تُصِبْكَ خصاصةٌ فارجُ الغنى ، والى الذى يَهَبُ الرَّغائبَ فارْغَبِ
لا تغضبنّ على امرئٍ فى مالِه * وعلى كرائم صُلْبِ مالِكَ فاغضَبِ

١٠ وقال أبو الأسود :

ولا تَطْمَعَنْ فى مال جارٍ لقُربه * فكلُّ قريبٍ لا يُنَالُ بَعيـدُ

وقال كعبُ بن زُهَير :

قد يُعوِزُ الحازمُ المحمودُ نيّتُـه * بعدَ الثراءِ ويُثرِى العاجزُ الحَمِقُ
فلا تخافى علينا الفقر وانتظرى * فضلَ الذى بالغنى مِنْ فضلِه نَثِقُ

١٥ وشكا رجلٌ الى قوم ضِيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يرحمُكَ الى مَنْ لا يرحمُـك .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سلني حاجتَكَ ، قال : أكرهُ أن أسألَ فى بيتِ الله غيرَ الله . ورأى رجلا يسألُ فى الموقف فقال : أفى مثل هذا الموضع تسألُ غيرَ اللهِ عزّ وجلّ ! .

وقال ابن المعذّل :

تُكَلِّفُنى إذلالَ نفسى لعِزِّها * وهان عليها أن أُهانَ لِتُكْرَمَا

تقول سَلِ المعروفَ يحيَى بن أكثم * فقلتُ سَلِيهِ رَبَّ يحيَى بنِ أكثمَا

وقال ابن عباس : المساكينُ لا يعودونَ مريضًا ولا يَشهدُون جنازةً، واذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ .

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرى لهم جُمعةً .

وقال بعضُ الشعراء :

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له * وقلَّ ما تجدُ الراضينَ بالقِسَمِ

وقال محمودٌ الورّاق :

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصَّنُوا * عن كلِّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ

غالَوْا بأبواب الحديدِ لعِزِّها * وتَنَوَّقُوا[1] فى قُبحِ وجه الحاجبِ

واذا تلطَّف للدخول اليهمُ * راجٍ تلقَّوْه بوَعْدِ كاذبِ

فارغبْ الى مَلِكِ الملوكِ ولا تكُنْ * ياذا الضَّراعةِ طالبًا من طالبِ

وُجِدَ على مِيلٍ[2] فى طريقِ مكّةَ :

ألا يا طالبَ[3] الدّنيا * دَعِ الدنيا لِشانيكا

الى كَم تطلبُ[4] الدنيا * وظِلُّ المِيلِ يَكفيكا

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لابن أخيه : اذا كانت لك الىَّ حاجةٌ فاكتُبْ بها رُقعةً فإنى أصُونُ وجهكَ عن ذُلِّ السؤالِ .

(١) تنوقوا : تأنقوا، يقال تنوق فى مطعمه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ فيها .

(٢) الميل . منار يبنى للسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان منسوبان فى الأغانى (ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبى العتاهية . (٤) فى الأغانى : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحقّ الناس إن كنتَ مادحاً * بمدحك مَنْ أعطاكَ والوجهُ وافرُ

وكان معاويةُ يتمثل بهذين البيتين

وفتى خلا من ماله * ومن المروءة غيرُ خالِ

أعطاكَ قبل سؤاله * فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

وقال آخر :

أما مالكٍ لا تسأل الناسَ والتمسْ * بكفيك سيْبَ الله فالله أوسعُ

فلو تسأل الناسَ الترابَ لأوشكوا[1] * اذا قلتَ هاتوا أن يملّوا فيمنعوا

والمشهور فى هذا قول عَبيد :

مَنْ يسأل الناس يحرمُوه * وسائلُ الله لا يخيبُ

قال سليمانُ لأبى حازم : سَلْ حوائجك ، فقال : قد رفعتُها الى من لا تُختزلُ[2] الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوقُ يرزُقُ فإذا سخِط قطع رِزقه، والله عزّ وجلّ يَسْخَط ولا يَقطَعُ .

وقال الشاعر :

لا تضرعنّ لمخلوقٍ على طمعٍ * فإنّ ذلك وَهْنٌ منك بالدِّينِ

واسترزق اللهَ رزقاً من خزائنه * فإنما هو بين الكافِ والنونِ

---

(١) روى هذا البيت فى لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشمونى ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :

ولو سُئل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا فى كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفى الأصل : «تعتزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلغ سليمان[1] أنى عنه فى سعة * وفى غنى غير أنى لست ذا مال

شحًا بنفسى، إنى لا أرى أحدًا * يموت هزلًا ولا يبقى على حال

فالرزق عن قدر لا الضعف ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال

وقال المغلوط :

متى ما ير الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن حظوظ قسمت وجدود

وقال آخر :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

وقال أبو الأسود :

ليتك آذنتنى بواحدة * تجعلها منك سائر الأبد

تحلف ألا تبرنى أبدا * فإن فيها بردًا على كبدى

إن كان رزقى إليك فارم به * فى ناظرى حية على رصد

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حرفة يقال فيها خير من مسألة الناس .

---

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى وكان والى فارس والأهواز، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور ، فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل .

ان الذى شق فمى ضامن * للرزق حتى يتوفانى

حرمتنى مالا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيدُ بن العاص : مَوطنانِ لا أستحيي من العِيِّ فيهما : عند مُخاطَبتي جاهلًا، وعند مَسْألتي حاجةً لنفسي .

حدّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيح يَستقرِضُ دراهمَ ؛ فقال له شريحٌ : حاجتُكَ عندنا فأتِ منزلَكَ فإنّها ستأتيكَ، إنّي لأكره أن يَلحقكَ ذُلُّها .

حدّثني الرِّياشيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته فقال : إيّاكم والمسألةَ، فإنها آخرُ كسبِ الرجل .

وقال بعضُ المحدَثينَ :

عَوّدتُ[1] نفسي الضِّيقَ حتى أَلِفْتُه * وأخرجَني حسنُ العزاءِ الى الصّبرِ

وَوسّع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى * وقد كنتُ أحيانا يَضيقُ به صَدْرِي

وصَيّرني يأسِي من الناس راجيًا * لِسُرعةِ[2] لُطفِ اللهِ من حيثُ لا أدْرِي

وقال آخر :

حَسْبِي بِعِلْمي لو نَفَعْ * ما الذُّلُّ إلا في الطَّمَعْ

مَنْ راقب اللهَ نَزَعْ * عن قُبحِ ما كان صَنَعْ

ما طار شيء فارتفَعْ * إلا كما طارَ وقَعْ

(١) هكذا ورد هذا البيت فى الأصل وقد دخله الخرم، وورد فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٢ طبع بولاق) :

تعوّدت مرّ الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

(٢) فى الأغانى : «لحسن صنيع الله ...» .

الحـرص والإلحاح

لما قتل كسرى بُزُرْجِمهر وجد فى منطقته كتابا : إذا كان القدر حقًّا فالحرص باطلٌ ، وإذا كان الغدر فى الناس طِباعًا فالثقة بكل أحدٍ عجزٌ ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصدًا فالطمأنينة إلى الدنيا حُمقٌ .

وقال بعض الشعراء : ٥

من عفّ خفّ على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهُه مملولُ

وفى كتاب للهند : لا يُكثر الرجلُ على أخيه الحوائجَ ، فإن العِجل إذا أفرط فى مصّ أمه نطحته ونحّته .

وقال عدىّ بن زيد :

قد يُدرِكُ المُبطِئُ من حظّه * والرزقُ قد يَسبِقُ جهدَ الحريصْ ١٠

وقال ابن المقفّع : الحرصُ محرمةٌ ، والجبنُ مَقتلةٌ ، فانظُرْ فيما رأيتَ وسمعتَ أمَنْ قُتِل فى الحرب مُقبِلًا أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدبِرا ، وانظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك بالشَّرَه والحرص .

وقال الشاعر :

كم مِن حريصٍ على شيءٍ لِيُدرِكَه * وعلّ إدراكَه يُدنِى الى عطَبِهْ ١٥

وقال آخر :

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيةٍ * وفيها مَنيّتُه لو شعَرْ

والعربُ تقول فى الرجل المُلِحّ فى الحوائج الذى لا تنقضى له حاجةٌ إلا سأل أخرى :

* لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمسِكًا ساقا * ٢٠

وأصلُ المثل فى الحِرْباء، إذا آشتدّ عليه حَرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم توَقّى فى أغصانها، فلا يُرسل غُصنا حتّى يَقبِض على آخر.

وقال الشاعر:

أنَّى[1] أُتِيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ * لا يُرسلُ السّاقَ إلّا مُمسِكًا ساقا

وفى كتاب كليلة: لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضا والقناعة، ولا عقلَ كالتّدبير، ولا وَرَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحُسن الخلق.

قال آبن المقفع: الحرصُ والحسدُ بِكْرا الذنوب وأصلُ المهالك؛ أمّا الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة.

وفى كتاب كليلة: خمسةٌ حُرصاءُ، المالُ أحبُّ إليهم من أنفسهم: المُقاتِلُ بالأُجرة، وحفّارُ القُنِيّ[2] والأسرابِ، والتّاجرُ يَركَبُ البحر، والحاوى يَلسعُ يدَه الحيّةُ، والمُخاطِرُ على شُرب السمّ.

دخل مالك بن دِينار على رجل محبوسٍ قد أُخذ بمال عليه وقُيِّدَ، فقال له: ياأبا يحيى، أمَا ترى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفَع مالك رأسه فرأى سَلّةً، فقال: لمن هذه؟ قال: لى، قال: فأمر بها أن تُنزَل، فأُنزِلتْ فوُضعتْ بين يديه، فإذا دَجاجٌ وأَخْبِصةٌ[3]، فقال مالك: هذه وَضعت القيودَ فى رِجلك.

كان أشعب يقول: أنا أطمع وأُمّى تيقَنُ فقلّ ما يموتنا.

---

(١) قائله أبو دؤاد الإيادى. قال آبن برى: هكذا أنشده الجوهرى وصواب إنشاده «أنى أتيح لها» لأنه وصف ظُعُنًا ساقها وأزعجها سائق مجدّ (انظر اللسان مادة حرب) والتنضُبة: واحدة التَّنْضُب وهو شجر عيدانه بيض صحمة وورقه منقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ. (٢) جمع قناة وهى الآبار التى تحفر فى الأرض. (٣) أخبصة: جمع خبيص، والخبيص: ضرب من الحلواء.

وقال النابغة :

واليأسُ عما فات يُعقِب راحةً * ولرُبَّ مَطْعَمَةٍ(١) تعودُ(٢) ذُباحا(٣)

وقال أبو عليّ الضرير :

فإني قد بلوتُكمُ جميعًا * فما منكمْ على شكرى حريصُ
وأرخصتُ الثناءَ فعِفتُموهُ ، ورُبَّمَا غلا الشيءُ الرخيصُ
فعِفتُ نوالَكم ورَغِبتُ عنه * وشرُّ الزادِ ما عاف الخَصيصُ(٤)

وقال أعرابيّ :

أيها الدائبُ الحريصُ المُعَنَّى * لك رزقٌ وسوف تستوفيه
قبح اللهُ نائلًا ترتجيه * من يدَىْ مَنْ تُريد أن تقتضيه
إنما الجودُ والسماحُ لمن يُعـ * ـطيك عفوًا وماءُ وجهك فيه
لاينالُ الحريصُ شيئًا فيكفيـ * ـه وإن كان فوق ما يكفيه
فَسَلِ اللهَ وحدَه ودَعِ النا * سَ واستعطِهمْ بما يُرضيه
لا ترى مُعطيًا لِما منع اللهُ ولا مانعًا لما يُعطيه

(١) كذا فى لسان العرب مادة «دبح» وفى الأصل : «مطمعة» . (٢) فى لسان العرب : «تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير؛ اشتقاقا من الخصاصة وهى الفقر، ولم نعثر عليه فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتى] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجَزَرىّ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وسلامُه على سيّدنا محمد النبىّ وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفّق للصّواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النسّاخ —] :

فى الأستعفاف :

طلبك باليأس من الناسِ * إنّ غِنَى نفسك فى اليأسِ

كم صاحبٍ قد كان لى وامقًا * إذ كان فى حالة إفلاسِ

أقول لو قد نال هذا الغِنَى * صيّرنى منه على الرّاسِ

حتى إذا ما صارَ فيما آشتَهَى * وعدّه النّاسُ من النّاسِ

قَطّع بالصدّ حبالَ الصّفا * منّى ولمّا يَرْضَ بالقاسِى

آخَر(1) وقد أحسن :

إنّ للمعروف أهلًا * وقليلٌ فاعلوهُ

أهنأُ المعروفِ ما لم * تُبتَذَلْ فيه الوجوهُ

أنت ما آستغنيتَ عن صا * حبك الدّهرَ أخوهُ

فإذا آحتجتَ إليه * ساعةً مجّك فوهُ

(1) هو أبو العتاهية .

إنما يعرف الفضـ * ـلَ من الناس ذووه

لو رأى الناسُ نبيًّا * سائلا ما وصلوهُ

وكتب أبو العيناء الى أبى القاسم بن عُبَيد الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها : أنا — أعزّك الله — وولدى وعِيالى زرعٌ من زَرْعك، إن سَقيتَه راعَ وزكا، وإن جفوتَه ذَبُل وذَوَى . وقد مسّنى منك جفاءٌ بعد بِرّ وإغفالٌ بعد تَعهُّد، فشَمِتَ عدوٌّ، وتكلّم حاسد، ولَعِبتْ بى ظنونٌ؛ وانتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب فى آخرها :

لا تُهِنّى بعـدَ إكرامك لى * فشديدٌ عادةٌ مُنتزَعه

آخر :

مالى مَعاشٌ سوى ضدّ المعاش فلا * أغدُو إلى عمـلٍ إلّا بلا أمَـلِ

وليس لى شُغُلٌ يُجدِى علىّ إذا * فكّرتُ فيه وما أنفكُّ من شُغُلِ

كلُّ آمرئٍ رائحٌ غادٍ إلى عمـل * وما أروح ولا أغدو إلى عمـل

ولستُ فى الناسِ موجودًا كبعضهمُ * وإنما أنا بعضُ الناس فى المثل

آخـر :

المرءُ بعـد الموتِ أُحدوثةٌ * يفـنَى وتبقَى منـه آثارُهُ

يَطويه من أيامه ما طوى * لكنّـه تُنشَـرُ أسرارُهُ

وأحسنُ الحالاتِ حالُ آمرئٍ * تَطيبُ بعـد الموت أخبارُهُ

يفـنَى ويبقَى ذِكرُه بعـدَه * اذا خَلَتْ من شخصه دارُهُ

وقال حبيب الطائى :

وما آبنُ آدمَ إلّا ذِكرُ صالحِه * أو ذِكرُ سيّئه يَسرِى بها الكَلِمُ

أمَا سَمِعتَ بدهرٍ بادَ أُمّتُه * جاءت بأخبارها من بعدها أُمَمُ

١٠

١٥

٢٠

في البخل :

طَرَقْتُ أناسًا عـلى غِرَّةٍ * فذُقتُ من العيش جهدَ البلاء

فأمّا القـديدُ وأشـباهُه[1] * فذاك مفاتِحُـه في السماء

وأما السّوِيقُ فـفي عَيْبَةٍ * يُشَمّ ويُدْعَى لـه بالبقاء

ومَنْ حاولَ الخـبز قالوا له * أتذكر شيئًا خُـفي للدّواء

(١) القديد : اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعِمَة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِيّ رحمة الله عليه: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أيُّ الطعامِ أحبُّ إليك؟ قال: الزُّبْدُ والكَمْأةُ[1]، فقال عمر: ما هما بأحبِّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبُّ الخِصْبَ للمسلمين.

قال الأصمعيّ: قال رجلٌ في مجلس الأحنف: ليس شيءٌ أبغضَ إليَّ من التمْرِ والزُّبْدِ[2]، فقال الأحنف: رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له.

عن أبي عمرو بن العَلاء قال: قال الحجّاج لجلسائه: لِيَكْتُبْ كلُّ رجلٍ في رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه ويجعلْها تحت مُصَلّايَ، فإذا في الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ.

عن الأصمعيّ قال قال مَدَنِيّ: المُجَلَّدات أربع: العصيدةُ والهريسةُ والخَبِيصةُ[3] والسَّمِيذةُ[4].

عن الأصمعيّ عن حزم قال: قال مالك بن عِقْبة لحسّان بن الغُرَيْضة: ما تزوّدتَ إلينا؟ قال: الخَبِيصَ، قال: ثلاثةُ أسْقِيَةٍ في وِعاء.

(١) الكمأة اسم للجمع وللواحد: نبات يقال له: شحم الأرض، مستدير كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق، لونه إلى الغبرة، يوجد في الربيع تحت الأرض. (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٢). «ما شيء أبغض إليّ من الزيت والكمأة». (٣) الخبيصة. الأقط يخلط بالتمر والسمن. (٤) السميدة (بالدال المهملة والذال المعجمة): الحوّارى، وهي لباب الدقيق.

قال الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: أشتهي ثريدةً دَكْناء[1] من الفُلْفُل[2]، رَقْطاء[3] من الحِمَّص[2]، ذات حِفَافين[4] من اللحم، لها جَناحان من العُرَاق[5]، أَضرِب فيها ضَرْب وليّ السَّوْء في مال اليتيم.

وقال ابن الأعرابيّ: يقال: أطيبُ اللحم عُوَّذُه، أي أطيبه ما وَلِيَ العظمَ، كأنه عاذَ به.

عن أبي عُبَيدة قال: مرّ الفرزدقُ بيحيي بن الحُصَين بن المُنْذِر الرَّقَاشيّ، [ف]قال له: هل لك يا أبا فِرَاسٍ في حَذْيِ سَمين ونَبيذِ زبيبٍ جيِّد؟ فقال الفرزدق: وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاغة! يعني جريرا.

وقال الأَحْوَص لجرير: ما تُحِبُّ أن يُعَدّ لك؟ قال: شِواءٌ وطِلاءٌ[6] وغِناءٌ؛ قال: قد أُعِدّتْ لك.

وقال مَدَنِيٌّ لصديق له: والله أشتهي كَشْكِيّةً[7]، ومدّ بها صوتَه فخرجت منه ريح؛ فقال له: ما أسرع ما لَمَحتَكَ يابنَ عمّ.

---

(١) ثريدة دكناء: كثيرة الأبازير، والأبازير: التابل وهو ما يطيب الطعام. (٢) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفي الأصل: «ورس». (٣) الرقطاء: السوداء تشوبها نقط بيضاء. (٤) كذا في البخلاء، والحفاف: الجانب. وفي الأصل: «حمامين» بالحاء المعجمة وهو تحريف. (٥) العراق (بضم العين): العظام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم. (٦) الطلاء: الخمر. (٧) في كتب اللغة الكشكية: ماء الشعير، وفي القواميس الفارسية: الكشك: ضرب من الحساء الزلحة مصنوع من القمح والشعير وربد لبن الشاء، وربما أضيف إليه شيء من اللحم.

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيتُ فلانا فأتاني بمرقة كان فيها مُسَقّ، فلم أر فيها إلا الكَبِدًا طافيةً، فغمستُ يدي فوجدت مُصْعَةً[1]، فمددتُها فامتدّتْ حتى كأني أزمُر في نايٍ.

أُدخِل أعرابيّ على كِسرى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْـلِه، فقال له: أيّ شيء أطيبُ لحما؟ قال: الجمل. قال: فأيُّ شيء أبعدُ صوتا؟ قال: الجمل. قال: فأيّ شيء أنهضُ بالحِمْل الثقيل؟ قال: الجمل. قال كسرى: كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطّ والدّجاج والفِراخ والدُّرّاج[2] والحِـداء؟ قال: يُطبَخ لحم الجمل بماءٍ ومِلْح، ويُطبخ ما ذكرتَ بماءٍ ومِلْح حتى يُعرفَ فضْلُ ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمـل أبعدَ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكيّ[3] من كذا وكذا ميلا؟ قال الأعرابيّ: ضَع الكُرْكيّ في مكانِ الجمل وضَع الجملَ في مكان الكركيّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتا. قال كسرى: كيف تزعمُ أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمِل كذا وكذا رطلا؟ قال: لِيُبْرَكِ الفيلُ ويُبْرَكِ الجملُ ولْيُحْمَلْ على الفيل حِمْلُ الجمل، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال.

عن جعفر بنِ سليمان قال: شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً: الطِّيبُ والقِدْر، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر.

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه[4] قال: كان أبو عبد الرحمن الثوريّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمّي الرأس عُرْسا لِما يجمع فيه من الألوان الطيّبة،

---

(١) المصعة: قطعة اللحم. (٢) الدرّاج (وزان رمّان): طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملوّن الريش. (٣) الكركيّ: طائر يقرب من الإوزّ أبتر الذنب رماديّ اللون في خدّه لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى الى الماء أحيانا. (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة في كتابه البخلاء (ص ١١٥ طبع أوربا).

وكان يسمّيه مرّةً الجامعَ ومرّةً الكاملَ، ويقول: الرأس شىء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبة وطعوم مختلفة، وكلّ قِدرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شىءٌ واحد، والرأس فيه الدماغُ وطعمُه مُفرد، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه الشحمة التى بين أصل الأذن ومُؤخِرِ العين وطعمها على حدة] (١)، على أن هذه الشّحمة [خاصّةً] (١) أطيبُ من المُخّ وأنعم من الزُّبد وادسم من السَّلاء، ثم يَعُدّ أسقاطه كلها. ويقول: الرأسُ سيّد البَدَن، وفيه الدماغ وهو مَعدِن العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذى فيه الحِسّ، وبه قِوامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل، كما أنّ النفس هى المدركةُ والعينُ هى باب الألوان، والنفس هى السامعة الذائقة وإنما الأنف والأُذُن بابان. ولولا أنّ العقل فى الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه، وفى الرأس الحواسّ الخمس. وكان يُنشد:

همُو ضَربُوا رأسِى وفى الرأس أكثرِى (٢) ﴿ وغُـــودِرَ عندَ المُلتَـــقَى ثَمّ سَائِرِى

وكان لا يَشترى الرأسَ إلا فى زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التى تَبقى فى منازل التجّار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف (٣) والى اللَّحْيين (٤) فوضعه قُربَ بيوتِ النمل والذرّ، فإذا آجتمعْنَ عليه أخذه ونَفَضه فى طَسْتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقلِع النملُ والذرّ من داره، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه مع الحطب فآستوقده فى التَّنُّور.

الأصمعى - قال: قال أبو صَوارة أو آبن دُقّة: الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْليّ بالسكر الطَّبَرْزَذ (٥)، ليس من طَعام أهل الدنيا.

---

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) فى البخلاء: «اذا». (٣) القحف: العظم الذى فوق الدماغ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شىء. (٤) اللحيان: عظما الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفى البخلاء: «الجبين». (٥) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب، فارسىّ.

قال: وقال أبو صوّارة أو ابن دُقّة: أطولُ الليالى ثلاث: ليلةُ العقرب، وليلة الهريسة، وليلة جُدّة إلى مكة.

الأصمعىّ عن جعفر بن سليمان قال: قال أبو كامل مولى علىّ رضى الله عنه: أطعِمونى حَفْنَةَ زُبْدٍ ثم اختموا سراويلى ثلاثا.

وقال رجل للثورىّ فى الحديث: "إن الله يُبغِض البيتَ اللَّحِمَ"؛ فقال: ليس هو الذى يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذى يؤكل فيه لحومُ الناس.

عن أبى الصِّدِّيق[1] الناجى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خيرُ تمراتكم البَرْنِىّ[2] يذهب بالداء ولا داءَ فيه".

وعن ابن عُمَر عن عمر أنه قال: ياغلام أنضِجِ العصيدةَ تَذهَبْ حرارةُ الزيت.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيتٌ ليس فيه تمرٌ جياعٌ أهلُه".

شيخٌ من أهل البادية قال: أضافنا فلان فأتانا بحِنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان، وبتمرٍ كأنه أعناقُ الوَزّ[3] يوحَلُ فيه الضِّرس.

الأصمعىّ قال: قال أعرابى: تمرنا جُرْدٌ[4] فُطْسٌ[5] يَغيبُ فيه الضِّرْسُ، كأن نواه ألسُن الطير، تضع التمرةَ فى فِيكَ فتجدُ حلاوتها فى كَعْبِكَ.

الأصمعىّ عن أبيه قال: أسَرَ رجلٌ رجلين فى الجاهلية فخيَّرهما بِمَ يُعَشّيهما، فاختار أحدُهما اللحمَ واختار الآخرُ التمرَ، فعُشِّيا وأُلقِيا فى الفِناء وذلك فى شتاءٍ شديدٍ، فأصبح صاحبُ اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تَزِرُّ[6] عيناه.

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس، كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة. (٢) البرنىّ: ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر. (٣) فى الأصل هكذا: «الوزلان» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه. (٤) جرد: ناعمة. (٥) فطس: صغار الحب لاطئة الأقماع. (٦) تزرّ عيناه: توقدان.

وقال غيرُ الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : ما رأيك فى أكل الجِرِّيّ[1] ؟ قال : تمرة نِرْسِيَانَةٌ عرّاءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائرِ عليها مثلُها زُبْدًا أحبُّ إليّ منها ، ثم أدركه الوَرَعُ فقال : وما أُحَرِّمُهما .

وقال بعضُ الأعراب :

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْزًا تَسَرْبَلَ رَائِبًا[2] * وخيلًا من البَرْنِيِّ فُرْسَانُها الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابيٌّ دقيقا وتمرا فاشترى التمر، قيل له : كيف وسعرُ الدقيق والتمرِ واحد ! قال : إنّ فى التمر أُدْمَه وزيادةَ حلاوةٍ .

عن زياد النُّمَيْرِيّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وِترًا لم يضرّه .

الأصمعيّ قال . حدّثنى شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيَّةٌ[3] مُصَلِّبَة .

الأصمعيّ قال : حدّثنى رجلٌ من آل حزم قال : كان يقال : مَنْ حلا[4] على التمر فالعَجْوة ، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيْحانيّ .

الأصمعيّ قال : قال أعرابيّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل : أتجعلُ عَسَلَةً فى أحشاء البقر كعَسَلَةٍ فى جوّ السماء لها مَحَارِشُ من حَرِيدٍ وذوائبُ من زُمُرُّدٍ !

وقال الأصمعيّ : قيل لأبى القدّاح : أىّ التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا أكلوا قال : انظروا أيُّ النوى أكثرُ؟ قالوا : نوى الصيحانيّ ، قال : هو أطيبُ .

---

(١) الجِرِّيّ : ضرب من السمك . والتمر النرسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسيانة ، وفى الأصل «تمرة رساية» وهو تحريف .
(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل . * ألا ليت خبزا قد تسربل رائبا *

(٣) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب المضغة نسب الى صيحان وهو كبش كان يربط الى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب اليه ، ويقال : صلبت التمرة اذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادة صلب) .

(٤) يقال : حلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال اللحيانىّ : تميم تقول : حلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به . قال : وكنانة وقيس يقولون : أحلى فلان على اللبن واللحم .

وقال الأصمعىّ : العرب تقول للبخيلِ الأكول : "أَبَرَماً قَرُوناً"(١) أى لا يُخرِج مع أصحابه شيئا و يأكل تمرتينِ تمرتين .

وقال النابغة يصف تمرا :

صغارُ النوَى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائرِ

سمع الحسنُ رجلا يَعيبُ الفالُوذَجَ(٢) فقال : لُبابُ البُرِّ بلُعابِ النحل بخالِص السَّمْنِ ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لِفَرْقَدٍ السَّبَخِىّ : يا أبا يعقوبَ ، بلغنى أنك لا تأكلُ الفالوذجَ ، فقال : يا أبا سعيد ، أخافُ ألّا أُؤدِّىَ شكرَه ، فقال : يا لُكَعُ ! وهل تُؤدِّى شكرَ الماءِ البارد [فى الصَّيفِ(٣) والحارِّ فى الشتاء ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

---

(١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب مادّة «برم» والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين أى هو برم و يأكل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفى الأصل : «أبرما أكولا قروما» وهو تحريف .

(٢) الفالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسىّ معرّب . وفى الصحاح : الفالوذ والفالوذق معرّبة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادّة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سيدا شريفا فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتعجب منه وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج ووضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان ممن حضر أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلــةٍ رأس وهادى * وأنت الرأس تقدُم كلّ هادى
له داعٍ بمكــة مشمعـــلّ * وآخر فوق دارته ينــادى
الى رُدُحٍ من الشيزى ملاءٍ * لبابَ البرّ يلبــك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام، فحكّما بينهما شيخا قد أكل طعامَ الخُلفاء، فقال: أمّا الروميّ فذهب بالحَشْوِ والأحشاء، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحَلْواء.

وعن الأصمعيّ قال: كنّا عند الرشيد فقُدِّمتْ اليه فالُوذَجةٌ، فقال: يا أصمعيّ حَدِّثْنا بحديث مُزَرِّدٍ، فقلت: إن مُزَرِّدا أخا الشمّاخ كان غلاما جَشِعًا وكانت أُمّه تُؤْثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُه[1]، فخرجتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزَرِّدٌ الخيمةَ وعمَد الى صاعَيْ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول:

ولمّا غدتْ أُمّي تَمِيرُ بَناتِها * أغَرْتُ على العِكْمِ[2] الذى كان يُمنَعُ
لبكتُ[3] بصاعَيْ حِنطةٍ صاعَ عَجْوةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقَهُ يَتَرَيَّعُ[4]
ودبّلْتُ[5] امثالَ الأثافي كأنها * رُءوسُ نِقادٍ[6] قُطِّعتْ يومَ تُجمَعُ
وقلتُ لِبَطنِي أبْشِرِ اليومَ إنه * حِمَى أُمِّنا مما تَحُوزُ وتَرفَعُ
فإن كنتَ مَصْفورًا[7] فهذا دواؤه * وإن كنتَ غَرْثانًا[8] فذا يومُ تَشْبَعُ

فضحِك الرشيدُ حتى آستلقَى على ظهره، ثم قال: كُلوا بآسم الله، هـذا يومُ تَشْبَعُ [يا أصمعيّ][9].

---

(١) يحفظه: يغضبه. (٢) العكم: النمط تجعله المرأة كالوعاء تذخر فيه متاعها. (٣) لبكت: خلطت، واللبيكة: أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط و يصب عليه السمن. (٤) يتريع: يجيء هاهنا وهاهنا لا يستقرّ له وجه لكثرته. وفى الأصل: «يتربع» بالبا الموحدة. (٥) دبلت الشيء: جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكتلة. وفى الأصل «وذبلت» بالذال المعجمة والباء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ربع ودبل). (٦) نقاد: جمع نقدة وهي الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى فى ذلك سواء. (٧) المصفور: من به الصفر وهو داء فى البطن يصفرّ منه الوجه. (٨) غرثان: جائع؛ وقد وردت هـذه الأبيات فى الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل فى بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا. (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥).

قال : وكتب الحجاجُ الى عامله بفارس : إبعثْ الىّ عسلًا من عسلِ خُلّار[1]، من النَّحْلِ الأبكار، مِن الدَّسْتَفْشار، الذى لم تمسّه النار .

وقال الأصمعىّ : كتب بعضُ الخلفاء[2] الى عامله بالطائف : أن أرسِلْ الىّ بعسلٍ أخضَرَ فى سقاء، أبيضَ فى الإناء ، من عَسَلِ النَّدْغ[3] والسَّحاء[4]، من حِدَابِ بنى شبابة .

والعربُ تصِفُ العسلَ بالبرودة .

وفى حديث ابن عباس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم سئِل عن أفضل الشراب قال : "الحلْواءُ البارِدُ" يعنى العسلَ . وقال الأعشى :

كما شِيبَ بماءٍ با ٭ رِدٍ من عسلِ النحلِ

ويقال : أجودُ العسلِ الذهبىّ[5] الذى اذا قَطَرتْ منه قطرةٌ على وجه [الأرض] آستدار كما يَستدِيرُ الزِئبَقُ ولم ينفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب .

والرومُ تقول : أجودُه ما يُلطَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعلَق .

وسُئِل ديمقراطيس العالِمُ عمّا يَزيدُ فى العُمْر فقال : مَنْ أدام أكلَ العَسلِ ودهَن جِسمَه به زاد الله بذلك فى عمره .

---

(١) خلّار كرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها ما عصرته الأيدى وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده فى المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدستفشار : العسل الذى لم تمسه النار . وقال . ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا فى الأصل ، وفى اللسان مادة «ندغ» أن الذى كتب الحجاج ، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ : الصعتر البرىّ وهو مما ترعاه النحل وتعسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفى الأصل « البذع » . (٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفى الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما فى اللسان وشرح القاموس مادّة (حدب) . وفى الأصل : «حدب » بدون ألف . (٥) فى ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبى ، وفى لطائف المعارف للثعالبي ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصبهان ، وأن فى أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبي أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل » .

والعَسلُ إن جُعل فيه اللحمُ الطرىّ بقى كهيئته حتى لا يَنْتَن . ويقال : مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخذ درهمًا حلالًا وليَشْتَرِ به عسلا ثم يَشرَبُه بماءٍ سواءٍ فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسنُ يُعجبُه اذا آستمشى[1] الرجلُ أن يَشربَ اللبنَ والعسلَ .

ويزعم أصحابُ الطبائع أن العسلَ اذا ديفَ[2] بالماء وخُلِطَ معه زيتٌ أو دُهنُ سِمسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتقيأ به .

ميمونُ بن مِهرانَ عن آبن عبّاس قال — ولا أعلمه إلّا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم — أنه قال : "أكرِموا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ" .

الأصمعىّ قال : كانت امرأةٌ من[3] بكر بن وائل تنزِلُ الطُّفَاوَةَ[4] وكانت قد أدركت بعض أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان العُبّادُ يغشَونَها فى منزلها ؛ فعابَ عائبٌ عندها السَّويقَ[5] ، فقالت : لا تفعلْ ! إنه طعامُ المسافرِ ، وطعامُ العَجلانِ ، وغِذاءُ المبكِّرِ ، وبُلغةُ المريضِ ، ويَشُدُّ فؤادَ الحزينِ ، ويرُدُّ من نفسِ الضعيفِ ؛ وهو جيّدٌ فى التسمين ونقاوة البلغم ، ومسمونُه[6] يُصفّى الدمَ ، إن شئتَ كان ثريدا ، وإن شئت كان خَبيصًا ، وإن شئت كان خُبزًا .

وكان غسّانُ بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علىّ يقول لجاريته : خَوِّصى[7] لنا سويقا فأَخثِريه ، فإنّ الرجلَ لا يَستحِى أن يزدادَ ماءً فيرقّقه ، ويستحى أن يزدادَ سويقًا فيُخثِرَه به .

(١) آستمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط . (٣) فى الأصل : «كان فى الطفاوية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حىّ من قيس عيلان ، وموضع بالبصرة سمى بالقبيلة التى نزلته . (٥) كذا بالأصل ، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق ، وفى العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الطعام يسمنه سمنا فهو مسمون : عمله بالسمن ولته به . (٧) خوّص الشراب وخاضه : خلطه وحرّكه . والخثورة : ضدّ الرقة ، يقال : أخثر الشىء وخثره إذا غلظه بعد الرقة .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علىّ وهو فى مَزْرَعته وقد عَطِش، فاستسقاه فخاض له سَوِيقَ لَوْز فسقاه إياه؛ فقال عبد الله :

شَرِبتُ طَبَرْزَذًا[1] بِغَرِيضِ[2] مُزْنٍ * ولكنّ المِلاحَ بكم عِذابُ
وما [هو] بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن * بِمَسِّكَ إنه طاب الشرابُ
وأنت إذا وَطِئتَ ترابَ أرض * يَطيبُ إذا مشيتَ به الترابُ
لِأنّ نَداك يَنفِى المَحْلَ عنها * وتُحْيِيها[3] أياديكَ الرِّطابُ

وقال الحسنُ : لا تَسقُوا نِساءكم السَّوِيقَ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فاحفظوهنّ.

وقال الرَّقاشىّ : السِّمنة للنساء حُلْمةٌ وهى للرجال غَفْلَةٌ.

عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثةٌ لا تُرَدُّ : اللبنُ والسِّواكُ[4] والدُّهْنُ".

الرِّياشىّ قال : سمعتُ أبا زيدٍ يقول : رأيتُ رجلا كأنّ أسنانَه الذهبُ لشربه اللبنَ حارًّا.

الأصمعىّ عن ذى الرُّمّة أنه قال : إذا قلتَ للرجل : أىُّ اللبن أطيبُ ؟ فإن قال : قارِصٌ[5]، فقُلْ : عبدُ مَنْ أنتَ[6]؟ وإن قال : الحليبُ، فقُلْ : ابنُ مَن أنتَ؟

مرّ رجل من قريش بامرأةٍ من العرب فى باديةٍ، فقال : هل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت : إنك لَلَئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ.

---

(1) الطبرزذ : السكر فارسىّ معرّب، ويقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزذ ومفردات ابن البيطار طبع بولاق فى اسم الطبرزد). (2) الغريض من الفم والماء واللبن والتمر : الجديد الطارج. (3) فى الأصل : «وتجنيها» بالجيم والنون وهو تحريف. (4) فى الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف. (5) القارص : الحامض. (6) أى هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه، إذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه فلا يصل إليه الحليب إلا حامضا.

وكان يقال : اللبنُ أحدُ اللحمَين .

وقال بعضُ المدنيّين : مَنْ تَصبَّحَ[1] بسبع مَوْزاتٍ[2] وبقدحٍ من لبن إبلٍ أوارِكَ[3] تَجشّأ بخورَ الكعبة .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل من قِرًى؟ فقالت : نعم، قال : وما هو؟ قالت : خبزٌ خمير ولبنٌ فَطير وماءٌ نمير[4]، والعرب تقول : "إنّ الرّثيئةَ تَفثأُ الغضب"[5].

والرَّثيئةُ : اللبنُ الحامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهو أطيبُ اللبن . قال بعضُ الأعراب :

وإذا خشيتَ على الفؤادِ بحاجةٍ * فاضرب عليه بجَرْعةٍ من رائبِ

وعن مطر الورّاق : أنّ نبيًّا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله إليه : أنِ اطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوّة فيهما .

وصف أعرابيٌّ خِصْبَ البادية فقال : كنتُ أشربُ رثيئةً تَجُرُّها الشفتان جرًّا، وقارصًا إذا تجشّأتُ جدَع أنفي، ورأيتُ الكمأةَ تدوسُها الإبلُ بمناسِمِها، وخُلاصةً[6] يَشَمُّها الكلبُ فيعطِسُ .

وتقول الأطبّاء : إنّ اللبن اذا سُخِّنَ بالنار وسِيطَ[7] بعودٍ من عيدان شجرِ التّين راب من ساعته . وقالوا : وإن[8] أراد صاحبه ألّا يروبَ وإن كان فيه رُوبة جعل فيه شيئًا من الحَبَق، وهو الفُوذَنْجُ[9] النهريّ، فإنه يبقى كهيئته .

---

(١) تصبح : أكل شيئًا قليلا يتعلل به . (٢) كذا في الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .
(٣) الإبل الأوارك : التي تأكل الأراك . (٤) الماء النمير : الناجع في الريّ، وقيل : الماء النمير : الكثير . واللبن الفطير : الطريّ القريب العهد من الحلب . (٥) هذا مثل ذكره الميدانيّ وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب أي تكسره وتذهبه . وأصله أنّ رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلقى في السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) في الأصل : «فإن» .
(٩) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه .

أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم

المعلّى الرَّبَعِىّ قال: مكثتُ ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهنّ شرابا، فدعوت الله تعالى، وإذا دعا العبدُ الله بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ، فدَفَعتُ الى ذِئْبينِ فى جَفْرٍ[1]، فرَميتُهما فقتلتُهما، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فاستقيت، ثم أتيتهما وإذا هما على مُهَيْدِيَتِهِما[2]، وإذا لهما نَخْفَةٌ — يعنى شبهَ الزّفير — فاشتويتُ واحتذيتُ[3] وادّهنت.

قال ابن قِرْفَةَ (شيخ من سليم): أضافنى رجل من الأعراب فجاءنى بِقِدْرٍ جِمَاعٍ[4] ضخمةٍ ليس فيها شىء من طعام إلا قِطَعُ لحم، فاذا بَضْعة تَمَاثُّ[5] فى فِى، وبَضْعة كأنّها بِضَعُ ساقٍ، وبَضعة كأنها شحمٌ زَخِمٌ[6]، فقلت: ما هذا؟ فقال: إنى رجل صيّاد، جمعتُ بين ذِئبٍ وظَبيٍ وضَبُعٍ.

قال مدنىّ لأعرابىّ: ما تأكلون وما تَدَعُون؟ قال: نأكل ما دَبّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَينٍ[7]، فقال المدنىّ: لِيَهنِ[8] أمَّ حُبَينٍ العافيةُ.

---

(١) الجفر: البئر الواسعة التى لم تطو، وقيل: هى التى طوى بعضها ولم يطو بعض. (٢) على مهيديتهما: على حالهما التى كانا عليها، يقال: هو على مهيديته ومهيدئته، بالهمز وبدونه، حكاه ثعلب وقال: لا مكبر لها. وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس فى مادتى (هدى) و(هدأ). (٣) احتذيت: اتخذت نعلا. (٤) قدر جماع وجامعة: عظيمة، وقيل: هى التى تجمع الجزور. (٥) تماث: تذوب وتتحلل. (٦) زخم: كريه خبيث الرائحة. (٧) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مخففة: دويبة قيل: هى ضرب من العظاء، وقيل: هى أعرض من العظاء، وقيل: هى أنثى الحرباء، وقيل غير ذلك، وهى منتنة الريح فأما الأعراب فلا يأكلونها لنتنها، ويقال لها: حبينة معرفة بلا ألف ولام وإنما سميت بذلك لكبر بطنها، من الحبن الذى هو السّقى فى البطن. تقول: فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق، فسميت بذلك لشبهها بالمستسقى. (٨) كذا الأصل: «ليهن» قال شارح القاموس فى مادة هنأ: تقول العرب فى الدعاء: ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة، أى لأن الياء بدل من الهمزة، ثم قال: وقد ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك: يقولون: ليهنك توبة الله عليك. وراجع شرح القاموس (مادة هنأ).

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بنى هلال بن عامر، فذكروا الضَّبَّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ فى ذمّه وتابعه القومُ، فغاظ الهلالىَّ ما سَمِع منهم، ولم يكن على المائدة عربىٌّ غيرُه، ثم لم يلبث أن أُتِىَ الفضلُ بصَحْفةٍ فيها فِراخ الزَّنابير[1]، فلم يَشُكَّ الأعرابىُّ أنها ذِبّان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلْجٍ يَعافُ الضبَّ لؤمًا وبِطْنَةً[2] * وبعضُ إدامِ العِلْجِ هامُ ذُبابِ

ولو أنَّ مَلْكًا فى المَلا نال أمّةً * لقالوا لقد أُوتيتَ فصلَ خِطابِ

وقال أبو الهِنْدى[3] (رجل من العرب) :

أكلتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها * وإنّى لأشهى قَديدَ[4] الغَنَمْ

ولحمَ الخروفِ حَنيذًا[5] وقد * أُتيتُ به فاترًا فى الشَّبِمْ[6]

فأمّا البَهَطُّ[7] وحِيتانُكم * فما زلتُ منها كثيرَ السَّقَمْ

وقد نِلتُ منها كما نِلتُمُ * فلم أرَ فيها كضَبٍّ هَرِمْ

---

(١) قال الدميرى فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) فى الكلام على الزنبور : « وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتقلى فى الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهى لا تختلف فى المعنى عما ورد فى الأصل . وفى الأصل : « وعلج يعاف الضب واللؤم بطنه » .

(٣) كذا ورد فى اللسان (مادتى عرب وبهط) منسوبا إليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفى الأصل : « أبو هند » .

(٤) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٥) حنيذ : مشوىّ .

(٦) كذا فى الدميرى (ج ٢ ص ٩٣) والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الدميرى بماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه اللغوى . وفى الأصل : « السنم » وهو تحريف .

(٧) قال فى اللسان : « البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء ، واستعملته العرب بالماء فقالت : بهطة طيبة » .

ولا فى البُيُوض كَبيْض الدَّجاج * وبَيْضُ الدجاج[1] شِفاء القَرَمْ[2]

ومَكْنُ[3] الضِّباب طعام العُرَيب[4] * ولا تشتهيه نُفُوسُ العَجَمْ

وقال بعض الأعراب:

وأنت لو ذُقْتَ الكُشَى[5] بالأكبادْ * لما تركتَ الضَّبَّ يعدو بالوادْ

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدّم اليه جرادا، فقال:

لَحَى اللهُ بيتًا ضمّني بعد هَجْعة * اليه دُجُوجِىٌّ من الليل مُظلِمُ

فأبصرتُ شيخًا قاعدًا بفِنائه * هو العنز إلا أنه يتكلم

أتانا بِبِرْقانِ[6] الدَّبَى فى إنائه * ولم يَكُ بِرْقانُ الدَّبى لِىَ مَطْعَمَ

فقلت له غَيِّبْ إناءك[7] واعتزل * فهل ذاق هذا، لا أبالك، مُسْلِمُ

وقال بعض العباسيين[8]:

ليتَ شعرى متى تَخُبّ بِىَ النا * قةُ نحو العُذَيب[9] فالصِّنِّين[10]

مُحْقِبًا[11] زُكْرةً[12] وخبزَ رُقاقٍ * وجُبَيْنًا[13] وقِطعةً من نون

---

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ. وفى الأصل: «وبيض الجراد».

(٢) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ. والقرم (بفتح القاف والراء): شدّة الشهوة الى اللحم. وفى الأصل «الشقم» وهو تحريف. (٣) المكن (بفتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون فى آخره): بيض الضبة. (٤) العريب: تصغير العرب؛ قال فى اللسان مادّة عرب: صغرهم تعظيما كما قال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. وفى الأصل «الغريب» بالغين المعجمة وهو تحريف. (٥) الكشى: جمع كشية (بضم الكاف وإسكان الشين) وهى أصل ذنب الضب.

(٦) البرقان: جمع برقانة وهى الجرادة المتلونة. والدبى: الجراد، أى أتانا بالمتلون من الجراد.

(٧) فى الأصل: «فناك». (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثانى من كتاب الأغانى (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوبا الى حسين بن الضحاك الخليع، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية. (٩) العذيب: ماء لبنى تميم، وهو أوّل ماء يلقى الانسان بالبادية اذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة. (١٠) الصنين: بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع. ورواية الأغانى فى هذا الشطر: «بين السدير والصنين» وفى اللسان: «بين العذيب فالصنين» بفاء العطف وهو ما اخترناه. وفى الأصل: «فى الصنين». وفى هذا الشعر السناد وهو، كما فسره ابن سيده، المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى. (١١) يقال: أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه. (١٢) الزكرة بالزاى: زق يجعل فيه شراب أو خل. (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول. والنون: الحوت.

وقال بعض الأعراب :

أقول له يومًا وقد راح صُحْبتى * تُرى أشتهى من صَيْدِه وأُحاتِلُه[1]

فلما التقت كفى على فصل ذيله * وشالت[2] شمالى زايل الضبَّ باطِلُه

فأصبح محسودًا[3] بصيدًا وأصبحتْ * تمشَّى على القيرانِ[4] حولًا حلائلُه

شديد اصفرار الكُشْيَتَيْنِ[5] كأنما * تَطَلَّى بورْسٍ[6] بطنُه وشواكِلُه[7]

فذلك أشهى[8] عندنا من نتاجكم[9] * لحى الله شاريه وقُبِّح آكِلُه

٥

وبنو أسد تُعَيَّر بأكل الكلاب ، قال الفرزدق :

إذا أسَدِىٌّ جاع يومًا ببلدةٍ * وكان سمينًا كلبُه فهو آكِلُه

وتُعَيَّر أيضا بأكل لحوم الناس ، كما قال الشاعر[10] :

إذا ما ضفتَ ليلًا فقعسيًّا * فلا تأكل له أبدًا طعامًا

فإنَّ اللحم إنسانٌ فدعه * وخيرُ الزادِ ما منع الحراما

١٠

(١) فى الأصل « وأحاطره » والقافية فى الشعر لام ، وقد ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر)

* ... ترى أشتهى من صيده وأحاتله

(٢) كذا فى كتاب الحيوان ، وشالت : ارتفعت . وفى الأصل : « ومالت » . (٣) المحسود : الشواء الذى قد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنار حتى ينشوى انشواء شديدا فتهرى تحتها .

١٥

(٤) القيران . جمع قور (بالفتح) وهو الكثيب الصغير من الرمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا فى كتاب الحيوان . والكشية . شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفى الأساس : شحمة مستطيلة فى جنبه . وفى الأصل : « الكليتين » . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل : جمع شاكلة وهى الخاصرة . (٨) كذا فى كتاب الحيوان . وفى الأصل « كذلك » بالكاف .

٢٠

(٩) فى الأصل « بيا حكم » (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ .

(١٠) نسب هذا الشعر فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوروبا) إلى مسروف الدبيرى .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناسًا حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا حيّات فهم يَشْتَوونها ويأكلونها ، فأتيتُهم فرأيت رجلا منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر ليأكلها فامتنعتْ عليه ، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب لم يَنْضَج ، فما صرفتُ بصرى عنه حتى لُبِخَ[1] به فمات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل فى سُمّها النارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحمًا ، فاشتروْه فطبخه حتى تهرّى ، وأكل منه حتى انتهت نفسه ، وشَرَعَت إليه عيون ولده فقال : ما أنا بمُطْعِمِه أحدًا منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكلِه ، فقال الأكبر منهم : آكُلُه يا أبت حتى لا أَدَع لِلذَّرِّ فيه مَقيلا ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى لا يُدْرَى ألعامِه هو أم لِعامٍ أوّل ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أدقّه يا أبت دقًا وأجعل إدامه المخّ ، قال : أنت صاحبُه ، هو لك .

بينا أعرابىٌّ يسير وهو يُوضِع[2] بعيرَه إذ سقط بعيرُه فنَحَره وأكله ، فأنشأ يقول

إنّ السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ * يَشْبَع لحمًا ويَقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُول بفتيانٍ يشربون فشَرِب معهم ، فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره ، وقال :

عَلّلانى إنما الدّنيا عِلَلْ * ودَعانى من مَلامٍ وعَذَلْ
وانْشُلا[3] ما اغبرّ من قِدْرَيكما * واسقِيانى أبعدَ اللهُ الجَمَلْ

(١) يقال . لبخ بالرجل ولبخ به اذا صرع .

(٢) يوضع بعيره : يحثه ويحمله على العدو الحثيث .

(٣) نشل اللحم (من بابى ضرب ونصر) وانتشله : أخرجه من القدر بيده من غير المغرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرةَ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الأَكْلُ في السُّوقِ دَنَاءةٌ ". وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال : بلغني أنه مَنْ غسل يدَه قبل الطعام كان في سَعَةٍ من الرِّزقِ حتى يموتَ .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنفِي الفقرَ وبعده يَنفِي اللَّمَمَ[1] .

وعنه قال : قيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ : إنّ أباك أكَلَ طعاما كاد يقتُلُه ؛ قال : لو مات ما صَلَّيتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيل بنِ مسلم قال : قال أبو الدَّرداء : بِئس العونُ على الدِّينِ قلبٌ نَخِيبٌ[2]، وبطنٌ رَغِيبٌ[3]، ونَعْظٌ شديدٌ .

أكَلَ الجارودُ[4] مع عمرَ طعامًا ، ثم قال : ياجاريةُ هاتِ الدَّسْتُورْدَ[5] ؛ فقال عمر : امسحْ بإستِك أو ذَرْ .

قال جعفر : كنا نأتي فَرْقدا السَّبَخِيّ ونحن شَبَبةٌ[6] فيُعلِّمُنا : إن مِن ورائكم زمانًا شديدًا ، فشُدُّوا الأُزُرَ على أنصافِ البطونِ ، وصَغِّرُوا اللُّقَمَ ، وشَدِّدُوا المضغَ ،

(١) اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نخيب : جبان كأنه منزع الفؤاد . (٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشئوم ، لأنه فرّ بإبله الجرد (التي أصابها الجَرَب) الى أخواله من بني شيبان ، ففشا ذلك الداء في إبلهم فأهلكها . وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ويروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة احدى وعشرين . (٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب الى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب الى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست و ورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة . (٦) شببة : جمع شاب .

ومُصّوا الماءَ مَصًّا . وإذا أكل أحدُكم فلا يَحُلَّنَّ إزارَه فتتّسِعَ[1] أمعاؤه . وإذا جلس أحدكم ليأكلَ فليقعُدْ على أليتَيه، وليَلزَقْ بطنه بفخذيه ، وإذا فرغ فلا يَقعُدْ وليَجِئْ وليَذهَبْ ، واحتَموا[2] فإن مِنْ ورائكم زمانا شديدا .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ساقِي القومِ آخِرُهم شُرْبًا" .

وعن الجارود بن أبي سَبْرةَ قال : قال لي بلالُ بن أبي بُرْدةَ : أتحضُرُ طعامَ هذا الشيخ — يعني عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر — ؟ فقلت : إيها[3] واللهِ ؛ فقال : حَدِّثْني عنه . فقلتُ : نأتيه وكان سِكّيتًا[4]، إن حَدَّثنا أحسنَ الحديثَ، وإن حَدَّثْناه أحسنَ الاستماعَ، فإذا حضرَ الغداءُ جاء خَبّازُه فمثَلَ بين يديه ؛ فيقولُ : ماعندكَ ؟ فيقولُ : بطّةٌ بكذا، ودَجاجةٌ بكذا وكذا . قال : وما يُريدُ بذاك ؟ قلت : كي يَحبِسَ[5] كلُّ إنسانٍ نفسَه الى ما يَشتهي، فإذا وُضعَ الخِوانُ خَوّى[6] تَخويةَ الظَّلِيمِ[7] فما له إلا موضعُ مُتَّكئِه فيَجِدُّ ويَهزِلُ، حتى اذا رآهم قد فتَروا وكلّوا أكلَ معهم أكلَ الجائعِ المَقرورِ[8] حتى يُنشِّطَهم بأكله .

وكان يقال : اذا اجتمعَ للطعام أربعٌ كَمَلَ : أن يكون حلالا، وأن تكثُرَ عليه الأيدي، وأن يُفتتَحَ باسم الله، ويُختَمَ بحمدِ الله .

(١) في الأصل : «متشبع» ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا عن الطعام ؛ وفي الأصل : «احضروا» . (٣) إيها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ؛ ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يابن ذات النطاقين ؛ فقال : إيها والإله ، أي صدقت ورضيت بذلك . (٤) سكيتا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) في الأصل «يحتبي» والتصويب عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خوى الرجل : فرج ما بين عضديه وجنبيه . (٧) كذا في كتاب التاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والظليم : ذكر النعام ؛ وفي الأصل : «تخوية الطين» وهو تحريف . (٨) المقرور : الذي أصابه القر وهو البرد .

وكان يُقالُ : سَمُّوا اذا أكلتم ودَنُّوا[1] وسَمِّتُوا .

قال أَبْرَوِيزُ لصاحِبَىْ طعامِه وشرابه : إنى سَلَّطتُكما على المعيشـةِ، وأشركتُكما فى الحياة ، وجعلتكما أمينينِ على نفسى ، ووَلَّيتُكما من طعامِى وشرابِى ما التوسعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ ؛ فاحملاه فى فضلِه على ما سواه كفضلى على مَنْ سِواىَ ، وفى كثرته ككثرةِ مَنْ معى على مَنْ مع غيرى . ولا يَشهدَنَّ طعامِى الذى آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تداولُه خلا نفسًا واحدةً ؛ وإنما أمردتُه بذلك لِتَستحكِمَ الحُجّةُ فيه علىَ مَنْ أضاعَ ، وتَنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفَلَ ، ولأجعلَ صاحبَ ذاك رَهنًا بدمِ نفسِه إن هو قصَّر فى صُنعِه أو أوقع بغائلةٍ .

الأصمعىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بنُ صالح : أنه كان له جامٌ من حَبّ رُمّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كل لونَينِ ملعقةً حتى يعرِفَ آختلافَ الألوانِ .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بَحْرٍ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن الثَّورىّ[2] يُقعِدُ آبنَه معه على خِوَانه يوم الرأس[3] ، ثم يقول : إياكَ ونَهَمَ[4] الصبيان وأخلاقَ النوائم ، و[دع عنـك][5] خَبْطَ المَلَّاحين والفَعَلَةِ ، ونَهْشَ الأعرابِ والمَهَنةِ ، وكُلْ من بينِ يديكَ ؛ فإن حظَّكَ الذى وَقَع وصار اليك . وآعلم أنه اذا كان فى الطعام شىء طَريفٌ أو لُقمةٌ كريمةٌ أو بَضعةٌ[6] شَهِيّةٌ ، فانما ذلك للشيخ المعظَّم والصبىّ المدلَّل ، ولستَ

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادتى سمت ودنا) . (٢) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص١١٥) ؛ وفى العقد الفريد «أبو عثمان الثورى» . (٣) ورد فى كتاب البخلاء : أن أبا عبد الرحمن هذا كان يعجب بالرءوس ويحمدها ويصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله «يوم الرأس» ذلك اليوم الذى يجتمع له فيه هذا النوع من الطعام . (٤) كذا فى العقد الفريد ؛ وفى الأصل «ونهم السفلة» . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما. وأنت قد تأتي الدعواتِ، وتُجيب الولائمَ، وتَدخُلُ منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ، وإخوانُك أشدُّ قَرَماً[1] اليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تَجافَى عن بعضٍ وتُصيبَ بعضا. وأنا بعدُ[2] أكرهُ لك الموالاةَ بين اللحم، فإن الله يُبغِضُ أهلَ البيتِ اللَّحِمين[3].

وكان يقال: مُدْمِنُ اللحمِ كمدمن الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحمٌ يأكل لحما، أُفٍّ لهذا عملاً!.

وكان عمرُ يقول: إيَّاكم وهذه المجازرَ، فانّ لها ضَراوةً[4] كضَراوةِ الخمر.

يا بُنيَّ عوِّدْ نفسك الأُثْرَةَ[5] ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهَشْ نهشَ السِّباع، ولا تَخضِم خَضْمَ البراذين، ولا تُدمِنِ الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضَّلك، فلا تجعل نفسك بهيمةً ولا سبعا. واحذر سرعةَ الكِظّةِ[6] وسَرَفَ البِطْنة.

قال بعض الحكماء: إذا كنتَ بطينا فعُدَّ نفسك من الزَّمْنَى. وقال الأعشى:

... ... والبِطْنَةُ مما تُسَفِّهُ الأحلاما[7]

واعلم أنّ الشِّبَع داعيه البَشَم، وأنّ البشم داعية السَّقَم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسِه، وقاتلُ نفسه ألأمُ من قاتلِ غيره.

---

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما: اشتدت شهوته اليه. (٢) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٧ طبع أوربا)، وفي الأصل «بعد» وهو تحريف. (٣) اللحمين: جمع لحم ككتف وهو الأكول للحم القرم اليه. (٤) الضراوة بالشيء: الولع به. (٥) الأثرة (بالضم): المكرمة لأنها تؤثر أي تذكر ويأثرها قرن عن قرن. (٦) الكظة: الامتلاء من الطعام.

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة «بطن» والبيت:

يا ابن المعذر من عداك والبطنة مما تسفه الأحلاما

وفي الأصل «والبطنة يوما تسفه الأحلاما».

يا بنىّ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كِظّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات[1] عيش الصالحين

أى بنىّ، لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله دَرُّ الحارث ابن كَلَدة حيث يزعم أن الدواء هو الأَزْم[2]، وأن الداء إدخال الطعام إثر الطعام.

٥ أى بنىّ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب، وصحّتْ أبدان الرُّهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف النِّقرِس[3] ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرُّزْءِ[4] وخفّة الزاد. وكيف لا ترغب فى تدبير يجمع لك صحّة البدن، وذكاءَ الذهن، وصلاحَ المِعَى[5]، وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة!.

أى بُنَىّ، لِمَ صار الضبّ أطولَ شىء ذَمَاءً[6] إلا لأنه يتبلّغ بالنسيم[7]، ولِمَ قال

١٠ الرسول صلى الله عليه وسلم إن الصوم وِجَاء[8] إلّا ليجعله حِجارا[9] دون الشهوات. افهم تأديب الله، فإنه لم يَقصِد به إلّا الى مثلك.

أى بنىّ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نَغَضَ لى سنّ، ولا انتشر[10] لى عصبٌ، ولا عرفتُ ذنين[11] أنف، ولا سَيَلان عين، ولا سَلَس بول، ما لذلك علّةٌ إلّا التخفيف

---

(١) الوجبات: جمع وجبة وهى الأكلة فى اليوم والليلة. (٢) الأزم: ألا تدخل طعاما على

١٥ طعام. (٣) النقرس كزبرج: داء يأخذ فى الرجل. (٤) الرزء: ما يصيبه الإنسان من الطعام.

(٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر): المصارين. وفى الأصل «المعاد» وهو تحريف.

(٦) الذماء: بقية النفس والحركة، والمراد: أطول شىء حياة. وفى العقد الفريد "أطول عمرا".

(٧) كذا بالعقد الفريد. وفى الأصل: «رمم». (٨) نص الحديث كما فى الجامع

الصغير: «عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» والوجاء، كما فى النهاية لابن الأثير:

٢٠ أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتنزل فى قطعه منزلة الخصى. (٩) حجارا: مانعا وحائلا. وفى العقد الفريد: «حجابا». (١٠) نغض: قلق وتحرك. وانتشار العصب: انتفخ. (١١) كذا فى العقد الفريد، والذنين والذنان: المخاط الرقيق يسيل من الأنف، وفى الأصل: «دنين أنف».

من الزاد . فإن كنتَ تحبّ الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلّا مَنْ ظلم نفسه .

وقال أبو نَهْشَل[1] : كانت لى ابنة تجلسُ معى على المائدة فتُبرِز كفًّا كأنها طَلْعة، فى ذراع كأنه جُمّارة، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصّتنى بها ، فزوّجتُها وصرت أجلِس معى على المائدة ابنا لى فيُبرِز كفًّا كأنها كِرْنافة[2]، فى ذراع كأنه كَرَبة، فوالله ما إن تسبق عينى الى لُقمة طيّبة إلّا سبقتْ يدُه اليها .

وقال بعضهم : غلبتْ بِطْنتى فِطْنتى .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان : أكثروا الطعام، فوالله ما بَطِنَ[3] قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلِل طعامًا تحمد مناما .

الأصمعىّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفزها .

دعا عبد الملك بن مروان الى الغداء رجلا فقال : ما بىّ فضل، فقال عبدالملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل! فقال : يا أمير المؤمنين، عندى مستزاد، ولكن أكره أن أصير الى الحال التى استقبحها أميرُ المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك؟ قال . عملى منذ ستين سنة .

وقال الحسن : إنّ ابن آدم أسير الجوع، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة[4] فقال : هل اتخمتَ قطّ ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : لأنا اذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا دقّقنا ، ولا نكُظّ[5] المعدة ولا نُخْليها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ح ١ ص ٤٥٦) لأبى الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر والضم) وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة : الكظة وهى امتلاء البطن من الطعام، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب الفطنة» . (٤) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ح ٣ ص ٣٨٧) «أبا المدور» وقد ورد هذا الاسم فى الطبرى (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا : «أبا الزعيرعة» وفى ابن الأثير (ح ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : «أبا الزعيرية» . (٥) كذا فى العقد الفريد ، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفى الأصل : «ولا نكب» .

وقال الأحنف : جنِّبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإنى أُبغض الرجل أن يكون وصّافا لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه .

الأصمعىّ قال: بلغنى أن أقواما لبسوا المَطَارِفَ العِتاق، والعمائم الرِّقاق، وأوسعوا دورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم، طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخْرة، يتكئ على شماله، ويأكل من غير ماله، حتى اذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية هاتى حاطوما[1]، ويلك! وهل تحطِم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين ! .

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور فى أربع: الطعام لا يؤكل إلّا على شهْوة، والمرأة لا تنظر إلا الى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكلَ مِن سَقَط المائدة عاش فى سَعَة وعُوفِىَ فى ولده وولد ولده من الحُمْق" .

وقيل لأعرابىّ : أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأس؟ قال: نعم، أَبْخَص عَينيه[2]، وأسْحِى[3] خدّيه ، وأفُكّ لَحْيَيْه ، وأرمِى بالدماغ الى مَنْ هو أحوج منّى اليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ[4]، ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة تُبقِى المخّ فى الجماجم .

دِعْبِل قال: يا بُنَىّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإستِ وقريبٌ من الجواعر[5].

قال بعض الشعراء :

اذا لم أرى إلّا لآكُلَ أكلةً * فلا رفعتْ يُمْنَى يدىَّ طعامى

فما أكلةٌ إنْ نِلْتُها بغنيمةٍ * ولا جَوْعةٌ إن جُعتُها بغرامِ

---

(١) الحاطوم: الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه : أغارها .

(٣) يقال : سحيته أسحاه إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا ننتق المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال الا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه صدهم شَرَهٌ ونَهَمٌ .

(٥) الجواعر : جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعيّ قال : لا تخرج يا بُنَيّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمك[1] . يعني حتى تتغدّى . وقال هلال بن جُشَم[2] :

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيك مَلْؤُهُ * ويكفيك سَوءاتِ الأمورِ اجتنابُها

وقرأت في الآيين[3] : أن رجلا من خدم دار المملكة أوصى ابنه فقال : إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك ، ولا تلتفتنّ يمينا وشمالا . ولا تتخذنّ خِلالك قَصَبا . ولا تلقمنّ بسكّين أبدا ، وإذا كان في يدك سكّين وأردتَ التقاما فضَعْها على مائدتك ثم التقِم . ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة . ولا تتخلّل بعود آس . ولا تمسح بثيابِ بَدَنِك . ولا تَبُل في ماء وأنت قائم . ولا تحفِر أرضا بأظفارك . ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتُلعَن ، ولا تستَرِح على أُسْكُفّة[4] فتجهَل ، ولا تَستنج بمَدَر[5] فيورثك البواسير ، ولا تمتخط حيث يُسمَع امتخاطك ، ولا تبصُق في الأماكن المطلّعة .

وأجلس معاوية[6] على مائدته رجلا يؤاكله ، فأبصر في لقمته شَعرة ، فقال : خُذ الشعرة من لقمتك ، فقال له الرجل : وإنك لتراعيني مُراعاةَ مَنْ يُبصر الشعرة في لُقمتي ! والله لا أكلتُ معك أبدا ! ثم خرج الأعرابيّ وهو يقول :

وللموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحظُ أطرافَ الأُكْلِ على عَمْدِ

وكان سعيد بن جُبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهمّ أشبعتَ وأرويتَ فهنّئنا ، وأكثرت وأطبتَ فزِدنا .

---

(١) الحلم : العقل ، وفسر أخذ الحلم بالغداء لأن الشبع قوام العقل . وفي الأصل : «حلمك بالجيم» .

(٢) تقدم هذا البيت في باب القناعة والاستعفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن شر . وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها الى هلال بن خثعم .

(٣) في تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيين : كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة .

(٤) الأسكفة : عتبة الباب .

(٥) المدر : التراب المتلبد .

(٦) كذا في الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفي عقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) «هشام بن عبد الملك» .

الجـــوع والصـــوم

قيل لبعض الحكماء : أىُّ الطعامِ أطيبُ ؟ قال : الجوعُ أعلم .

وكان يقال : نِعمَ الإدامُ الجوعُ ، ما ألقيتَ اليه قَبِلَه .

قال لُقمان لابنه : يا بنىّ ، كُلْ أطيبَ الطعامِ ، ونَمْ على أوطأ الفِراش . يقول : ٥ أكثِرِ الصيام ، وأطِلْ بالليل القيام .

اشتاق أعرابىّ بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالمصير لمّا ساءنى شِبَعى * ألا سبيلَ الى أرض بها جُوعُ

ألا سبيلَ الى أرض بها عُرُشٌ[1] * جُوعٌ يُصَدِّعُ منه الرأسَ بُرقوعُ[2]

وقال آخر :

١٠ وعادةُ الجوعِ فاعلَمْ عِصمةٌ وغِنًى[3] * وقــد يزيدُك جُوعًا عادةُ الشِّبَعِ

العُتبىّ[4] قال : قلتُ لرجلٍ من أهل البادية : يا أخى ، إنى لأعجبُ من [أن] فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا ، وعَوامَّكم أظرفُ من عوامّنا ، ومَجانِينَكم أظرفُ من مجانيننا ، قال : وما تدرى لِمَ ذاك ؟ قلتُ لا ، قال : [من] الجوع ، ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلوّ جوفه ! .

١٥ وقيل لبعض حكماء الرُّومِ[5] : أىُّ وقتِ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ ؟ قال : أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع ، وأمّا لِمَنْ لم يَقدِر فإذا وَجد .

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله « عَرَثٌ » (بالعين المعجمة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقوع الركوع واليَرقوع (بفتح الباء الموحدة وضمها فى الأوّل وفتح الياء المثناة فى الثانى) والحُتور والجسار . (٣) فى الأصل : « وصا » .

٢٠ (٤) رويت هذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .

(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزرجمهر » وهو من حكماء الفرس .

ونظر أعرابيٌّ الى قومٍ يلتمسون هلالَ شهر رمضان، فقال : أمَا والله لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ منه بذُنابَى عَيْشٍ أعبر .[1]

وقيل لآخر : ألا تَصومُ البِيضَ من شعبان ! فقـال : بين يديها ثلاثون كأنها القَبَـاطِيّ .[2]

وقيل لمدنيّ : بِمَ تتسحَّر الليلة ؟ فقال : باليأس من فطور القابلة .

الرِّياشيّ قال : قيل لأعرابيّ : اشرب، فقال : إنى لا أشرب على الثَّمِيلة .[3] وقال :

إذا لم يكن قبـل النبيذ ثَرِيدةٌ * مُبَقَّـلَةٌ صـفراءُ شَحمٌ جميعُها
فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه * على غير شيءٍ أوجع الكِبْدَ جُوعُها

قدِمَ أعرابيّ على ابن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان ، فقيل له : أبا عمرو لقد أتاك شهرُ رمضان ؛ قال : وما شهرُ رمضان ؟ قالوا : الإمساك عن الطعام ؛ قال : أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا : لا، بل بالنهار ؛ قال : أفيَرضَوْنَ بدلا من الشهر؟ قالوا : لا ؛ قال : فإن لم أصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا : تُضرَب وتُحبَس ؛ فصام أياما فلم يصْبِر ، فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمّى وقد زُرتُ مِصْرَهم * تهيَّـأْ أبا عمـرٍو لشهرِ صيـامِ
فقلتُ لهم هاتوا جِرَابى ومِزْوَدِى * سـلامٌ عليكم فاذهبُوا بسَـلامِ
فبادرتُ أرضًـا ليس فيها مُسَيطِرٌ * علىّ ولا مَنّـاعُ أكلِ طعَـامِ

---

(١) قد صححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت فى الأصل محرفة هكذا : «لتمكن سه أدناى ميش أعبر» . (٢) القباطىّ : ثياب بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان . (٣) الثميلة : البقية القليلة من الطعام أو الشراب فى البطن .

وأدركَ أعرابيًّا شهرُ رمضانَ فلم يَصُمْ ؛ فعذَلَتْه امرأتُه فى الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أتأمُرُني بالصوم لا دَرّ دَرُّها . وفى القبرِ صومٌ يا أُمَيمَ طويلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبيرِ الحسينَ فحضر وأصحابَه ، فأكلوا ولم يأكلْ ؛ فقيل له : ألا تأكُلُ! فقال : إنّى صائمٌ ، ولكن تُحفةَ الصائمِ ؛ قيل : وما هى؟ قال : الدُّهْنُ والمِجْمَر .

أخبارٌ من أخبار الأَكَلَة

الأصمعىّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرسًا طَحُونًا ، ومَعِدَةً هَضُومًا ، وسُرْمًا نَثُورًا[1] .

عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمرَ يُلْقَى اليه الصاعُ من التمر فيأكلُه حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

همُّ الكريمِ كريمُ الفعلِ يفعلُه * وهمُّ سعيدٍ بما يُلقِى الى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِيَ سمينا : ما أسمنك؟ قال : أكلِى الحارَّ ، وشربِى القارَّ ، واتّكائى[2] على شمالِى ، وأكلِى من غيرمالِى .

وقيل لآخر : ما أسمنك ؟ قال : قِلّةُ الفِكْرةِ ، وطُولُ الدَّعَةِ ، والنومُ على الكِظّةِ[3] .

---

(١) كذا فى اللسان مادة (سرم) ، والسرم الثور : الكثير القذف الثفل من المعى . وفى الأصل : «وسرما [illegible]» .
(٢) فى الأصل «واتكالى» بالام .
(٣) الكظة : شىء يعترى الانسان عند الامتلاء من الطعام .

قال الحجّاجُ للغضبان بن القبعثرى فى حبسه : ما أسمنك ؟ قال : القيدُ والدّعةُ، ومَنْ كان فى ضيافةِ الأميرِ فقد سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سميناً : أرى عليكَ قطيفةً من نَسْجِ أضراسِك .

وقيل لآخر : إنك لحسنُ الشّحمةِ لَيِّنُ البَشَرة، فقال : آكُلُ لُبَابَ البُرِّ بصِغارِ المَعْز، وأدّهِنُ بدُهنِ البنفسج، وألبسُ الكَتّانَ .

قيل لميسرةَ الأكولِ وأنا أسمعُ : كم تأكُلُ فى كلّ يوم ؟ قال : مِنْ مالى أو مِن مال غيرى؟ قالوا : مِنْ مالك، قال : دُونان[1]، قالوا : فمن مال غيرك؟ قال : اخْبِزْ واطْرَح .

والعرب تقول : «العاشيةُ تُهيجُ الآبيَـةَ[2]» . يريدون أنّ الذى لا يشتهى أن يأكل، اذا نظر الى مَن يأكلُ هاجه ذلك على الأكل .

قال جرير :

وبنـو الهُجَيم[3] سَخيفةٌ أحلامُهم * ثُطُّ[4] اللّحى مُتَشابهـو الألوانِ
لو يَسمعُونَ بأكْلةٍ أو شَرْبَةٍ * بعُمَانَ أصبح جمعُهُم بعُمَانِ
متأبِّطِين[5] بَنِيهِـمُ وبناتِهِـم * صُعْرُ[6] الأنوف لِريحِ كلِّ دُخانِ

(١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفى العقد الفريد : «مكوك» والمكوك : مكيال ذكرت فى مقداره عدّة أقوال . (٢) العاشية : التى ترعى بالعشىّ من المواشى وغيرها . والآبية : التى لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآبية الإبل العواشى تبعتها فرعت معها . (٣) فى الأصل : « وبنـو الهجين » بالنون وهو تحريف ، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :

* إن الهجيم قبيلة مخسوسة *

(٤) ثط : جمع أثط ، والأثط : قليل شعر اللحية . (٥) فى الديوان : « متوركين » . (٦) كذا فى الديوان ، وصعر الأنوف : ميلها ، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

قعَـد رجلٌ على مائدة المُعيرة ، وكان منهومًا ، وجعـل ينهَشُ ويتعرّقُ؛ فقال المعيرةُ : ناولُوه سِكّينًا ؛ فقال الرجل : كلُّ آمرئٍ سِكّينُهُ فى رأسِهِ .

وقيل لأعرابىّ : مالكم تأكلون اللحم وتَدعون الثريد؟ فقال : لأن اللحم ظاعِنٌ والثريدَ باقٍ .

٥ وقيل لآخر : ما تُسَمّونَ المرَق ؟ قال : السَّخِينَ؛ قال : وإذا بَرَدَ ؟ قال : لا نَدَعهُ يبرُدُ .

قال أبو اليَقْظانِ : كان هِـلالُ بنُ أسـعرَ التَّيمىّ ، من بنى دارِم بن مازنٍ ، شديدا أكُولًا ، يزعمون أنه أكلَ جملا إلا ما حَمَل على ظهره منـه . وأكلَ مرّةً فصيلًا ، وأكلَتِ آمرأتُه فصيلا ، فلما ضاجعَها لم يَصِل اليها ؛ فقالتْ : كيف تَصِلُ

١٠ إلىّ وبينَنا بَعيرانِ ! .

الأصمعىّ قال : دعا عَبادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمةٍ ، فأكل مع الناس حتى فرَغُوا ، ثم أكَل ثلاثَ جِفانٍ تُصنَعُ كلُّ جَفنـةٍ لعشرةِ أنفسٍ ؛ فقال له : أشبِعْتَ ؟ قال لا ، فأتَوه بكل خبزٍ فى البيت فلم يَشبَعْ ، فبعثـوا الى الجيرانِ ؛ فلما آختلفتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضَرَّ بهم فأمسكَ ؛ فقالوا : هل لكَ فى تمرٍ شِهرِيزٍ[1]

١٥ ولبنٍ ؟ فأتوه به فأكلَ منه قَواصِرَ[2] ؛ فقالوا له : أشبِعْتَ ؟ قال : لا ؛ قالوا : فهل لك فى السَّوِيقِ ؟ قال : نعم ؛ فأتَوه بجرابٍ ضخمٍ مملوءٍ ؛ فقال : هل عندكم نبيذٌ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أعِنـدكم تَورٌ[3] تَغتَسِلُونَ فيه من الجنابةِ ؟ فأُتِىَ به فغسَلَه وصبَّ السَّوِيقَ فيـه وصبَّ عليه النبيذَ ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِيَ .

(١) الشهريز (بكسر الشين المعجمة وقد تضم و بالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر ، وفيه وسمها

٢٠ الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) : وعاء للتمر من قصب .
(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمَرْدَلُ وكيلُ آل عمرو بن العاص قال : قدِم سليمانُ بن عبد الملك الطائفَ وقد عَرفتُ شجاعتَــه[١]، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز [وأيوبُ ابنُه[٢] بستانًا لعمرو، قال : فجال في البستان ساعةً ثم قال] : ناهيكَ بمالِكُم هذا [مالًا[٢]] لولا جِرارٌ فيه ! فقلت : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنهـا ليسَتْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزَّبيبِ ؛ فجـاء حتى ألقى صدرَه على غُصن ، ثم قال : ويلكَ يا شمردلُ ! أمَا عندك شيء تُطعِمُني ؟ قلت : بلى والله ! إن عنـدى لجَدْيًا تغدُو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى ؛ قال : اعْجَلْ به ؛ فأتيتُـه به كأنه عُكَّةٌ[٣]، وتشمّر فأكل ولم يَدْعُ ابنَه ولا عمرَ حتى أبقى فخِـذًا . فقال : يا أبا حفص هَـلُمَّ ؛ قال : إنّى صائمٌ ؛ ثم قال : ويلكَ يا شمردَلُ ! أمَا عندك شيء ؟ فقلت : بلى والله ! دَجاجاتٌ ستٌّ كأنهنّ رِئلانُ[٤] النَّعام ؛ فأتيتُه بهنّ ، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعرِى عظمَها ثم يُلقيها [بفيـه[٢]] حتى أتى عليهنّ . ثم قال : ويلك ! أمَا عندك شيء ؟ فقلت : بلى والله ! إن عندى لحَريرةً[٥] كقُراضَةِ الذَّهب ؛ فقـال : اعْجَلْ بها ؛ فأتيتُه بعُسٍّ[٦] يَغيبُ فيه الرأسُ ، فجعل يتلقَّمها[٧] بيده ويشربُ ؛ فلما فرغ تجشّأ كأنه صاحَ في جُبٍّ ؛ ثم قال : يا غلامُ ، أفرغتَ من غَدائنا ؟ قال : نعم ، قال : وما هو ؟ قال : نَيِّفٌ وثمانونَ قِدرًا ؛ قال : فأْتِنِي بها قِدرًا قِدرًا ؛ فأتاه بها وبقِناعٍ[٨] عليه

---

(١) كذا بالأصل ، وسياق الكلام يأباها ، ولعلها محرفة عن كلمة تدل على معنى الجشع والنهم .

(٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٢٢) .

(٣) العكة : وعاء السمن وهي أصغر من القربة .

(٤) الرئلان : أولاد النعام ، واحدها رأل .

(٥) كذا في العقد الفريد ؛ والحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم ؛ وفي الأصل «لبيدة» . وفي المستطرف ونهاية الأرب (ج ٣ : ص ٣٥٣) «سويق» .

(٦) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٧) يتلقمها من تلقم الشيء : أكله بسرعة . وفي العقد الفريد : «يقلعها بيده» . وفي الأصل : «يتلكمه» واللكم في كتب اللغة : الضرب باليد مجموعة ، ولعل ما أثبتناه أنسب بالمقام .

(٨) القناع (بالكسر) : إناء من عسل النخل يوضع فيه الطعام .

رُقَاقٌ ؛ فأكثرُ ما أكل من قدرٍ ثلاثُ لُقَمٍ وأقلُّ ما أكل لُقمةٌ ، ثم مسح يدَه وآستلقى على فراشه ، وأذِن للناس ووُضِعت الخوانات[1] فجعل يأكلُ مع الناس .

الخَطَّابِيّ عن الدِّيرانيّ أنه قال : إنى لأعرفُ الطعامَ الذى يأكله سُليمانُ ؛ قال : لما آستُخلِفَ سُليمانُ قال لى : لا تَقطَعْ عنّى ألطافَكَ التى كنتَ تُلطفنى بها قبل أن أُستخلَف ؛ فأتيته بزَنبيلَين أحدُهما بيضٌ والآخرُ تينٌ ؛ فقال : لَقِّمْنيه ، فجعلت أقشرُ البيضةَ وأقرِنُها بالتينةِ حتى أكلَ الزّنبيلَين .

العُتْبِيّ عن أبيه قال : كان عُبيد الله بن زياد يأكل كلّ يومٍ أربعَ جَرادِقَ[2] أصبهانية وجُبْنًا قبل غدائه .

وعن سَلْم بن قُتَيبة قال : عددتُ للحجاج أربعًا وثمانينَ لُقمةً فى كلّ لُقمةٍ رغيفٌ من خبزِ الماءِ[3] فيه مِلْءَ كفه سمكٌ طرِىٌّ .

وكان لعبد الرحمن بن أبى بَكْرَة آبنٌ أكولٌ ؛ فقال له [معاوية][4] : ما فعل آبنك التِّلْقَامةُ[5]؟ قال : آعتلّ ؛ قال : مثلُه لا يَعدَم عِلّةً .

أكل أبو الأسود الدؤليّ وأقعدَ معه أعرابيًّا فرأى له لَقمًا مُنكَرًا ؛ فقال له : ما آسمُكَ؟ قال : لُقمانُ ؛ قال : صدق أهلُكَ ، إنك لُقمانُ .

وُلِدَ لآبن أبى ليلى غلامٌ فعمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ ، فلما أكلوا قام مُساوِرٌ الورّاقُ فقال :

مَنْ لا يُدَسِّمْ بالثريد سِبالَنا[6] * بعد الثّريدِ فلا هَناهُ الفارسُ

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . وفى الأصل : «فوضعت الخوان» .
(٢) الجرادق جمع جردق ، والجردق والجردقة (بالدال المهملة) والجرذق (بالذال المعجمة) : الرغيف فارسية معربة . (٣) كذا بالأصل . (٤) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥ طبع أوروبا) وقد ذكرت فيه هذه الحكاية بأوضح مما فى الأصل فراجعه . (٥) التلقامة : العظيم اللقم .
(٦) والسبال : جمع سبلة وهى مجتمع الشاربين ومقدم اللحية .

وقال المُجَيْفُ[1] فى أمّه :

يا ليتما أمُّنا شالَتْ نعامتُها * إمّا الى جنّةٍ إمّا الى نار[2]
ليستْ بشبعَى وإن أسكنتها هجرًا[3] * ولا بريًّا ولو حلّتْ بذى قار[4]
تلهّمُ الوسقَ مشدودًا أشِظّتُه[5] * كأنّما وجهها قد طُلِىَ بالقار[6]
خرقاءُ فى الخير لا تُهدَى لوجهتِه * وهى صَنَاعُ الأذى[7] فى الأهل والجار

رأى أبو الحارث جُمَّيز سَلّةً بين يدىْ رجلٍ من الملوك، فقال له : جُعلتُ فداك، أىّ شىء فى تلك السلّة؟ فقال : بظر أمّك، قال : فأعضّنى به .

قيل للحارثى : لم لا تؤاكل الناس؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لتروّعى عن الأسوارى[8] لتركتُها، ما ظنّكم برجل نهش بضعة لحم بقر فاقتلع ضرسه[9] وهو لا يدرى .

وكان اذا أكل ذهب عقله وجحظتْ عيناه[10] وسكر وسدر[11] وتربّد[12] وجهه وغضب ولم يَسْمعْ ولم يُبصِرْ، فلما رأيتُه وما يعتريه ويعترى الطعامَ منه صرتُ لا آذنُ له إلا ونحن نأكل الجَوْزَ والتمرَ والباقلّى ؛ ولم يفجأنى قطّ وأنا آكل تمرًا الا آستفّه سفًّا وزدا به[13]

(١) نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة (طبعة أوربا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» . ونسب فى شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .

(٢) فى ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيما الى جنة أيما الى نار» .

(٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر .

(٤) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا فى الحماسة، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق . وفى الأصل «أسربه» وهو تحريف .

(٦) كذا فى ديوان الحماسة، وفى الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا فى شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر)، وفى الأصل : «وفى اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

(٨) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا) : « ... ... لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم الا لسوء رعة على الأسوارى لتركته، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : الا لشره على الأسوارى أو نحو ذلك . وفى الأصل هنا : « الا لتزوعى عن الأسواق »، والظاهر أن كلمة «الأسواق» هنا محرفة عن «الأسوارى» وهو الشخص الذى يتحدث عنه فى هذا الحديث .

(٩) فى كتاب البخلاء : «فنهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه» .

(١٠) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت .

(١١) سدر الرجل : تحير .

(١٢) تربد وجهه : تغير .

(١٣) زدا به : رمى به . وفى كتاب البخلاء «وذرا به ذروا» .

زَدْوًا، ولا وجده كَنِيزًا[1] إلا وتناوَلَ القطعة منه بجُمْجُمَةِ الشَّور كَدَمها[2] كَدْما، ونهشَها طُولا وعرضًا، ورَفعًا وخفضًا، حتى يأتى عليها؛ ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثلاثِ، ولا رَمَى بنَواةٍ قطّ، ولا نزَع قِمعًا[3]، ولا نفَى عنه قِشْرًا، ولا فتّشه مخافةَ السوس والدود.

٥ وقال بعض الشعراء:

تَبِيتُ تُدَهْدِه[4] القُرّانَ[5] حَوْلى * كأنك عنـد رأسى عُقْرُبانُ
فلو أطعَمْتَنى حَمَلًا سمينًا * شكرْتُك والطعـامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب:

وإنّ طعامًا ضمّ كفّى وكفَّها * لعمرُك عندى فى الحياةِ مبارَكُ
١٠ فمن أجلهـا أستوعبُ الزادَ كلّه * ومن أجلها أهوِى يدى فأدارِكُ

وقال آخر:

عريضُ البِطان[6] جديد الخوان * قـريب المَراث[7] من المـرتَع
فنِصفُ النهـار لِكِرْياسِه[8] * ونِصفٌ لمـأكله أجمـع

الأصمعىّ قال: قيل لأعرابىّ: ما يُعجبك من هذا القَنْد[9]؟ قال: يُعجبنى
١٥ خَضْدُه وبَرْدُه. قال الأصمعىّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

---

(١) الكنيز: التمر يجعل فى قواصر الشتاء. (٢) كدمه كدما: عضه بأدنى فيه.
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر): ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول ملاقتها. (٤) تدهده: تدحرج. (٥) القرّان (كشدّاد): القارورة. (٦) كذا فى البيان والتبين، وأصل البطان: حزام القتب الذى يجعل تحت بطن الدابة، ولعله يريد به كبر بطنه؛ وفى الأصل: «الخوان».
٢٠ (٧) المراث بفتح الميم: مكان الروث. (٨) كذا فى البيان والتبين. وفى الأصل «بتر ياسه» وهو تحريف، والكرياس: الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الأرض. (٩) القند: عسل قصب السكر اذا جمد. وقد ورد فى اللسان: «قيل لأعرابىّ — وكان معجبا بالقثاء —: ما يعجبك منه؟ قال: خضده».

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهّى الطعامَ ويَهيج المِعدة ، وهو يُعدّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمكِ إنه والله ، ما علمتُ ، ليَقدَح فى الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمّة .

٥ كان يقال : اذا كثُرتِ المِقدرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلّم اللهُ زرعَنا * وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ
بُلينا بكوفىّ حليفِ مجاعةٍ * أضرّ علينا من دَبىً(١) وجرادِ

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ دَخَل على غير دَعوة دخل سارقا وخرج مُغيرا ، ومن لم يُجب الدّعوةَ فقد عصى الله ورسولَه". ١٠

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دُعى أحدُكم فجاء مع الرسولِ فإنّ ذلك له إذنٌ". وعن مجاهد : أن ابن عمر كان اذا دُعى الى طعام وهو صائم يجيب ، وكان يهيّئ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن أسماء بنت رُقَيد قالت : دخلنا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأُتى بطعام فعرَض علينا فقلنا : لا نشتهيه ، فقال : "لا تجمعْنَ كذبًا وجوعًا" . ١٥

دعا رجل علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على ألّا تتكلّف ما ليس عندك ، ولا تدّخر عنا ما عندك .

وكان يقول : شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكر زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا فيما أُحبّ بلوغَه ، فقال الآخر : حرصُك على كرامتى يكفيك مؤونةَ التكلّف . ٢٠

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : أتانى الزبيرُ بن دَحْمانَ[1] يوما فسألته أن يقيم عنـدى، فقال : قد أرسل إلىّ الفضـل بن الربيع وليس يمكننى التخلّفُ عنـه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العـوّام ويحك نشربِ * ونَلْهُ مع اللاهين يومًا ونَطـرَبِ

٥ إذا ما رأيتَ اليـوم قد جاء خيرُه * فخذه بشكر واتْرُكِ الفضلَ يَغضبِ

وقال بعض المحدَثين :

نحن قوم متى دُعينا أجَبْنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل

ونَقُـلْ علّنا دُعينا فغِبْنَـا * وأتانا فلم يَجدنا الرسـول

كان طُفَيلُ العرائس الذى يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصى أصحابَه فيقول لأحدهم :

١٠ إذا دخلتَ عُرسا فلا تَلتفَتْ تلفُّتَ المُريب، وتخيّر المجالس، وأجِدْ ثيابك، وأعمل على أنها العقدة التى تَشغَل . وإن [كان][2] العرس كثير الزحام فَمُرْ وانْهَ . ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء . وإن كان البـوّاب غليظا وَقاحًا فابدأ به ومُرْه وانْهَه من غير أن تُعنِّف عليه، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال .

١٥ عرض رجل على رقبةَ الغداءَ، فقال : إن أقسمتَ علىّ وإلّا فدعنى .

ومن أشعار الطُّفَيليّين :

دعوتُ نفسى حين لم تدعُنى * فالحمـدُ لى لا لكَ فى الدّعوهْ

وقلتُ ذا أحسنُ من مَوعدٍ * إخلافُه[3] يدعو إلى جَفْـوهْ

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ؛ وفى الأصـل : "يزيد بن دحمان" وهو تحريف . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى العقد الفريد : « مخلفه » . وفى الأصل : « أخلفه » .

٢٠

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيفنٌ[1] * فأودَى بما تُقرَى الضيوفُ الضيافِنُ

وقال إسحاق[2] بن إبراهيم الموصليّ :

نعم الصديقُ صديقٌ لا يكلّفنى[3] * ذبحَ الدّجاج ولا شَىَّ الفراريج

يرضى بلونين من كَشْك ومن عدس * وإن تشهّى فزيتونٌ بطَسّوج[4]

كان سعيد بن أسعد الأنصارى إمام الجامع بالبصرة طفيلياً ؛ فإذا كانت وليمةٌ سبق الناسَ إليها ، فربما بسَط معهم البُسُطَ وخدم . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أُبادر بردَ الماء ، وصفوَ القدور ، ونَشاطَ الخبّاز ، وخلاءَ المكان ، وغفلةَ الذّبّان ، وجفافَ المنديل .

وقيل لبعض الطفيليّين : كم اثنان فى اثنين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام[5] أبى كريمة أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيّما مسلمٍ ضافه[6] قومٌ فأصبحَ الضيفُ محروما كان له على كلّ مسلم نَصرُهُ حتى يأخذَ بِقِرَى ليلته من زرعِهِ ومالِه" .

---

(١) الصيمن : الطفيلىّ . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : «وقال ابراهيم الموصلىّ فى طفيلىّ كان يصحبه» . (٣) فى العقد الفريد : «نعم النديم نديم الخ» . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدانق ، والدانق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدانق نسبتهما من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفى الأصل : «المقدام بن أبى كريمة» وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى آبنُ العَجْلانِ[١] عن أبيه قال: قال أبو هريرة: إذا نَزَلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه. عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيرُ[٢] أسرعُ الى[٣] مُطعِمِ الطّعام من الشَّفْرةِ[٤] فى سَنام البعير".

داود قال: قلت للحسن: إنك تُنفِق من هذه الأطعمة وتُكثِر، قال: ليس فى الطعام سَرَفٌ. وقال الثورىّ: ليس فى الطعام ولا فى النساء سرفٌ.

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنّ مِنَ السُّـنّةِ أن يَمشِىَ الرجلُ مع ضَيفِه الى باب الدارِ".

عن عبد الرحمن بن عباس قال: رأيت آبن عبـاس فى وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهمـا.

الأصمعىّ قال: سُئل أَقْرَى أهل اليمامةِ للضيف: كيف ضَبَطتم القِرَى؟ قال: بأنا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا.

عن بعض النُّسّـاك قال: قد أعيانى أن أنزِلَ على رجل يَعلمُ أنى لستُ آكل من رزقه شيئا.

---

(١) فى الأصل: «رؤبة بن العجاج» وهو تحريف، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء، ولم توجد له مناسبة بين رواة الحديث. ولعل ما أثبتناه أنسب، لأنه ورد فى تهذيب التهذيب: أن العجلان روى عنه آبنه وروى هو عن أبى هريرة. (٢) كذا فى الجامع الصغير والإبانة فيما جاء فى الصدقة والضيافة لأبى حجر الهيتمى. وفى الأصل: «أعجر وأسرع» وهو تحريف.

(٣) فى الجامع الصغير: «الى البيت الذى يغشى» وفى الابانة: «والى البيت الذى يؤكل فيه».

(٤) فى الأصل: «السعرة» بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير. والشفرة (بالفتح): السكين العظيمة العريضة.

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضلّ رجلٌ صائمٌ[1] فى عام سنةٍ، فابتُلِىَ برجل عند فطره وقد أُتى بقُرصينِ فألقى اليه أحدَهما، ثم قال : ما هذا بُمشبِعِه ولا بُمشبِعِى، ولأن يشبَع واحد خير من أن يجوع اثنان، وألقى اليه الآخر. فلما أَوَى الى فراشه أتاه آتٍ فقال : سَلْ؛ فقال : أسأل المغفرة؛ قال : قد فُعِل ذلك بك؛ قال : فإنى أسأل أن يُغاثَ الناسُ .

عن الحسن : أنّ رجلا جَهَده الجوعُ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحلَه[2]، فقال لامرأته : هل لكِ أن نَطوِىَ ليلتَنا هذه لضيفنا ؟ قالت : نعم قال : فإذا قدّمتِ الطعامَ فادْنِى الى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة فوضعتْها بين أيديهما، ثم دَنَتْ الى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته، فجعل الأنصارىّ يضع يده فى القَصْعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطلِع على ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح الأنصارىّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصارىّ وقال : "أنت صاحبُ الكلام الليلة"؛ ففزع الأنصارىّ وقال : أىّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال : كذا وكذا : قوله لامرأته؛ قال : كان ذاك يا رسول الله؛ قال : "فوالله لقد عَجِب اللهُ من صُنعِكما الليلةَ" .

الأصمعىّ قال : كان عمر بن عبد العزيز اذا قدِم عليه بَرِيدٌ قال : هل رأيت فى الناس العُرُسات؟ يعنى الخِصبَ للسلمين .

وقيل لأعرابىّ كان فى مجلس : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْر تفور، وكأسٍ تدور، وغِناء يَصور[3]، وحديث لا يَحُور[4] .

---

(١) فى الأصل : «صاما» . (٢) رحله : منزله . (٣) يصور : يصوّت .

(٤) لا يحور : لا يضعف .

بلغنى أن محمد [بن خالد] (١) بن يزيد بن معاوية كان نازلا بحلب على الهيثم بن يزيد التنوخى (٢)، فبعث الى ضيف له من عُذْرة فقال: حدّث أبا عبد الله ما رأيتَ فى حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس، قال: نعم، رأيتُ أمورا مُعْجِبة: منها أنى رأيت قرية عاصم (٣) ابن بكر الهلالى، فإذا أنا بدُور متباينة، وإذا أخصاصٌ مُنظّمٌ بعضها الى بعض، وإذا بها ناس كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسى: هذا أحد العيدين الأضحى أو الفطر، ثم رجع الىّ ما عَزَب عنّى من عقلى، فقلت: خرجت من أهلى (٤) فى عَقِب صَفَر وقد مضى العيدان قبل ذلك، فبينا أنا واقفٌ ومُتعجِّب أتانى رجل فأخذ بيدى [فأدخلنى دارا قَوْراء] (٥) وأدخلنى بيتا قد نُجِّدَ فى وجهه فُرُش قد مُهِّدت وعليها شابٌّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والنـاس حوله سِماطان (٦)، فقلت فى نفسى: هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليـك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته، فجذب رجلٌ بيدى وقال: اجلس فإن هذا ليس بالأمير، فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس، قلت: واثُكْلَ أُمّاه! رُبَّ عروسٍ رأيتُ بالبـادية أهونُ على أصحابه من هَنِ أمّـه، فلم ألبَث إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ مدوّراتٌ من خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفّ فيُحْمَلُ حملا، وأمّا ما ثَقُـل فيُدَحْرَج، فوُضِعتْ أمامنا وتحلّق القوم حلقا حلقا، ثم أُتينـا بخِرَق بيض

(١) الكلمة عن كتاب الأغانى (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابى الذى رواه وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنـه اللغة، روى عنه الرياشىّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت فى الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغانى ونبهنا عليها فى مواضعها. (٢) فى الأغانى: «النخعى». وفى العقد الفريد: «الهيثم بن عدى». (٣) فى الأغانى: «فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبدالله الهلالىّ». وفى العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالى». (٤) فى الأغانى: «خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صفر». (٥) الزيادة عن الأغانى. وقوراء: واسعة. (٦) سماطان: صفان.

فألقيتُ بين أيدينا، فظننتها ثيابا[1] وهممت عندها أن أسأل القوم خِرَقًا أقطعُ منها قميصا، وذلك أنى رأيت نَسْجًا مُتلاحِكًا[2] لا تبين له سَدًى ولا لُحْمَة، فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعًا وإذا هو [فيما زعموا][3] صِنف من الخبز لا أعرفه. ثم أُتينا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامِض وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما فى عَقِبه من التُّخَم والبَشَم. ثم أُتينا بشرابٍ أحمر فى عِسَاس[4]، فلما نظرت اليه قلت: لا حاجة لى فيه، أخاف أن يقتلنى. وكان فى جانبى رجلٌ ناصحٌ لى — أحسن الله جزاءَه — كان ينصح لى من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابىّ، إنك قد أكثرتَ من الطعام، وإن شرِبتَ الماء انتفخ بطنُك — فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئا كان أوصانى به [أبى و][3] الأشياخ [من أهلى][3]: فالوا: لا تزال حيًّا ما دام شديدا (يعنى البطن) فإذا اختلف فاوص — فلم أزل أتداوى به ولا أَمَلُّ من شربه، فتداخلنى — تالله الخير — صَلَف[5] لا أعرفه [من نفسى، وبكاء لا أعرف سببَه ولا عهدَ لى بمثله، واقتدارٌ على أمرٍ أظن معه أنى لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو ساوَرتُ الأسد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت الى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى][6] بهتم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهمّ أحيانًا بأن أقول له: يابن الزانية؛ فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعةٌ:

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فألقيت عليها فهممت الخ». (٢) متلاحكا: متداخلا بعضه فى بعض تداخلا شديدا. (٣) زيادة عن كتاب الأغانى. (٤) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦)، والعساس: جمع عُسّ بالضم وهو القدح الكبير. وفى الأصل: «عساف»، والعسف: القدح الضخم، ولم يرد هذا الجمع فى كتب اللغة والوارد فيها عسوف. (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «حلف» وهو تحريف. (٦) العبارة المحصورة ما بين المربعين وردت فى الأغانى. وفى الأصل: «لا أعرفه وبق فى نفسى لا عهد لى به وأشكل علىّ أمرى، وكان الى جانبى الرجل الناصح لى، فجعلت نفسى تحدثنى الخ».

أحدهم قد علّق فى عُنُقه جَعْبة فارسـية مُشَنَّجَة[1] الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحَت[2] بالخيوط شَبْحا منكرا، وقد أُلبِسَتْ قطعةَ فَرْوٍ كأنهم يخافون عليها القُرّ. ثم بَدَر الثانى فاستخرج من كُمّه هَنَة [سوداء][3] كَفَيْشَلة الحمار فوضع طَرَفها فى فيه فضَرَط فيها فاستتمّ بها أمرَهم، ثم حَسَبَ[4] على جُحَرة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشاكلا بعضُه بعضا [كأنه — علم الله — ينطق][3]. ثم بدر الثالثُ عليه قميص وَسِخ وقد غرق شعره بالدُّهْن معه مرآتان فجعل يَمْرِى إحداهما على الأخرى مَرْيا. ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير وسراويلُ قصـير وخُفّان أجذمان لاساقينِ لهما، فجعـل يَقْفِز كأنه يَثِب على ظهور العقارب، ثم التبط بالأرض، فقلت: معتوه وربِّ الكعبـة! ثم ما بَرِح مكانَه حتى كان أغبطَ القومِ عندى، ورأيت النـاس يحذِفونه بالدراهم حَذْفا منكرا. ثم أرسلت الينا النسـاءُ أن أمتِعونا من لهوكم، فبعثوا بهـم إليهن وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا. وكان معنا فى البيت شابٌّ لا آبَهُ له، فعلَت الأصواتُ له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينُها فى صدرها فيها خُوَيْطاتٌ أربعة، فاستخرج من جنبها عُودا فوضعه على أذنه، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرةَ، فلما أحكَمها وعَرَك آذانَها حرّكها بخَشَبة فى يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة! وأذاهى أحسنُ قَيْنة[5] رأيتها قطُّ، [وغنّى عليها][3] فاستخفّنى

(١) التشنج: التقبض، وفى الأغانى: «مسحة» بالسين المهملة، ومعناه: مخططة، وكلا المعنيين هنا غير واضح، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦): مفتحة الطرفين. ولعل صواب الكلمة «مسمحة الطرفين» لوضوح المعنى بها ولمطابق وصف الوسط بالدقة. والظاهر أن الأعرابىّ يصف بهذا الوصف الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا. (٢) كذا فى الأغانى. وشبحت: شدّت. وفى الأصل: «قد سبحت بالخيوط سحا منكرا». وفى العقد الفريد: «شبكت». (٣) زيادة فى الأغانى.

(٤) يريد: حرك أصابعه على ثقوب هذه الهنة، وهى المزمار، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه. وعبارة الأغانى: «ثم حرك أصابعه ... الخ». (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «قشة» وهو تحريف.

فى مجلسى حتى قمتُ فجلستُ بين يديه، فقلت: بأبى أنت وأمّى! ما هذه الدابّة؟[1] [فلستُ[2] أعرفها] للأعراب وما خلقتُ إلا حديثا! فقال: يا أعرابىّ، هذا البَرْبط الذى سمعتَ به؛ فقلت: بأبى أنت وأمى! فما هذا الخيط الأسفل؟[3] قال: زِير؛ قلت: فما الذى يليه؟ قال: مَثْنى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلث؛ قلت: فالرابع؟ قال: البَمّ؛ قلت: آمنتُ بالله أوّلا وبالبمّ ثانيا.

وقال الخُرَيمىّ:

أُضاحِك ضَيْفى قبل إنزالِ رَحْلِهِ * ويُخْصِب عندى والمَحَلّ جَدِيبُ

وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُر القِرَى * ولكنّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

وقال أرطاة بن سُهَيّة:

وإنّى لقَوّامٌ الى الصيف مَوْهِنًا * اذا أغدف السِّتْرَ البخيلُ المُوَاكِلُ[4]

دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ * على ثقةٍ مِنّى بما أنا فاعلُ

وما دُون ضَيْفى من تِلادٍ تَحُوزُه * لِىَ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائلُ

آخر[5]:

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوّرًا[6] * على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَرَاجِلُهْ

يقول: يُسَوِّئ خُلقَه حتى يُطعِم أضيافَه، لإعجاله إياهم ولخوف تقصيرٍ يكون منهم.

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل «الداهية». (٢) زيادة عن كتاب الأغانى.

(٣) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فما هذه الخيوط السفل». (٤) المواكل: العاجز الذى يكل أمره الى غيره ويتكل عليه. (٥) الشعر لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها. (راجع الشعر فى الأغانى ج ٧ ص ١٢٣). (٦) العذوّر: السيئ الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

وقال دِعبِل[1] :

وإنّى لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىَّ إلا تلك من شِيمَةِ العبـدِ

وقال آخر[2] :

لَحَافِى لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُه * ولم يُلهِنِى عنـه الغزالُ المُقَنَّـعُ[3]

أُحَدِّثُه، إنّ الحـديثَ من القِرَى * وتعـلمُ نفسى أنّه سـوف يَهجَعُ

وقال الفرزدق فى العُذافِر :

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يومَ اكتيالِها[4] * بأكثرَ خيراً من خِوَانِ عُذافِرِ

ولو ضافَه الدَّجّال يلتمسُ القِرَى * وحَلّ على خَبّـازه بالعساكر

بعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهـم * لأشبعهم يوماً[5] غَداءُ العُـذافِرِ

وقال مِسكِين الدارمىّ :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قَبـلى تُنزَلُ القِدرُ

ما ضَرّ جارًا لى أُجاوِرُهُ * ألّا يكونَ لبابِه سِتْرُ

ضاف رجلٌ من كَلْب أبا الرَّمكاء الكلبىّ، ومع الرجلِ فَضْلة من حِنطة، فراحَتْ مِعزَى [أبى] الرَّمكاء، فحَلَبَ وشَرِب، ثم حلب وسَقَى ابنَه، ثم حلب وسَقَى

(١) ذكر أبو الفرج فى الأغانى هذا البيت ضمن أبيات منسوبة الى قيس بن عاصم المنقرىّ (انظر الأغانى فى ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق). وكذلك رواه المبرد فى الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥ طبع أوربا) وقد رواه :

وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وفى شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للمقنع الكندى من أبيات مفتوحة الروىّ. (٢) هو عتبة بن بجير وقيل مسكين الدارمى، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثانى من هذا الكتاب. (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته. (٤) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٩ طبع أوربا). وفى الأصل : «حين اكتالها». (٥) فى كتاب البخلاء «شهرا».

آمرأته؛ فقال الرجل : ألَا تسقُون ضيفكم ؟ فقال أبو الرمكاء : ما فيها فضل ؛ فآستخرج الرجلُ مافي عِكَّتِه(١) من طعام وقال : هل من رَحًى؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحَنَ وعَجَنَ وأوقد خبزَتَه(٢) وأخرجها فنَفَضها، فاذا رسول أبي الرمكاء يقول : يقول لك أبو الرمكاء : لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل، وقال :

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضيفَه * من المَحْض ما يَطْوِى عليه فيَرْقُدُ

فقمتُ الى حسّانةٍ فوق أختها * ونارٍ وباتتْ وهي تورَى وتوقَد

فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو(٣) الجوع والحىُّ سُهَّدُ

وقال أبو الرمكاء بالخبز عهدُه * قديمٌ له حولٌ كَرِيبٌ(٤) مُطَرَّد

فقلت ألَا لافضلَ فيها لناحلٍ * ولا مَطْمعٌ حتى يلوح لنا الغَدُ

فباتَ أبو الرمكاء من قَرْط رِيحها * يَئِنّ كما أنّ السليمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابيّ قوما فقال : ألغَوا من الصلاة الأذانَ، مخافة أن تسمعه الآذان، فيَهِلّ عليهم الضِّيفان .

وقال بعضهم فى ذلك :

أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ * وقالوا لا تَنَمْ للدَّيدَبانِ

وإنْ أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ * فصَفِّقْ بالبنان على البنانِ

تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ

(١) العكة : ما يبسط من الثياب و يجعل فيه المتاع . (٢) فى الأصل : « قال » .

(٣) فى الأصل : « شكى » . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وتَكْعَمُ[1] كلبَ الحيّ من خَشيةِ القِرَى * وقِـدْرُكَ[2] كالعَذْراء من دونها سِتْرُ

وقال آخر :

وإنّى لَأجفو الضيفَ من غير عُسْرةٍ * مخـافةَ أن يَضْرَى[3] بنـا فيعودُ

وقال آخر :

أعددتُ للضِّيفان كلبا ضاريًا * عندى وفضلَ هِرَاوةٍ من أرزَنِ[4]

ومَعاذِرًا كَذِبًا ووجهًا باسرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزمانِ الألزَنِ[5]

رأى رجلٌ الحُطَيْئةَ وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : عَجْراء من سَلَمٍ، قال : إنى ضيف، قال : للضِّيفان أعددتُها .

وقال آخر[6] :

وأُبغِضُ[7] الضيفَ ما بى جُلُّ مأكلِه * إلّا تَنَفُّخَه حـولى إذا قعـدا

ما زال ينفُخ جنبيه[8] وحَبْـوتَه * حتى أقولَ لعلّ الضيـفَ قد وَلَدا

وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا واردُ المصرِ مُرمِلًا[9] * تأوّبَ[10] نارِى أصفرُ[11] العقلِ قافلُ[12]

فقلتُ لعبـدىَّ آعجَلَا بعَشَـائه * وخيرُ عَشاء الضيفِ ما هو عاجلُ

---

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكعام لئلا ينبح فيبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «وبارك» .

(٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصىّ . (٥) الزمان الألزن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه فى العقد : «لا أبغض» . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل «ينفح كتفيه» .

(٩) المرمل : الذى نفد زاده . (١٠) تأوّب : جاء أوّل الليل ويقال : تأوّبه وتأيّبه على المفاعلة اذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَاسِيَ للقِرَى * أَبِنْ لِي ما الحَجّاج بالناس فاعل

فقلت لَعَمْرِي ما لهذا طَرَقْتَنا * فكُلْ ودَعِ الأخبارَ ما أنتَ آكلُ

تُجَهِّز كَفّاهُ فيحْــدُرُ حَلْقُه * إلى الزَّوْرِ ما ضَمَّتْ عليه الأناملُ (١)

أتانا ولم يَعْــدِلْه سَحْبانُ وائلٍ (٢) * بيانًا وعلمًــا بالذى هو قائــلُ

فمــا زال منــه اللَّقْمُ حتى كأنه * من العِيِّ لمــا أن تَكَلَّمَ باقــلُ (٣)

وقال أيضا فى نحو ذلك :

ومُرمِلِين على الأقتاب بزِّهم * حقــائب وعيــاءٌ فيــه بعو ين (٤)

مقدّمين أُنوفًا فى عصائبهم * هُجْنًا ألَا جُدِعَتْ تلك العرانينُ

يُسَطِّرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا * وكلُّ ما ســطّروا لِلّقمِ تمكينُ

باتوا وجُلتنــا الصهبــاءُ (٥) بينهمُ * كأنّ أظفارَهم فيهــا سكاكينُ

فأصبحوا والنَّوَى عالى مُعَرَّسِهِم (٦) * وليس كُلُّ النوى تُلقِى المساكينُ

---

(١) فى الأصل : « إليه » ، وورد هذا البيت فى اللسان مادة « بقل » :

تدبل كفاه ويحــدر حلقه * الى البطن ما ضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم اللقمة عند الأكل . (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بنى بكر بن وائل ، كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل فى العىّ . قال الليث : بلغ من عىّ باقل أنه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم اشتريت الظبى ؟ ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك الى أحد عشر — فانفلت الظبى وذهب ؛ فضربوا به المثل فى العىّ . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجلة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصهبة . وفى الأصل : « باتوا وجلتنا السهرين بينهم » ، ولعله محرّف عن : « باتوا وجلتنا الشهريز بينهم » والسهريز (بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعنى لمـا أصبحوا ظهر على معرسهم — وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرته ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة الى كثرة ما قدّمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا في نحو ذلك :

وعاوٍ عَوَى والليلُ مُستحلِسُ النَّدى * وقد صَعْصَعت للغَوْرِ تاليةُ النجم[1]

فسلَّمَ تسليمَ الصَّديقِ ولم يكنْ * صديقًا لنا إلا ليأْنَسَ باللَّقيم[2]

فقلت له والنارُ تأخذ صدرَه * أقمتَ لِسَمْتٍ[3] أم سَرَيْتَ على علم

وقال بعض الرُّجّاز :

بَرَّحَ بالعينين خَطّابُ[4] الكُثَبْ * يقول إني خاطبٌ وقد كَذَبْ

وإنما يَطلبُ عُسًّا مِنْ حَلَبْ *

وقال آخر :

إني لمثلكمُ من سوء فعلكمُ * إن زرتكم أبدًا إلّا معي زادي

وقال حمّاد عَجْرَد :

حُرَيثٌ أبو الصَّلت ذو خِبرةٍ * بما يُصلِحُ المِعْدَةَ الفاسدهْ

تخوَّفَ تُخْمَةَ أضيافِه * فعَوَّدهم أكلةً واحدهْ

عن قَتادة قال : قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشة : أُحبُّ أن تُحدِّثني عن العرب وجَهْدِها وضَنْكِ عيشها، لنَحمَدَ الله على النِّعمة التي أصبحنا بها؛ فقال غَيلان : حدّثني

---

(١) مستحلس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرته . وصعصعت للغور : مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى تاليات النجوم وهي أواخرها . (٢) في الأصل «فالبأس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن، وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف في الخطبة . والكثب : جمع كثبة (بالضم)، والكثبة من الماء واللبن : القليل منه؛ يعني أن الرجل يجيء بعلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن الأعرابي : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كثبة . وفي الأصل «حطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير . وفي الأصل «وقسا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتي خطب وكثب) .

عمّي قال : توالتْ على العرب سِنُونَ تسعٌ فى الجاهلية حَطَمتْ كلّ شىء، فخرجتُ على بَكْرٍ لى فى العرب. فمكثتُ سبعًا لا أطعَمُ شيئا إلا ما ينالُ منه بعيرى أو من حَشَرات الأرض، حتى دَفَعتُ فى اليوم السابع إلى حِواءٍ[1] عظيم، فإذا بيتٌ جُحْش[2] عن الحىّ، فملتُ اليه فخرجتْ الىّ امرأة طُوَالة حُسّانة[3]؛ فقالت : من؟ قلت : طارق ليلٍ يلتمس القِرى؛ فقالت : لو كان عندنا شىء لآثرناك به، والدالُّ على الخير كفاعله، حِسّ[4] هذه البيوتَ ثم انظُرْ الى أعظمها، فإن يك فى شىءٍ منها خيرٌ ففيه؛ ففعلتُ حتى دَفَعْتُ اليه، فرحّب بى صاحبُه وقال : من؟ قلتُ : طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى؛ فقال : يافلانُ، فأجابه، فقال : هل عندك طعامٌ؟ فقال لا؛ فوالله ما وَقَر فى أذنى شىء كان أشدَّ منه. قال : فهل عندك شراب؟ قال لا، ثم تأوّه فقال : بلى! قد بقّينا فى ضَرْع الفلانة[5] شيئا لطارقٍ إن طرَقك، قال : فأت به، فأتى العَطَن[6] فابتعثها. فحدّثنى عمّى أنه شهد فتح أصبهانَ وتُسْتَرَ ومهرجان وكُوَرَ الأهواز وفارسَ وجاهه عند السلطان وكثرة ماله وولده، قال : فما سمعتُ شيئا قطُّ كان اشدّ من شَخْب تيكَ الناقة فى تلك العُلْبة؛ حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وآرتفعت عليها شمكرةٌ[7] كجُمّة الشيخ، أقبل بها يَهْوِى نحوى، فعثَر بعود أو حجر، فسقطتِ العُلبة من يده، فحدّثنى

---

(١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت. (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت.

(٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة. وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة، وهما وصفان تمدح بهما المرأة. (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها.

(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة. وفى الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة. (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مناخها حول وردها، فأما فى مكان آخر فمراح ومأوى. (٧) كذا بالأصل، ولم نوفق الى تحقيقها، وسياق الكلام يقضى أن يكون هنا ما يدل على الرغوة التى تعلو اللبن وقت حلبه.

أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلْبة .
فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهرًا سيفَه فبعَث الإبلَ ثم نظر الى أعظمها
سَنامًا ودفع إليه مُدْيةً وقال : يا عبد الله آصْطَلِ وآحتمِلْ . قال: فجعلت أهوِى
بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها[1] أكلتُها، ثم مسحتُ ما فى يدى من إهالتها على جلدى
٥ وقد كان قَحَل[2] على عظمى حتى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشيًّا علىّ
فما أفقتُ الى السَّحَر . وقطع زيادٌ الحديث وقال : لا عليك ألّا تخبرنا بأكثر من
هذا، فمن المنزولُ به ؟ قلت : أبو علىّ عامرُ بن الطُّفَيْل .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لضَيفِهم * يتخلّلون صُبابةً للزّاد

١٠ وقال آخر[3] :

اِستَبْقِ وُدَّ أبى المُقَا * تِل حين تأكل من طَعامِهْ
سِيّانِ كَسْرُ رغيفِه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ
فتراه من خوف النّزِيـ * ـلِ به يُروَّع فى منامهْ
فإذا مررتَ ببابه * فآحفظ رغيفَك من غلامهْ

١٥ وقال آخر[4] :

صدَّق أَلِيّتَه إن قال مجتهدًا * لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعجِبنى لو أنّ غيرتَه[5] * على جرادِقِه[6] كانت على حُرَمِهْ
إن رمتَ[7] قتلَه فأْتِك بخُبْزَتِه * فإنّ موقعها من لحمه ودَمِهْ

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان . (٢) قحل
٢٠ (كمنع وعلم وعنى) : يبس . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل .
(٤) هو أبو تمام، (أنظر ديوانه : باب الهجاء، قافية الميم) . (٥) كذا فى العقد الفريد
(ج ٣ ص ٣٢٩) . وفى الأصل : « لو كان » . (٦) الجراذق : جمع الجرذق بالفتح
والذال المعجمة كالجردق بالدال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسىّ ، معرّب « كرده » بالكاف .
(٧) فى الديوان ونهاية الأرب (٢ ح ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بخبزته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزة؛ وقال :

أبو دُلَف يُضيِّع ألفَ ألفٍ * ويَضرِب بالحُسَام على الرغيفِ
أبو دلفٍ لمطبخِه قُتَارٌ[1] * ولكن دونَه ضربُ السيوف

وقال أبو الشَّمَقْمَق[2] :

رأيت الخبزَ عزّ لديك حتى * حسِبت الخبز فى جوّ السحابِ
وما روّحتنا لِتَذُبّ عنا * ولكن خِفتَ مَرْزِئةَ الذُّباب

وقال دِعبِل :

إنّ مَنْ ضنّ بالكَنيف على الضيـ * ـفِ بغير الكنيف كيف يجودُ !
ما رأينا ولا سمعنا بحُشٍّ[3] * قبل هذا لِبابه إقليدُ
إن يكن فى الكنيف شيء تخبّا[4] * ه فعندى إن شئت فيه مزيدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها فى باب الشعراء[5] .

قال أبو محمد : شُوِى لجعفر بن سليمان[6] الهاشمىّ دَجاجٌ ففُقِدَ فخِذٌ من دَجاجةٍ، فأمر فنودى فى داره : من هذا الذى تعاطى فعقَر ! والله لا أخبِز فى هذا التنُّورِ شهرا أو يُرَدّ ! فقال ٱبنُه الأكبر : أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ! .

(١) القتار : الدخان . (٢) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد الشاعر، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوربا ص ٧٧) .
(٣) الحش (بتثليث الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوّط فى البساتين، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا فى الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا)، ولعله : «تخبيه» . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة فى كتابه الشعر والشعراء وهى أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر .
(٦) كذا فى غرر الخصائص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتى قريبا وهو الصواب، لأنه هو المعروف بالبخل . وفى الأصل : «أبو جعفر» .

قال بعض الشعراء[1]:

يا تاركَ البيت على الضيف * وهارباً منه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبزٍ له[2] * فارجع فكن ضيفاً على الضيف

وقال أبو نُوَاس[3]:

خبزُ إسماعيلَ كالوَشْـ * ـىِ إذا ما شُقّ يُرْفَا
عجباً من أثر الصنـ * ـعة فيه كيف يَخفَى
إنّ رَفّاءك هذا * أحذقُ الأمة كفّا
فإذا قابل بالنصـ * ـف من الجَرْدَق نصفا
مثل ما جاء من التنّـ * ـور ما غادر حرفا
أحكم الصنعةَ حتى * لا يُرَى موضعُ إشْفَى[3]
وله في الماء أيضاً * عملٌ أبدع ظَرْفا
مزجُه العذبَ بماءِ الـ * ـبئر كي يزدادَ ضعفا
فهو لا يشرَبُ منه * مثل ما يشرب صِرفا[4]

---

(١) قال هذا الشعر رجل من اليمامة في مروان بن أبي حفصة الشاعر، وكان قد نزل عليه ضيفاً، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه بهذا الشعر. انظر المستطرف للأبشيهي (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في العقد والمستطرف، وفي الأصل "ضيفن" بالنون.

(٣) قال هذا الشعر في إسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة، معرب) واصطبح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر. (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب.

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بِبِنتِ [ابن] هَرْمة فقلت : انحروا لنا جَزورا ، قالت : والله ما هى عندنا ، قلت : فبقرة ، قالت لا ، قلت : فشاة ، قالت لا ، قلت : فدجاجة ، قالت لا ، قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمتِعُ العُوذَ(١) بالفِصَال ولا * أبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ

قالت : ذاك أفناها . فبلغ ابنَ هَرْمة ما قالت ، قال : أشهدُ أنها ابنتى ، وأشهدُ أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال ابن أبى فَنَنٍ :

لا أشتُمُ الضيفَ ولكنّى * أدعوه بالقُرْبِ من طَوْقِ
مُقْرِبِ مَنْ إن زاره زائرٌ * مات الى الخبز من الشوقِ

دخل على ابنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه فَرَاريجُ ، فغطّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه فى جيبه وقال للداخل عليه : كن فى الحجرة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُورى .

وفيما أجاز لنا عَمْرُو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قد تغدّى مع قومٍ ولم تُرفعِ المائدةُ قال لهم : كُلوا وأجهِزوا(٢) على الجرحى . يريد : كلوا ما كُسِر ونِيل منه ولا تَعْرِضوا الى الصحيح .

---

(١) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل ، واحدتها عائذ مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتع العوذ أولادها بل يذبحها لضيوفه الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا « لا أمتع العوذ بالحصال » وهو تحريف . والتصحيح عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) فى الأصل : « وأجيزوا » وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها « قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء » .

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزى صغار! أىّ آبن زانية يأكل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث : تغدّيتَ اليوم ؟ فإن قال نعم، قال : لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتُك بطعامٍ طيّبٍ. وإن قال لا، قال : لو كنت تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير .

وحُكى عن أبى نُوَاس أنه قال : قلت لرجلٍ من أهل خراسان[1] : لِمَ تأكل وحدَك ؟ قال : ليس علىّ[2] فى هـذا الموضع سؤال، إنما السـؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذاك تكلُّف وأكلى وحدى هو الأكل الأصلىّ .

وكنّا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كَسْكَر[3]، فأتته من البصرة هدايا، وكان فيها زِقَاقُ دُوشَابٍ[4]، فقسمها بيننا، فكلّنا أخذ ما أُعطِى، غيرَ الحِزَامِىّ، فأنكرنا ذلك وقلنا : إنما يجزَع الحِزامىّ من الإعطاء وهو عدوّه، فأما الأخذ فهو ضالّته وأُمنيّته، فإنه لو أُعطِى أفاعىَ سِجِسْتَانَ، وثعابينَ مصر، وجَرَّاراتِ الأهواز[5] لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها، فسألناه عن سبب ذلك، فتعسّر قليلا ثم باح بسرِّه وقال : وَضِيعتُه[6] أضعافُ ربحه، وأخذُه من أسباب الإدبار، قلت : أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقل السُّكْر، قال :

---

(١) كذا فى البخلاء، وفى الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا فى البخلاء (ص ٢٦) . وفى الأصل : «من» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط، وهى مشهورة بالفراريج الكسكرية . (٤) كذا فى الأصل، والدوشاب : نبيذ التمر معرب، قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح * بصفاء ماء طيب البـــرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحدّ من الدوشاب * شربة بعضت قناع الشباب

وفى كتاب البخلاء أنها زقاق دبس، والدبس : عسـل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعانى : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء العليل للخفاجى) . (٥) جرارات الأهواز : عقاربها القتالة .

(٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطر ببالى قط، ولكن أول ذاك كِرَاء الحمّال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العَصيدة والأرُزّة والستندفود[1]، فإن بعتُه فِرارًا من هذا البلاء صيرّتمونى شُهْرة[2]، وإن أنا حبّسته ذهب فى العَصائد وأشباهها، وجذب ذلك شِراءَ السَّمْنِ، ثم جذب السمنُ غيرَه، وصار هذا الدّوشاب علينا أضرَّ من العيال؛ وإن أنا جعلتُه نبيذًا احتجتُ الى كِراء القُدُور والى شِراء الحُبّ[3] والى شراء الماء والى كِرَاء من يُوقِد تحتـه؛ فإن ولّيتُ ذلك الخادمَ اسودّ ثوبُها وغرّمتنا ثمنَ الأُشْنان[4] والصابون، وازدادتْ فى الطُّعم على قَدْرِ الزيادة فى العمل؛ فإن فسـد ذهبت النفقـةُ باطلا ولم نَستخلِفْ[5] منها عِوضا بوجه من الوجوه، لأن خلّ الدّاذِيّ[6] يَخْضِب اللحمَ ويغيّر الطَّعم ويسوّد المَرَقة ولا يصلُح [إلا][7] للاصطباغ[8]. وإن سلِم ـ وأعوذ بالله ـ وجاد وصفا لم نجد بُدًّا من شربه ولم تَطِب أنفُسنا بتركه؛ فإن قعدتُ فى البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك

---

(١) كذا فى الأصل، وفى البخلاء (ص ٦٧): «البستندود» ولم نوفق الى معرفتـه.

(٢) الشهرة: ظهور الشيء فى شنعة. (٣) الحب بالضم: الجرة. (٤) الأشنان: الحمض الذى تغسل به الأيدى. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «ولم يخلف منها بوجه من الوجوه». (٦) فى القاموس وشرحه (مادة «دوذ» بمهملة فمعجمة): الداذى: شراب الفساق وهو الخمر، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب. ثم قال فى مادة «ذوذ» بمعجمتين: والذاذى: نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل فى الفرق (مكيال) فتعبق رائحته ويجود إسكاره؛ قال الشاعر:

شربنا من الداذىّ حتى كأننا ✽ ملوك لنا بر العـراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار رأيتنا ✽ تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

ثم قال شارح القاموس: «ولذا حكم الحذاق باتحاده مع الذى قبله، وكلاهما غير عربى ولا معروف». واقتصر فى اللسان على «الداذىّ» بمهملة فمعجمة وذكر البيت. (٧) التكملة عن البخلاء.

(٨) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «للاصطناع».

سُلافِ الفارسيّ المُعَسَّل، والدَّجاج المُسَمَّن، وجِداء كَسْكَرَ[1] وفاكهة الجبل والنَّقْل الهَشّ
والرَّيْحان الغَضّ، عند من لا يَغِيض مالُه، ولا تنقطِع مادّتُه، وعند من لا يُبالى على
أى قُطْرَيْه[2] سقط، مع فوْت[3] الحديث المُؤْنِس والسَّماع الحسن؛ وعلى أنى إن جلستُ
فى البيت أشربه لم يكن بُدٌّ من واحد، وذلك الواحدُ لا بُدَّ له من لحم بدرهم،
٥ ونَقْلٍ بطَسُّوح[4]، وريحانٍ بقيراط، ومن أبْزارٍ للقِدر وحَطَبٍ للوقود؛ وهذا كله غُرْمٌ
وشؤم وحِرمان وحُرفة[5] وخروج من العادة الحسنة. فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ
السجن أحسنُ حالًا منى، وإن كان موافِقًا فقد فتح الله على مالى به بابًا من
التَّلَف، لأنه حينئذ يسير فى مالى كسَيْرى فى مال غيرى ممّن هو فوق. فإذا علِم
الصديقُ أن عندى دَاذِيًا[6] أو نبيذًا دقّ على البابَ دقّ المُدِلّ، فإن حجبناه فبلاء،
١٠ وإن أدخلناه فشقاء. وإن بدا لى فى استحسان حديث الناس كما يستحسنه
[منى][7] من أكون عنده، فقد شاركتُ المُسْرِفين، وفارقت إخوانى الصالحين،
وصِرتُ من إخوان الشياطين؛ والله تقدّستْ أسماؤه يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ فإذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبى من مالِ غيرى،
وصار غيرى يكتسب منّى؛ وأنا لو ابتُليتُ بأحدهما لم أقُم به فكيف إذا ابتُليتُ
١٥ بأن أُعطِى ولا آخُذ، وبأن أُؤَكِّل ولا آكُل! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد
العِصْمة، ومن الحَوْر[8] بعد الكَوْر؛ ولو كان هذا فى الحداثة كان أهون[9]. هذا

(١) كسكر: تقدم فى تعريفها فى صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالفراريج الكسكرية، ولعلها مشهورة أيضا بجدائها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا فى الحلاء. وفى الأصل: «قرب». (٤) الطسوح: ربع الدانق. انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ... ص ... من
٢٠ هذا الجزء. (٥) الحرفة: الحرمان. (٦) كذا فى الحلاء. وفى الأصل: «راسا».
(٧) التكملة عن الحلاء. (٨) الحور: النقصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور». (٩) كذا فى الحلاء. وفى الأصل: «أحسن».

الدُّوشاب دسيسٌ من الحُرفة، وكيدٌ من الشيطان، وخُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التي تُعقب المرارةَ. ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملّني فهو يحتال لي الحِيَلَ!.

وحُكِي عن الحارثي أنه قال: الوَحْدة خيرٌ من جليس السوء، وجليسُ السوء خير من أكيل السوء، لأن كل أكيلٍ جليس وليس كل جليس أكيلا، فإن كان لا بدّ من المؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر عليّ بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة(1)، ولا يلتقم كَبِدَ الدجاج، ولا يُبادر إلى دماغ السُّلاءة(2)، ولا يختطف كُلْية الجَدْي، ولا يَزْدرِد قانصة الكُرْكيّ(3)، ولا ينتزع شاكلة الحَمَل(4)، ولا يبتلع سُرّة السمك، ولا يَعْرِض لعيون الرءوس، ولا يستولي على صدور الدُّرّاج(5)، ولا يسابق إلى أسقاط الفِراخ، ولا يتناول إلا [ما](6) بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره، ولا يمتحن الإخوانَ بالأمور الثمينة، ولا ينتهك أستارَ الناس بأن يشتهيَ ما عسى ألّا يكون موجودا؛ فكيف تصلح الدنيا ويطيب العيش بمن إذا رأى جَزُوريّة(7) التقط الأكبادَ والأسنِمة، وإذا عاين بقريّة استولى على العِراق(8) والقَطِنة(9)، وإن عاين بطنَ

(1) كذا في البخلاء، وقد أوردها الثعالبي في كتابه «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه» فقال: «بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة إليها». وفي الأصل: «البيضة المقلية».

(2) السلاءة: واحدة السلاء وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين.

(3) الكركي: طائر يقرب من الإوز أبتر الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود يأوي إلى الماء أحيانا.

(4) الشاكلة: الخاصرة.

(5) الدرّاج كرمّان: طائر جميل المنظر ملون الريش، يطلق على الذكر والأنثى.

(6) التكملة عن البخلاء.

(7) كذا في البخلاء، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب إلى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى. وفي الأصل: «جزرية» والجزرة: الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء، وذكر الأسنمة في الكلام يأباها.

(8) العراق: ما دون السرة من الحشا معترضا بالبطن.

(9) القطنة: مثل الرمانة تكون على الكرش وهي ذات الأطباق، والعامة تسميها الرمانة.

سمكةً آحترق كلّ شيء فيه، وإن أتَوا بجنب شِوَاءٍ آكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحِدّة شهوته، ولا ينظر للعيال. ولا يُبَالى كيف دارت الحال. وأشدُّ من كل ما وصفْنا أن الطبّاخ ربما أتى باللون الظريف الطّريف، والعادةُ فى مثـل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم، فيقدّمه حارًّا مُمْتنِعًا(١)، وربما كان من جوهرٍ بَطِىءِ الفُتور(٢)، وأصحابُنا فى سهولة آزدراد الحارّ عليهم فى طبائع النَّعام، وأنا فى شـدّة الحارّ [علىّ](٣) فى طِباع السِّباع، فإن نظرتُ(٤) الى أن يُمكِن أتَوا على آخره، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم(٥) فى بعضه لم آمَن ضررَه، والحارُّ ربما قتل وربما أعْقَم وربما أبال الدم. قال: وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتخذ فيُكثِر، فقال: أنتم لهذا أترَكُ منى، فإن زعمتم أنى أكثرُ مالًا وأعَدُّ عُدّةً، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أُطْعِم أبدا وتأكلوا أبدا، فإذا أتيتم من أموالكم من البَذْل على قدْر احتمالكم، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم، والى تزيينى(٦) ذهبتم، وإلا فإنكم إنما تحلبُون حَلَبًا لكم شَطْرُه.

قال: كان أبو ثُمامة(٧) أفطر ناسًا وفتح بابَه(٨) فكثُر عليـه الناسُ، فقال: إن الله لا يَستحى من الحق، وكلّكم واجبُ الحق، ولو استطعنا أن نَعمّكم بالبِرّ كنتم فيـه سـواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعض؛ كذلك أنتم اذا عجَزْنا أو بدا لنا، فليس بعضُكم أحقَّ بالحِرمان والاعتذار اليه من بعض، ومتى قربتُ بعضَكم وفتحتُ بابى لهم وباعَدتُ الآخرين، لم يكن فى إدخال البعض عذرٌ، ولا فى منع الآخرين حُجّة؛ فآنصرَفوا ولم يعودوا.

---

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «ممتنا» وهو تحريف. (٢) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «فى». (٣) التكملة من البخلاء. (٤) نظرت: انتظرت. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «أشاركه». (٦) كذا فى الأصل، وفى البخلاء: «والى تزيينى». (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥): «ثمامة». (٨) فى الأصل: «ويفتح».

قال : وكان محمد بن أبى المؤمّل يقول : قاتل الله رجالًا كنّا نؤاكلهم ، ما رأيتُ قَصعةً رُفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحضارَ الجَدْى إنما هو شىء من آيين[1] الموائد الرّفيعة ، وإنما جعل كالعاقبة[2] وكالخاتمة وكالعلامة[3] لليسر والفراغ ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهلَه لو أرادوا به سوءًا لقدّموه لتقع الحِدّة به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمّيز[4] حين رآه لا يُمَسّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يتحامَوْن بيضةَ البقيلة ، ويدَعُها كلٌّ واحدٍ لصاحبه ، وأنتَ اليوم اذا أردت أن تُمتّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السّلاءة[5] لم تَقدِر على ذلك .

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز ، وأعداها له المالح ، فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلب آكله له لأتى على الحَرْث والنّسل .

وكان يقول[6] : ما بال الرجلِ اذا قال : اسقِنى ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّى أو أصغر ، وإذا قال : أطعِمْنى شيئا أو هات لفلان طعاما ، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن

---

(١) كذا فى البخلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عرّبه المولدون ، قال مهيار فى قصيدة له :

يجمع الحزبين حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفى الأصل : « آس الموائد » . (٢) فى البخلاء : « كالعاقبة »

(٣) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « كالعلاوة للشر » وهو تحريف . (٤) فى الأصل والبخلاء : « جمين » بالنون فى آخره . وورد فى القاموس وشرحه فى مادة (ج م ن) : « وأبو الحارث جمين كقبيط المدنى ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح ، والصواب بالزاى المعجمة فى آخره ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا * قد أوتى الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) فى حرف الزاى ونبهنا عليه هناك » اهـ . ولهذا رجحنا ذكره بالزاى المعجمة فى جميع المواضع التى ورد فيها . (٥) تقدّم تفسيرها قريبا . (٦) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : « وكان يقال » .

الجماعة، والطعامُ والشرابُ أخوان . أمَا إنه لولا رُخْص الماء وغلاء الخبز لما كلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى الماء؛ والناسُ أشدّ شىء تعظيما للمأكول إذا كثُر ثمنه وكان قليلا فى مَنْبته وعُنْصره . هذا الجزَر الصافى والباقِلاء[1] الأخضر أطيب من كُمَّثرى خُراسانَ والموز البُستانى، وهذا الباذنجان أطيب من الكَمْأة، ولكنهم لقصر هِمَمهم وأذهانهم فى التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرِب الناسُ الماءَ على طعامهم لما اتَّخَموا . وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدارَ ما أكل حتى ينالَ من الماء شيئا، لأنه ربما كان شبعان وهو لا يَدرى . وفى قول الناس : ماءُ دِجلة أمرأ من ماء الفُرات، وماء مِهْران[2] أمرأ من ماء [نهر][3] بَلْخ؛ وفى قول العرب : هذا ماءٌ نَمِيرٌ يَصلُح عليه [المال] دليلٌ على أن الماء يُمْرِئ؛ حتى قالوا : إن الماء الذى يكون عليه النَّفّاطات[4] أمرأ من الماء الذى تكون عليه القَيّارات[4] . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فإن ذلك أمرأ][5] .

قال وكان الثَّوْرىّ يقول لعياله : لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ابتلاعه، فإن النوى يَعقِد الشحمَ فى البطن، ويُدفِئ الكُلْيتين بذلك الشحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصَّفايا[6] وجميع ما يَعتلِف النَّوى . والله لو جعلتم أنفسكم على قضم الشعير واعتلافِ القَتّ[7] لوجدتموها سريعة القَبول، وقد يأكل الناسُ القتّ قَدّاحا[8]،

---

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشديدها مقصورا) : الفول الواحدة بهاء أو الواحد والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجرى فيه السفن . (٣) التكملة عن البخلاء (ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة . (٧) القت : حب برى يأكله أهل البادية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطبا قبل أن يجف .

والشعيرَ فريكا، ونوى البُسْر الأخضر، ونوى العَجْوة ؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبَة ؛ أنا أقدِر أن أبتلع النوى وأُعلِفه الشّاءَ[1]، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا الباقِلّاء بقشوره ، فإن الباقِلّاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى ، ومن لم يأكلنى بقشورى فأنا آكُلُه ؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طَعاما لطعامكم ، وأكّالا لما جُعِل أكلا لكم .

قال : وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز ، فربح أقواتَهم فى تلك الأيام ؛ ففرِح وقال : لو كان فى منزلى سوقُ الأهواز ونَطَاةُ[2] خَيْبر رجوتُ أن أستفضل فى كل سنة مائة دينار .

قال : ودعا موسى بنُ جَنَاح جماعةً من جيرانه ليَفْطُروا عنده [فى شهر رمضان][3] ، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تَعْجَلوا ، فان العَجَلة من عمل الشيطان . ثم وقف وقفةً ثم قال : وكيف لا تَعْجَلون والله تعالى يقول : ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ . اسمعوا ما أقول لكم ، فإن فيه حسن المُؤاكلة والتبعُّد من الأَثَرة ، والعاقبةَ الرشيدة ، والسيرةَ المحمودة : اذا مدَّ أحدُكم يدَه ليستقىَ ماءً فامسكوا أيديَكم حتى يَفْرُغ ، فإنكم تجمعون عليه خصالًا : منها أنكم تنغّصون عليه فى شربه ، ومنها أنه إذا أراد اللَّحاق بكم فلعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرْص

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «أن أقدر أن أبيع النوى» . (٢) كذا فى البخلاء ، ويريد بسوق الأهواز : كورها وهى كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة . ونطاة خيبر : قصبتها وهى مشهورة بالحمى أيضا . قدم أعرابىّ خيبر فقال :

قلت لحمى خيبر استعدى * هاك عيالى فاجهدى وجِدّى

وباكرى بصالب وورد * أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات وبقى عياله . وفى الأصل : «مظلة خيبر» . (٣) التكملة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللُّقَم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأن اللحمَ ظاعنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعامى فإنى كذلك أفعل؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعةَ لى عليكم . قال بعضهم : فربما نَسِى بعضُنا فمدّ يده وصاحبه يشرب، فيقول له : يدَك يا ناسِى ، ولولا شىءٌ لقلتُ لك : يا متغافل .

٥ قال : فأتانا بأَرُزَّة لو شاء أحدُنا أن يعُدّ حباتها[1] لعدّها، لتفرُّقها وقِلّتها، وهى مقدار نصف سُكُرّجة[2] ، فوقعتْ فى فمى قطعةٌ ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين مَضَغتُها، فقال : أجرُشُ يا أبا كعب .

قال : وكنّا نسمع[3] باللئيم الراضع ، وهو الذى يرضَع الحَلَب[4] فلا يحلُبه فى الإناء لئلّا يُسمع صوتُ الحَلَب — وقال بعضهم : لئلا يضيعَ من اللبن شىءٌ — ثم رأيتُ

١٠ أبا سعيد المَدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنّ خَلّا حتى فَنِى ولم يخرج منه شىء .

قال : وكان الكِنْدِىّ[5] لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا — [وربما قال] للجار — إن فى دارى امرأةً بها حَبَلٌ ،والوَحْمَى ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة ، فإذا طبختم فرُدّوا شهوتَها بغَرفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردُّها اليسير ، وإن لم تفعل

١٥ ذلك وأسقَطتْ فعليك غُرّةٌ[6] : عبدٌ أو أمَة .

---

(١) فى الأصل : «حبتها» بالإفراد . (٢) السكرجة : الصحفة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ، والمراد بالغرة هنا العبد الابيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ؛ فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء .

٢٠

وقال بعضهم : نزلنا دارًا بالكِرَاء للكِنْدِيّ على شروط ، فكان فى شَرْطه على السكّان أن يكون له رَوْثُ الدابّة ، وبَعَرُ الشاة ، ونِشْوارُ[1] العَلُوفة ، وألّا يُخرِجوا عَظْما ولا يُخرِجوا كُناسة ، وأن يكون له نَوَى التمر ، وقشورُ الرمّان ، والغَرْفة من كل قِدْر تُطبَخ للحُبْلَى فى بيته ؛ وكان فى ذلك يَتنزّل[2] عليهم ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دِعْبِل : أقمنا يوما عند سَهل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى اضطرّه الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه ، فأُتِى بصَحْفة عُدْمُلِيّة[3] فيها مَرَق لحم ديك عاسٍ[4] هَرِم ليس قبلها ولا بعدها غيرها ، لا تَحُزّ[5] فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الأضراس ، فاطّلع فى القَصْعة وقلّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبزٍ يابس فقلّب بها جميع ما فى الصحفة ففقد الرأسَ ، فبقِى مُطرِقًا ساعةً ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس؟ قال : رميتُ به ؛ قال : ولِمَ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنه][6] ! قال : ولأىّ شىء ظننتَ ذلك؟ فوالله إنى لأمقُت من يرمى برجْله فكيف من يرمى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواسّ الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوتُه ما أُريد ، وفيه عُرفه الذى يُتبرّك به ، وفيه عينه التى يُضرب بها المثل فيقال : "شراب كعين الديك"[7] ، ودِماغه عجبٌ لوجع الكُلْية ، ولن ترى عظما قطّ أهشّ من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله . أو ما علمتَ أنه خير من طَرَف الجَناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدرِى أنك رميت به فى بطنك ، والله حَسْبُك .

(١) النشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم ويطرقهم .

(٣) عدملية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى جف وصلب .

(٥) لا تحز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تجز » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : «أصفى من عين الديك» .

وحُكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقات الكوفة، وإذا رجل يُخاصم جارًا له، فقلت : ما بالُكما تختصمان؟ فقال [أحدهما](١) : لا والله إلّا أنّ صديقا لى زارنى فاشتهى علىّ رأسا، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامه فوضعتُها على باب دارى أتجمّل بها عند جيرانى، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يُوهم أنه اشتراه .

٥ قال : وتناول رجل من بين يدى أميرٍ من الأمراء بَيْضةً(٢) وهو معه، فقال : خذها فإنها بيضة العُقْر(٣)، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقُدّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغفة على عدد الرءوس ورغيفٌ زائد يوضع على الصِّحاف، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت الى رجلٍ الى جانبه فقال : اِكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقْه بينهم، فتغافلَ، فأعاد عليه، فقال : يُبْتَلَى على يد غيرى .

١٠ قال المدائنىّ : كان للمُغيرة بن عبد الله الثَّقَفِىّ وهو على الكوفة جَدْىٌ يوضع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسّه هو ولا غيرُه ، فقدِم أعرابىٌّ يوما فأكل لحمَه وتعرّق(٤) عِظامَه؛ فقال، ياهذا، أتطالب هذا البائسَ بذَحْلٍ(٥)؟! هل نطحتْك أُمُّه! قال : وأبيك إنك لَشفيق(٦) عليه ! هل أرضعتْك أُمُّه ! .

قال المدائنى : كان(٧) لزياد بن عبد الله الحارثىّ جدى لا يَمَسّه [أحد](٨)، فعشّى ١٥ فى شهر رمضان قومًا فيهم أشعب ، فعرَضَ أشعب يومًا للجدى من بين القوم،

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرويها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود، يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة «بيض» . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .
٢٠ (٥) الذحل : الثأر . (٦) فى الأصل : « إنه لشفيق » .
(٧) فى الأصل : «قال» وكتب فى هامش الأصل المتوعراقى : «لعله كان» وهو الصواب .
(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوربا) .

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أمّا لأهل السجن إمامٌ يصلّي بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فليُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أوَ غيرَ ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله الثقفي يأكل وأصحابه تمرا فأنطفأ السراج ، وكانوا يُلقونَ النَّوَى فى طَسْتٍ ، فسُمِع صوتُ نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب بالكعبتين[1] ؟

قال الأعشى[2] :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم ، وجاراتكم سُغْبٌ يبِتْنَ خمائصا

وقال آخر[3] :

وضيف عمرٍو وعمروٌ ساهران معا * فذاك من كِظّةٍ والضيف من جوع

وقال آخر :

وجيرةٍ لا ترى[4] فى الناس مِثلَهمُ * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ

إن يُوقِدوا يوسِعونا من دُخانِهمُ * وليس يبلُغنا ما تُنْضِج النار

وقال سَماعةُ بن أشْوَل :

نزلنا بسَهْمٍ والسماءُ تلُفُّنا * لَحَى اللهُ سَهْمًا ما أدقَّ وألأمَا

فلما رأينا أنه عاتِمُ القِرَى[5] * بخيلٌ ذكرْنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا

---

(١) الكعبة والكعب : العظم الذى تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، ورواية البيت فيه :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

(٤) فى الأصل : « لم تر » . (٥) عاتم القرى : بطيئه .

فقُمنا وحمّلنا على الأيْنِ والوجى * جُلالاً[(١)] بأوصال الرّديفين مِرجَما[(٢)]

يدقّ[(٣)] خراطيمَ القنانِ كأنّمـا * يدقّ بصوّانِ الجلاميـد حَتمَا[(٤)]

بَحثنا وقد باض الكرى في عيوننا * فتًى من عيون المُعرِقين[(٥)] مسلّما

تُنـاخُ اليـه هجمةٌ[(٦)] واتِكيّة[(٧)] * رعتْ بالجِواء[(٨)] البقل[(٩)] حولاً مُجرّما[(١٠)]

كأنّ بأحقيها[(١١)] اذا ما تَتَعّمتْ * مَزادا[(١٢)] سقا فيـه المُزوّد مُعصما[(١٣)]

فبات رفيق بعـد ما ساء ظنّه * بمنزلةٍ من آخر الليـل مُكرَما

ولو أنهـا لم يدفعِ العِيسَ زمُّها * رأى بعضها من بعض أنْسائها[(١٤)] دمَا

وقال حُمَيدٌ الأرقط :

ومُستنْبِحٍ[(١٥)] بعد الهدوء وقد جرتْ * له خَرجَفٌ نَكْباءُ والليـلُ عاتمُ

١٠ رفعتُ له مخلوطةً[(١٦)] فاهتـدى بها * يشبّ لها ضوءٌ من النار جاحمُ

فأطعمتُـه حتى غدا وكأنما * تنازعه[(١٧)] في أخدَعَيـه المَحاجِمُ

---

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المصطرم العدو، وفي الأصل : «مرحا» .

(٣) في الأصل : «تدق» . (٤) الحتم : الحرف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوظت في السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحتم

١٥ والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب في الأصل الفتوغرافي أمام كلمة الحتم : «الحصيد» ولعله من معاني الكلمة . (٥) في الأصل : «المغرقين» ، ولعله : «من عيوب المعرقين مسلما» ، و يريد مدحه بأنه سالم من عيوب المعرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبوه من آثام . (٦) الهجمة من الابل : أولها الأربعون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وراثية» .

(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) في الأصل : «النقل» .

٢٠ (١٠) مجرما : تاما ، وفي الأصل : «محرما» . (١١) أحق : جمع حقو وهو الخصر .

(١٢) المزاد : جمع مزادة وهي الراوية والقربة التي يستقى فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نسا وهو عرق من الورك الى الكعب . وفي الأصل : «أنسابها» . (١٥) في الأصل : «ومستنبح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخروطة» وهي الشجرة التي نفض عنها ورقها . (١٧) في الأصل «تناعه» .

كَرَمهانَ[1] يَقْطُو[2] المشيَ لو جُعِلتْ له * رعايا الحِمَى لم يلتفت وهو قائمُ

حريصٌ على التسليم لو يستطيعه * فلم يستطع لما غدا وهو عائمُ[3]

وقال الأعشى[4] :

اذا حلّتْ معاويةُ بنُ عمرو * على الأطْواءِ خنّقتِ الكلابَا

وقال آخر[5] :

أيَابنــةَ عبــد الله وابنــةَ مالك * ويابنــةَ ذى البُرْدين والفرسِ الوَرْد

اذا ما عملتِ الزادَ[6] فالتمسى له * أكِيلًا فإنى غيرُ آكِلِهِ وَحْدى

بعيــدًا قصــيًا أو قريبًـا[7] فإنني * أخاف مَذَمّاتِ الأحاديث من بعدى

وكيف يُسِيــغُ المرءُ زادًا وجارُه * خفيفُ المِعَى بادِى الخَصاصةِ والجَهْد

ولَلموت خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأكيلِ على عمــد

وقال مُرّةُ بن مَحْكانَ السّعْدى :

فقلت لما غَدَوْا أُوصِى قَعِيدتَنا * غَدِّى بَنِيكِ فلن تُلْفِيهمُ[8] حِقَبَا

أُدْعَى أباهم ولم أُقْرَفْ بأُمِّهــمُ * وقد هَجمتُ ولم أعرِف لهم نَسَبا

---

(١) الرهمان : الحران . (٢) قطا الدابة يقطوها : ساقها سوقا شديدا .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها «صائم» كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى تغلب كما فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائى يخاطب امرأته ماوية بنت عبدالله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :

اذا ما صنعت ... ... * ... .. فانى لست ...

(٧) روى هذا الشطر فى أشعار الحماسة :

* أخا طارقا أو جار بيت فإننى *

(٨) رواية الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٤٣٢) : «فلن تلقيهم» .

وقال حمّاد عَجْرد :

زرتُ امْرأً فى بيته مَرّةً * له حيــاءٌ وله خِـــيرُ

يكرَه أن يُتْخِمَ إخوانه * إنّ أذى التُّخْمةِ محذور

ويَشْتَهِى أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصومِ والصائمُ مأجور

٥ وقال بعض المُحْدَثِين :

أبو نوحٍ نزلتُ عليــه يومًا * فغَــدّانى برائحـــة الطعامِ

وجاء بلحمٍ لا شىءٍ سمينٍ (١) * فقــدّمه على طبق الكلامِ

فلما أن رفعتُ يدى سقانى * مدامًا بعــد ذاك بلا مدامِ

فكان كمن سقى الظمآن آلًا * وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ

١٠ وقال عُرْوةُ بن الوَرْد :

إنى امرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكةٌ * وأنت امرؤٌ عافى إنائك واحدُ

أتهزأ منّى أن سَمِنتَ وأن ترى * بجسمِىَ (٢) مسّ الحقِّ والحقُّ جاهدُ

أُقسّم جسمِى فى جسومٍ كثيرةٍ * وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقــدم بيننا لحما سمينا * فقــدمه على طبــق الكلام

١٥ فلما أن رفعت يدى ســقانى * كؤوسا حشوها ريح المدام

(٢) فى أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوروبا) : «بوجهى شحوب الحق» .

باب القـــدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جَبّار المِنقرِي وقِدْرَه فقال :

لو أن قِدْراً بكت من طولِ مَحْبَسِها * على الحفوف[1] بكتْ قِـدْرُ ابن جَبّارِ

ما مسَّها دَسَمٌ مُـــذْ فُضَّ معدِنُهـا * ولا رأت بَعْـــد نارِ القَيْنِ من نارِ

وقال :

كأنّ تطلُّعَ التَّرْعيب[2] فيها * عَذارٍ[3] يَطَّلِعْن إلى عَذَارِ

وقال الكُمَيت :

كأنّ الغُطَامِطَ من غَلْيِها * أراجيزُ أسْلَمَ تهجو غِفَارَا[4]

وقال آخر[5] :

وقِدْرٍ بجَوْف الليل أحْمَشْتُ[6] غليَها * ترى الفِيلَ فيها طافياً لم يُفَصَّـــلِ

وقال ابن الزُّبير[7] يمدح أسماءَ بن خارجة :

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوانِه * مقطَّعـــةً أعضاؤه ومَفاصِـــلُهْ

---

(١) كذا في ديوانه المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف : قلة الدسم . وفي الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء بحيم بن عامر أحد بني عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبي السمحاء حتى * أتينا خير مطـروق لسارى

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة . وفي الأصل : « الترغيب » بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت الغليان ، ويقال : تغطمطت القـدر إذا اشتد غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) .

(٦) كذا في كتاب البخلاء . وفي الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحمش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرَّقاشىّ :

لنا من عطاء الله دَهْماءُ[1] جَــوْنةٌ[2] * تَناوَلُ بعـــد الأقربين الأقاصيَا

جعلتُ ألالًا والرِّجَامَ وطِخْفَــةً[3] * لهــا فاستقلَّت فوقهــنّ الأثافيَا

مــؤدِّيةٌ عنا حقـــوقَ محمـــدٍ * إذا ما أتانا يابسُ[4] الجسبِ طاوِيَا

أتى ابنُ يسيرٍ[5] كى يُنَفِّسَ كَرْبَه * إذا لم يَرُحْ وافَى مع الصبحِ غاديَا

فأجابه ابن يسير[6] :

وثَرْماءَ ثَلْمَاءِ[7] النــواحى ولا يُرى * بهــا أحدٌ عَيْبا سِــوى ذاك باديَا

إذا انقاصَ[8] منهــا بعضُها لم تَجِدْ لهـا * رءُوبا لمــا قد كان منهــا مُدَانِيــا

وإن حاولوا أن يَشْــعَبوها فإنهــا[9] * على الشَّــعْبِ لا تزداد إلا تداعيَا

مُعَــوَّذةَ الإرْجَالِ[10] لم تُوفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَــطِ[11] الجَوْنَ الثلاثَ الأثافيَا

---

(١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) فى الأصل « يناول » بالياء المثناة .
(٣) ألال (وزان حمام ويروى بكسر همزته) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنه يريدون عمان أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وبفتح) : جبل .
(٤) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٠٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

أنا ابن بشــير ان تنفس كربة * إذا لم ترح وافا من الصبح عاديا .

(٦) كذا فى كتاب البخلاء ، وهو محمد بن يسير اليسيرىّ كما فى الكامل للبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبع أوربا) وطبقات الشعراء للؤلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا) ، وفى الأصل : « ابن بشير » .
(٧) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « سلما » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتها ، شبه بها القدر التى تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلماء : المكسورة النواحى . (٨) انقاص : انشق . (٩) فى الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة ، والإرجال : مصدر أرجله إذا جعله يمشى ، ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها . وفى كتاب البخلاء : « معودة الأرحال » . (١١) فى الأصل : « ولم يمتط » .

ولا اجتزعت[1] من نحو مكة شُقّةً * إلينا ولا جازت بها العِيسُ واديَا
ولكنّها في أصلها مَوصليّةٌ * مجاورةٌ قيضًا[2] من البحر جاريَا
أتتنا تُزَجّيها[3] الجاذيفُ نحوَنا * وتُعقِب فيما بين ذاك المَزَاديَا[4]
يقول لِمَن هذى القدور التى أرى * تَهِيلُ عليها الريحُ تُربًا وسافيَا
فقالوا ولن يَخفَى على كل ناظرٍ * قدورُ رَقاشٍ إن تأمّل دانيَا[5]
فقلت متى باللحم عهدُ قدورِكُم * فقالوا إذا ما لم يَكُنّ عَواريَا
من أضحى إلى أضحى وإلّا فإنها * تكون بنَسج العنكبوت كما هيَا
فلما استبان الجَهْدَ لى فى وجوههم * وشكواهمُ أدخلتُهم فى عِياليَا
يُنادى ببعضٍ بعضُهم عند طلعتى * ألا أبشروا هذا اليَسيرىّ جائيَا

وقال أبو نُوَاس :

ودَهْماءَ تُثْفيها[6] رَقاشُ اذا شَتَتْ * مُرَكَّبَةِ الآذانِ أُمّ عِيالِ[7]
يَغَصُّ بحَيزُومِ[8] البَعوضة صدرُها * وتُنزِلها عفوًا بغير جِعالِ

(١) اجتزعت : قطعت . وفى الأصل : «اجترعت» بالراء .
(٢) فى الأصل : «عيصا» بالعين المعجمة . (٣) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : «تعزينا» وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزداة، والمرداة : الحفيرة يرمى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخلاء : «رائيا» .
(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وتثفيها : تجعل لها أثافىّ . وفى ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) : « ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم وتقوم بحاجتهم . (٨) فى الأصل : تغص بحيزون . . . . » وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيها آتقاد ذبال
وتغلى بذكر النار من غير حرها * و ينزلها الطاهى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جئتَهـا ملأى عَبِيطًا[1] مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيهـا بعُود خِلال

هي القِدْرُ قِدْرُ الشيخِ بكرِ بن وائلٍ * رَبِيعِ[2] اليتـامَى عامَ كلِّ هُزالِ

وقال أيضـا :

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُودًا[3] من الصَّلَى * وقِدْرَ الرَّقاشِيِّين زَهْراء كالبـدرِ

ولو جئتَهـا مَلأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ

يُثَبِّتُهـا[4] لِلْمُعْتَفِي بِفِنـائِهـم * ثلاثٌ كحَظِّ[5] الشـاء من نُقَطِ الحِبرِ

تَرُوح على حَيِّ الرِّبابِ[6] ودَارِمٍ * وسَـعْدٍ وتعـروها قَراضِبةُ الفِزْرِ

ولِلْحَيِّ عَمْـرٍو نَفْحَةٌ من سِجالِهـا * وتَغْلِبَ والبِيضِ اللَّهاميمِ[7] من بَكْرِ

إذا ما يُنادَى بالرحيـل سَعَى بهـا * أمامَهُـمُ الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

١٠ وقال أبو عُبَيدة : كان لعبد الله بن جُدْعان جَفْنَة يأكل منها القائمُ والراكب . وذكر غيرُه أنه وقع فيها صبيّ فغرق .

---

(١) العبيط : اللحم الطرى . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا فى الديوان وكتاب البخلاء . وفى الأصل : « منيع » .

(٣) فى البخلاء (ص ٢٥١) : «سودا على الصلى» . والصلى : النار .

(٤) كذا فى البخلاء (ص ٢٥١) : وفى الأصل : « يبينها للمعتفى فنائه » .

(٥) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل «محط» وهو تحريف .

(٦) الرباب ودارم وسعد والفزر : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص والفقراء ، واحده قرضاب أو قرضوب .

(٧) كذا فى كتاب البخلاء . واللهاميم من الخيل : جيادها ، ولهاميم الإبل : عزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفى الأصل : « اللهايبن من مكر » وهو تحريف .

١٥

وقال الأشعر[1] :

وأنت مَليخٌ[2] كلحم الحُوَار * فلا أنتَ حُلوٌ ولا أنت مُرّ

وقد علِم الضيفُ والطارِقون * بأنك للضيف جوعٌ وقُرّ

سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمَيْزًا[3] عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدته فمقنة[4] وأما صِحافه فمنقورةٌ من حَبّ الخشخاش، وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، وبين اللونِ واللونِ فَترةُ نبيّ . قال : فمن يحضُرها ؟ قال : الكِرام الكاتبون . قال : فيأكل معه أحدٌ؟ قال : نعم، الذُّباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرّق ولا يَكسُوك وأنتَ معه وبفنائه؟ ! قال أبو الحارث : جُعِلتُ فِداءَك، والله لو ملَك بيتًا من بَغداد الى الكوفة مملوءًا إبرًا، فى كل إبرةٍ خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنان عنه إبرة يَخيط بها قميصَ يوسف الذى قُدّ من دُبرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

ولو عليك اتّكالى فى الغِداء اذًا * لكنتُ أوّلَ مدفونٍ[5] من الجوع

---

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلى، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف فى بعض الكلمات وهو :

بحسبك فى القوم أن يعلموا * بأنك فيهم غنىّ مضرّ

وقد علم المعشر الطارقوك * بأنك للضيف جوع وقرّ

اذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحمر

مسيخ مليخ كلحم الحوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرّ

(٢) المليخ : الذى لا طعم له، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .

(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز فى حاجة الى الوضوح لغموض عبارته . (٤) كذا بالأصل . والذى فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : «أما مائدته فعيبة» بالعين والياء المثناة من تحت والباء الموحدة .

(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : «مقتول» .

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق[(١)] متطبّبه: صِف لِي صفةً آخُذُ بها [في نفسي] ولا أعدوها، قال تياذوق: لا تتزوج من النساء إلا شابّة، ولا تأكل من اللحم إلا الفَتِيّ، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخه، ولا تشربنّ دواءً إلا من عِلّةٍ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نَضيجَها، ولا تأكل طعاماً إلا أجدْتَ مَضغَه، وكُلْ ما أحببتَ من الطعام واشربْ عليه، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا، ولا تحبِس الغائطَ والبولَ، وإذا أكلتَ بالنهار فنَمْ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائة خُطْوةٍ[(٢)].

رَوى عبد العزيز بن عِمْران عن الحُلَيس بن حَيّان الأشجعيّ قال حدّثني أبي عن شيوخ من أشجع قال: سألنا يهودَ خَيْبَر: بِمَ صَحَحْتم بخيبر؟ قالوا: بشرب الخمرِ، وأكل الفُوم، وسكونِ اليَفاع، وتجنُّبِ بطونِ الأودية، والخروج من خيبر عند طلوع الفجرِ وسقوطه[(٣)].

قال الحجاج للحَكَم بن المُنْذِر بن الجارُود: أخبِرني عن صفاء لونك وغِلَظ قَصَرتك[(٤)]، أتشربُ اللبن فهو منه؟ قال: لا؛ قال: ولِمَ؟ قال: لأنه مَنْتَنةٌ مَنفخةٌ. قال: فما شرابُك؟ قال: نبيذ الدَّقَلِ[(٥)] في الصيف ونبيذ العسلِ في الشتاء.

---

(١) كذا في تاريخ الحكماء للقفطي (ص ١٠٥ طبع أوربا) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيبا مشهورا في صدر الاسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف فكان يثق به و يعتمد عليه في مداواته. وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «ياذوق» ومرة أخرى «يادوق»، وفي العقد الفريد «ينادون». وكله تحريف. (٢) في طبقات الأطباء: «خمسين خطوة». (٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٧): «عند طلوع النجم وعند سقوطه». (٤) القصرة: أصل العنق اذا غلظ. وفي الأصل: «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك». (٥) الدقل (بالتحريك): أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى.

قال عبد الملك لأعرابى : إنك حسنُ الكِدْنة[1]، قال : إنى أُدْفِئُ رِجْلىَّ فى الشتاءِ، وأُغْفِل غاشيةَ الغمِّ، وآكُلُ عند الشهوة .

عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : مَنِ ابتدأ غِذاءَه بالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء . ومن أكل كلَّ يومٍ سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلَّ داء فى بطنه . ومن أكل كلَّ يومٍ إحدى وعشرين زبيبةً حمراءَ لم يَرَ فى بَدَنه شيئا يكرَهُه . واللحم يُنبِتُ اللحم . والثريدُ طعام العرب . ولحم البَقَر داء، ولبَنُها شِفاء ، وسَمْنُها دَواء . والشَّحمُ يُخرِجُ مِثْلَيْه من داءٍ . ولم يَسْتَشْفِ النـاسُ بشىء أفضـلَ من الرُّطَبِ . والسَّمك يُذيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ[2] والسواكُ يُذهِب البلغم . ومن أراد البقاءَ — ولا بقاءَ — فلْيُباكِرِ الغَـداءَ، ولْيُقلِّل غِشْيانَ النّساء، ويُخفِّف الرداء ، ولْيلْبَس الحِذاء . قيل : وما خِفَّةُ الرِّداء فى البقاء ؟ قال : قِلّةُ الدَّيْنِ .

قيل لرجل : إنك لحَسَن السَّحْنة، فقال : آكُل لُبَابَ البُرِّ بصِغار المَعزِ، وأدّهِنُ بِخام[3] البنفسج، وألبَسُ الكَتَّان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزالَ : شربُ المـاءِ على الرِّيق، والنومُ على غير وِطاءٍ، وكثرةُ الكلام برفع الصوتِ .

ويقال : أربعُ[4] خِصالٍ يَهْدِمن العُمْرَ وربما قتلْنَ : دخولُ الحمّـامِ على بِطْنةٍ ، والمجامعة على الامتـلاءِ، وأكل القَديد[5] الجـافّ ، وشربُ المـاء البارد على الرِّيقِ؛ وقيل : ومجامعة العجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفى الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محرّفة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحمّ البنفسج» والحمّ : ما أذيبت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيته الذى يستخرج منه .
(٤) هى من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما فى طبقات الأطباء ، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٨٧) لبزرجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف ، وقيل ما قطع منه طولا .

وفى الحديث : "ثلاثةُ أشياءَ تُورِث النِّسيان أكل التُّفاح الحامِض وسُؤْر الفأرة ونَبْذ القملة"[1] . وفى حديث آخر "والحجامة فى النُّقْرة[2] والبَوْل فى الماءِ الراكِدِ" .

ويقال : أربعة أشياء تَقصِد الى العقلِ بالإفسادِ : الإكثارُ من البصلِ ، والباقلاَّءُ ، والجماع ، والخُمار .

وقال النَّظَّام : ثلاثةُ أشياء تُخْلِق العقل وتُفسِد الذِّهنَ : طولُ النَّظر فى المِراةِ ، والاستغراب فى الضَّحِك ، ودوام النَّظرِ الى البحر .

وكان يقال : عَشاءُ الليلِ يُورِث العَشا[3] .

ويروى فى الحديث : "تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة" . والعرب تقول : ترك العَشاءِ يذهب بلحم الأَلْيَتَيْنِ[4] .

باب الحِمْيَـــة

قال الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب : الدواء هو الأَزْم . يعنى الحِمْيَة .

قال آخر : الحِمية إحدى العِلّتَيْنِ .

وقيل لجالينوس[5] : إنك تُقِلّ من الطّعام ؛ قال : غرضى من الطّعامِ أن آكُلَ لأحْيا ، وغرض غيرى من الطعامِ أن يَحيا ليأكُلَ .

---

(1) ورد هذا الحديث فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر وإلقاء القملة وهى حية والبول فى الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة فى القفا .
(٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية أليان كما تقول هما خصيان وواحده خصية وقد ورد أليتان فى شعر عنترة :

متى ما تلقنى فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا

(٥) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العَمّى[1] : مَن احتَمى فهو على يقينٍ من المكروه، وفى شكٍّ مما يأمُلُ من العافية .

وكان يقال : ليس الطبيب من حَمَى المَلِكَ ومنَعَه الشهواتِ ، إنما الطبيب من خلّاه وما يُريد وساس بدنَه .

وقال بعض الشعراء :

وُرُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقْمِ عِلّةً ، وعِلّةُ بُرْءِ الداءِ خَبْطُ المُغَفَّلِ

ويقال : الحِميةُ للصحيح ضارّة كما أنها للعليل نافعة .

وفى الحديث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صُهَيْبًا يأكل تمرًا وبه رمَدٌ، فقال له : "أتأكل التمر وبك رمَد"، فقال : يا رسول الله، إنما أمضُغ بهذه[2] .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تُكرِهوا مَرضاكم على الطّعام والشّراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم".

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهمِىّ : حدّثنا بعض أصحابنا يرفعه الى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "من استقلّ بدائه فلا يتداوَيَنّ فإنه رُبّ دواء يُورث الداءَ" .

---

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله وإسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصرى الحافظ مات سنة أربعين ومائتين (انظر الخلاصة فى أسماء الرجال) .

(٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التى لا رمد فيها . ونص الحديث فى الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب : «وفى سنن ابن ماجة عن صهيب قال : قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت، فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التى لا رمد بها .

(٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ، لأن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه ، وجدّه مات مقتولا فى الجاهلية ، كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة ، فلم تكن له رواية عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشربَ الدواء ما حَمَلت صِحّتك داءك .

وقالوا : مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنَقيه ، ولكنه يُخلِقُه ويُبْليه .

عن يزيد بن الأصمّ قال : لقيتُ [طبيب][1] كسرى شيخًا [كبيرا][1] قد أوثق حاجبيه بخرْقة ، وسألته عن دواء المَشْي[2] ؛ قال : سهمٌ يُرمى به في جوفك أخطأ أو[3] أصاب .

قال ابقْراط : الدواءُ من فوقُ ، والدواءُ من تحتُ ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ .

وفسّره المفسّر فقال : من كان داؤُه في بطنـه فوق سُرّته سُقِيَ الدواء ، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن ، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْق الدواء ، فإن الدواء اذا لم يجد داء يعمَل فيه وجد الصحّة فعمِل فيها .

قال أبو اليَقْظان : كان عبد العُزّى[4] بن عبد المُطّلب يشتكى عينَـه وهو مطرِقٌ أبدا ؛ وكان يقول : ما بِعَيْنِي بأس ، ولكن كان أخى الحارث اذا آشتكت عينُه يقول : آكحَلُوا عينَ عبد العُزّى معى فيأمُرُ[5] من يكحَلنى معه ليُرضيَه بذلك فأمْرَض عينى .

قال ابن أحمر حين شُفِي بطنُه :

شرِبتُ الشُّكاعَى[6] وآلتددتُ أَلِدّةً ❊ وأقبلتُ[7] أفواهَ العـروق المَكاوِيَا

شرِبْنا وداوَيْنـا وما[8] كان ضارنا ❊ إذا الله حَمَّ المـرءَ أنْ لا تَداوِيَا

وفى الحديث : " داوُوا مَرضاكم بالصّدقة وحصِّنوا أموالَكم بالزّكاة وآستقبلوا[9] أنواعَ البلايا بالدعاء " .

(١) التكلة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودواؤه المَشِيّ وهو المسهل .
(٣) فى الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل « أبى » أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاعى : من دق النبات وهى دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ؛ وقال غيره : الواحدة منها شكاعة . وآلتددت ألدة من قولهم التدّ الرجل اذا ابتلع اللدود وهو ما سقى فى أحد شق الفم ؛ جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . (٨) كذا فى الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفى الأصل : « لما » .
(٩) فى الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَثُ والحُقْنة والتُّخَمة

عن وَهْب قال قال لُقمان لابنه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارةَ إلى الرأس، ويُورِث الباسُورَ وتَيْجَع[1] له الكبد؛ فاجلس هُوَيْنَى وقم هوينى. فكتبتُ حكمَته على باب الحُشّ[2].

وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ستّ ساعات فهو مكروه، وإذا بَقِيَ أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض.

وكان أبو دُفافَة الباهليّ اشتكى، فأشار عليه الأطبّاء بالحُقْنة فامتنع؛ فأنشأ أعرابيّ يقول :

لقد سرّنى - واللهُ وقّاك شرّها - * فِراقُك منها إذ أتاك يقودُها
كفى سَوْءَةً ألّا تَزالَ مُجَبِّيًا[3] * على شَكْوَةٍ[4] وَفْراءَ فى آسْتِك عُودُها

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها؛ فقالوا : إنما يتولّاها منك الطبيبُ؛ فقال : أنا بالصاحب آنَس.

قال المَدائنيّ : سأل الحجّاجُ جلساءَه : ما أذهبُ الأشياء للإعياء؟ فقال بعضهم: أكل التَّمر، وقال بعضهم : الحمام، وقال بعضهم : التَّمْريخ[5].

وقال فَيْروز : أذهبُ الأشياءِ للإعياء قَضاء الحاجة.

(١) تيجع من وجع يوجع (بقلب الواو ياء) اذا مرض وتألم.
(٢) الحش : البستان. وقيل : النخل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوط فى البساتين.
(٣) مجبيا : منكبا على وجهه، وفى الأصل : «محبيا».
(٤) الشكوة : وعاء من جلد. ووفراء : ملأى.
(٥) التمريخ : التدهين.

وحدثنى بعضُ الأطبّاء أن رجلًا شرب خَبَثَ الحديد المعجون فبقى فى جوفه، فاشتدّ عليه وجَعُه ، فسُحِقَتْ له قِطْعَةٌ من المغاطيس وسُقِى إيّاه ، فتعلق بالخَبَث وخرج مع الغائط .

قال : وقال تيادوق[1] طبيب الحجاج للحجّاج : إن اللحم على اللحم يقتل السِّباع فى البرِّيّة . ثم قال لى جعفر : قالت جارية لنا : كان لى ظبىٌ قد بعجينٍ قد هُيِّئَ للخُشْكَان[2] ، فأكل منه فحَفَس — والحَفَسُ : الخَبَطُ وانتفاخُ البطن — فسُلِخ فوُجِد قد شَرِق بالدم . وقال يونس (طبيب لنا) : هكذا يُصاب[3] الإنسان اذا بَشِمَ .

الأصمعى : قال بعض الأعراب : اللّهمّ إنى أسألك مِيتةً كمِيتةِ أبى خارجة ، أكل بَذَجًا[4] ، وشرب مُعَسَّلًا[5] ، ونام فى الشمس ، فلقى الله شبعانَ ريّانَ دفآنَ .

وقال آخر من الأعراب : اللهم اجعلِ التُّخَمة دائى وداءَ عيالى .

قال ابن شَبَابَةَ مولى بنى أسد : من بال ولم يَضْرِط كُتِبت آسْتُه من الكاظمين الغيظ .

(١) فى الأصل «ديادوق» وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكنان كلمة فارسية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هى ضرب من الحلوى .

(٣) فى الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل : شراب معمول بالعسل ، ومنه قول الشاعر .

اذا أخذت مسواكها مسحت به * رضابا كطعم الزنجبيل المعسل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكول يَقِيء[1] اذا أكل : لا تفعل، فإن المِعده تَضْغِزُ[2] الى القَيْء كما تَضغِزُ الدّابّة الى العَلَف، فلا يُنْضِج الطعامُ.

وأُخِذ مُزَبِّد شارِبا فاسْتُنْكِه[3]، فأُتِي به الوالىَ فاستَنْكَهوه، فقالوا[4] نَكْهَتَه لا تُنْبِيْ عنه، قال مزبّد : إن لم أقِئْ نبيذا فمن يضمن لى عَشَاءً.

رُئِى الجمّال يأكل فقيل له : ما تأكل؟ قال : قَىْء كلب فى قِحْفِ[5] خنزير.

النَّكْهَةُ

سُئِل نياذوق عن البَخَر فقال : دواؤه الزبيب يُعجن بسَعْتَر[6] ثم يُؤْكَل أسبوعين أو ثلاثة. جُرِّبَ فذهب.

وتقول الروم فى الكَرَفس : إنه يُطيِّب الفم ويُذهب البخر، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ويعامل الناس وكان أكثرُ كلامه السِّرارَ[7].

قالت الأطباء : الجزر المشوِىّ والخبز المَقْلُوّ بالزيت أو بالسمن إذا مُضِغ ورُمِى بثُفْلِه[8] قاطعٌ لرائحة البصل من الفم. والفُوم[9] إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحتَه مضَغ ورقَ الزيتون الطَّرِىّ وتمضمض بعده بالخلّ.

---

(١) فى الأصل : «ليق». (٢) تضغز : تثب. (٣) استنكهه : شمّ ريح فمه، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب. (٤) فى الأصل : «قالوا».

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان أى انفصل، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شىء.

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبرة. (٧) السرار : المسارّة.

(٨) الثفل : ما سفل من كل شىء وهو حثالته. (٩) الفوم : الثوم.

والسُّعْد[1] قاطع لرائحة النبيـذ من الفم . وحَبّ الأُتْرُجّ مطيِّب للنَّكْهة . والبَخَر لا يكاد يكون فى الملّاحين لأكلهم المُلّاح[2] .

وقرأت فى الآيين : أن رئيس الحرم أمر حوارىَ الملك ألّا يأكُلْن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح[3] والحِمَّص الرَّطْب والمشمش؛ فإنه يُورِث البخر .

باب المياه والأشربة

قالت الأطِبّاءُ : معرفة خِفّة الماء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد. وأحْمَد المياه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمر وعلى الرمل . قالوا : ومما يُصَفِّى من الماء الكَدَرَ فيصفو سريعاً أن يُلقَى فيه قِطَعٌ من خشب السّاج[4] أو قطعٌ من آجُرٍّ جديد .

قال بعض المحدَثين :

يمنع أمـــه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصيح فيها وقاينونا * يجرى به الثلج فى مثال[5]

---

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفى الأصل : «السعد» .

(٢) فى الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسبا ، فلعلها محرفة عما أثبتناه . والملاح . ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القُلّام فيه حمرة .

(٣) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان .

(٤) الساج : شجر يعظم جدًا لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه .

(٥) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق الى تصويبهما

وقال صاحب الفِلاحة . من أراد أن يَعْذُبَ له الماءُ الزُّعاقُ[١] جعله في قِدْر حديدة من خزَف وغطّى فاها بأسحال[٢] ثم أوقد تحتها حتى تَغلي ويتحصّلَ فيها نصفُ ذلك الماء ثم صفّاه وتركه، فإنه يجده شَرُوبًا[٣] .

وقالوا : ماء دِجْلة يَقْطَع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيلِ الخيل ونشاطها، ومن لم يأكل الدسم عليه أنحلّ عظمُه ويَبِسَ جلدُه، وهو مع هذا أهْضَمُ للطعام من غيره من المياه وأسرَعُها بردا .

قال : والنِّيل يستقبِل الشَّمال وينصُبُّ في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوّله وآخره معها، ولا تكون التماسيحُ إلا فيه، قال الشاعر :

أضمرتُ للنيل هِجْرانًا ومَقْلِيةً * إذ قيل لي إنما التمساح في النيلِ
فمن رأى النيل رأيَ العين من كَثَبٍ * فما أرى النيل إلا في البواقيلِ[٤]

والسَّقَنْقُور[٥] أيضا لا يخرج إلا منه .

---

(١) الزعاق : المر الغليظ . (٢) أسحال : جمع سحل وهو الخرقة البيضاء . وفي الأصل : «سحال» ولم يرد هذا في جمع سحل وإنما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روي في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «الرواقيل» بالراء وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما في خطط المقريزي (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتولد من السمك والتمساح فلا يشبه السمك لأن له يدين ورجلين، ولا يشبه التمساح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس، وذنب التمساح نحيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يصيد في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

ورُوِى فى الحديث عن الضحّاك بن مُزاحِم أنه قال قَذَفَ[1] الفُرات فى المَدّ رُمّانةً كأنها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجَنّة .

وقال ابن ماسويه : ينبغى للماء الغليظ الذى ليس يَعذُب أن يُطبَخ حتى يذهب منه نصفه، ثم يُطرَح فيه السَّوِيقُ أو الطينُ الأحمرُ فإنه يلطّفه ويذهب غائلتَه ويُعذِّبه ويمنع كدَرَه .

قالت الأطباء : الفُقّاع[2] المتّخَذ من دقيق الشعير نافع من الجُذام . والجُلّاب[3] قاطع لكثرة دم الحيض . والسَّكَنْجَبِين[4] نافع من الذُّبحة اذا كانت من حرارة، يُشرب ويُتغرغَر به .

باب اللُّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء : لحمُ الماعز يُورث الهمَّ، ويُحرّك السوداءَ، ويُورث النسيانَ، ويُخبِل الأولاد، ويُفسد الدم، وهو ضارٌّ لمن سكن البلادَ الباردةَ . وأحمدُ اللُّحمانِ ماخُصِىَ من المَعز . والضأنُ نافع من المِرّة[5] السوداء، إلا أن المَمْرورين الذين يُصْرَعون، اذا أكلوا لحمَ الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا فى غير أوانِ الصَّرْع . وأوانُ الصَّرْع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور .

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : «ومما يروى عن السدّى، والله أعلم بصحته من باطله، قال : مدّ الفرات فى زمن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظمها، فأخذت فكان فيها كرّ حبّ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرون من الجنة . وهذا باطل لأن ثمار الجنة لم توجد فى الدنيا . ولولا أن هذا الخبر فى عدّة مواضع من كتب العلماء ما استجزت كتابته» اهـ .

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام مشدّدة ومخففة : العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض . (٥) المرّة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

قال الشاعر [١] :

كأن القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ * فهم نَعِجونَ [٢] قد مالت طُلَاهم

قالوا : واللحم أقلّ الطعام نَجْواً [٣] . ولحم الدَّجاجِ الهَرِم شرُّ اللُّحمان وأغلظُها .

والبيضُ إن سُلِق بالخَلّ ثم أُكِل بالسُّمّاق [٤] وحبِّ الرمّان المُفَلَّق والملح والمُرّيّ [٥] عقَلَ الطبيعةَ .

والزُّبْدُ إن طُلِي على منابت أسنان الطفل كان مُعِيناً على نباتها وطلوعها ، والمخُّ والدِّماغ يفعلان ذلك .

مَضارُّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة [٦] والفُطْر [٧] — عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأةَ وبعضُهم يقول جُدَرِيّ [٨] الأرض ، فقال : " الكَمْأةُ من المَنّ [٩] وماؤها شِفاءٌ للعينِ والعَجْوةُ من الجنةِ وهي شِفاء من السُّقْم " .

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدويّ المعروف بذي الرمة . (٢) كذا في اللسان (مادة نعج) ، ونعجون : ثقل ؛ كل لحم الضأن على قلوبهم ، يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم (أعناقهم) ، وفي الأصل « نعجون » بالباء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط . (٤) السماق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ ، وهو شديد الحمرة . (٥) المريّ : يعمل عمل الملح الا أنه أقوى منه وألطف . وفي مفردات ابن البيطار : « وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة فإن اضطر الى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمريّ » . وفي الأصل : « وبالملح المشوى » وهو تحريف . (٦) الكمء : نبات مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة والسواد ، يوجد في الربيع تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدري ، وهو الحب الذي يظهر في جسد الصبي ، لظهورها من بطن الأرض كما يظهر الجدري من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٩) معنى الحديث أن الكمأة شيء أنبته الله من غير سعي ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المنّ الذي كان ينزل على بني اسرائيل .

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال: ثلاثةَ أشياءَ رُبَّما صرعت أهل البيت عن آخرهم: الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطر.

وتقول الأطبّاء: إنّ أردأ الفُطر ما نبت تحت ظلال الشجر، وأردأه كلّه ما كان في ظلّ شجر الزيتون فإنه قتّال.

قالوا: والكُمَّثرى إذا طُبخ مع الفُطر أذهب ضررَه.

قالوا: والفُطرُ يورِث الذُّبحة.(1)

قدِم أعرابيٌّ المِصرَ فأكل فُطرا، فأصابته ذُبحة، فقيل له: إن الطبيب يبعث أن يُحلَق في فيك، فقال: ما زلت أسمع باللئيم الرّاضع(2) ولا والله لا أكونه، قالوا: فتموت إذًا، قال: وإن متُّ.

وتقول الأطباء: إنْ أكل آكلٌ الفُطرَ فأضرَّ به، سُقِيَ الكُرنبَ المعصورَ وسُقِيَ من خُرْء الدَّجاج وزنَ درهمين مع خلّ وعسلٍ مطبوخ وقُيِّئَ به.

قالوا: والكَمْأة تورِث وجع القولنج(3) والسَّكتة والفالج ووجع المَعِدة.

قالوا: والذباب لا يَقرَب قِدرًا فيه كمأة.

ومن أراد اتخاذَ الكمأةِ اليابسةِ جعلها في الطين الحُرّ يومًا وليلةً ثم غسلها واستعملها.

بلغني عن فتًى من أهل الكتاب أنه قال: كنا في طريق مكّة بالخُزَيميّة(4)، فأتانا أعرابيٌّ بكمأةٍ في كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا: بِكَم الكمأةُ؟ قال: بدرهمين،

---

(1) الذبحة: داء يأخذ في الحلق وربما قتل.

(2) سيذكر المؤلف أنه الذي يرضع الحلب فلا يحلبه في الإناء لئلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم: لئلا يضيع من اللبن شيء.

(3) القولنج: مرض معويّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح، والفالج: الشلل.

(4) الخزيمية: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة وقبل الأجفر، وهو [illegible] بينه وبين الثعلبية اثنان وثلاثون ميلا، وقيل إنه "الحزيمية" بالحاء المهملة.

فاشترياها منه ودفعا الثمنَ إليه ، فلما نهض قال له بعضنا : « في آستِ المغبون عودٌ »[1] ، قال . بل عودان ، وضرب الأرضَ برجله ، فإذا نحن على الكمأة .

قال بعض الشعراء :

جنيتُهـا تملأُ كفَّ الجاني * سوداءَ مما قد سَقَى السَّواقي[2]

* كأنهـا مدهونةٌ بالبانِ[3] *

وهذه صفة أجود الكمأة وأقلّها أذًى .

البصـــل والثـــوم

دخل داخلٌ على نَصْر بن سيَّار وحوله بَنُونَ له صِغارٌ ، فقال : هل تدرُونَ ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ، وكان يأكله نِيئًا ومشوِيًا ومطبوخا .

والأطبّاء تقول في البصل إنه يشهّى الى الطعام إن أُكِل مشوياً أو نيئـا ، ويشهّى الى الجماع . وإن دُقَّ وشُمَّ عطّس وشهّى الطعامَ . وإنِ آكتُحِل بمائه مع العسل جلّا البصرَ . وإنْ وُضع مع الملح والسّدابِ[4] على عضّة الكلْب الذى ليس بكَلِبٍ نفع . والإكثارُ منه يُفسد العقلَ . والمسلوقُ منه يُدِرّ البولَ والدّمعة .

(١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السواقي جمع ساقية وهي ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بئر وغيره (٣) البان شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هدب كهدب الأثل ، وخشبه خوار وهو خفيف ، ونباته سمحة خضر ، وهدبه نبت في القصب ، وهو طلع بل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حب ، وإذا انتهى انفتق وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) .

(٤) السداب . بقل هتزع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل في أطراف أغصانه رءوسا تنفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، وإذا انتثر سقط منه الحب ، وله طبائع وخواص مذكورة في كتب الطب .

العصـافير إنْ أكلتْ بالزَّنجبيل والبصـل هيّجت شهوةَ الجماع وأكثرتِ المَـنِىّ .

عن طارق بن شِهاب قال : بعث سُليمان النبىّ عليـه السلام بعضَ عفاريتـه وبعث معـه رجلًا وقال : رُدّه إلىّ وآنظرْ الى صنيعه . فمرّ على أهل بيتٍ يبكون فضحك، ودخل الى السوق ونظر الى الناس فرفع رأسَـه الى السماء وهزّه ، ونظر الى الثُّـوم وهو يُكال [كيلا] والفُلْفُلِ [وهو] يُوزَن وزنا، فضحك . فلما ردّه الى سليمانَ عليه السلامُ وأخبره بمـا جرى منـه، قال : لِمَ ضحكتَ من أهـل البيت ؟ ولِمَ هززتَ رأسـك حين نظرتَ الى السوق ؟ ولِمَ ضحكتَ من الثُّوم والفُلفـل ؟ قال : أمّا أهـلُ البيت فإنّ الله أدخل ميّتهم الجنَّـةَ وهم يبكون عليه، ونظرت الى الناس فى السُّوق والملائكةُ من فوق رُءوسهم، والناسُ يُملُون والملائكةُ سِراعًا يكتبون، فهززتُ رأسى ، ونظرتُ الى الثُّوم وهو شِفاءٌ يكال كيلا ، والى الفلفل وهو داءٌ يوزن وزنا . وعن وَهْب: أنّ سليمانَ[1] عليه السلام قال: مم كنتَ تضحك؟ قال إنى مررتُ برجل يشترى خُفَّين ويقول لصاحبهما : شَرْطِى عليك أنْ ألبَسَهما عشرَ سنين لايتخرّقان، فعجبتُ كيف شَرَط أملَه ونسِى أجلَه . ومررت بعجوزٍ دُهْرِيّةٍ[2] تتكهّن وتُخبِر الناسَ بما لايعلمون، والّذى سخّر لك الريحَ وأذلّ لك الجنّ وعبّدلك الشياطينَ إنّى لأعلم فى بيتها تحت فراشها مطمورةً[3] فيها قناطيرُ من ذهب وفضّةٍ وهى لا تدرى ما تحتها، وقد ماتت هَزْلًا[4] وجوعا وحاجةً . ومررتُ بأُخرى دُهْرِيّةٍ تتطبّب وكان بها

---

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرا الجنىّ لنحت الجواهر من غير تصويت، فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث صخر فى طريقه ، فقالوا : يا نبى الله إنه كان يضحك فى بعض الأحايين من الناس ، فقال له سليمان... الخ» وقد ورد فى الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هى التى أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرّة داءٍ، فأكلت البصل فصادفت منه برءًا. فظنّت أنه حسم داءها وشفاها، فهي تصفه للناس من كل داء. وقد كان في ظهرها ريحٌ خبيثةٌ[١] منذ زمانٍ فأكلت الثُّوم أحدًا وعشرين يومًا فشُفيت منه؛ فعجبتُ لها كيف تدعُ أن تصفه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهرٍ يستقي منه في قُلّة له ومعه بغلة، فلما سقى البغلة ملأ القلّة وربط البغلة بأذن القلّة وذهب لبعض حاجته، فنفرت البغلةُ وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبرّأ عمله ونسي فعله. ومررتُ بقومٍ يذكرون الله فاجتهدوا ونَصِبوا وابتهلوا، فلما أظلّت الرحمةُ ملّ رجلٌ منهم فقام، وجاء آخر لم يَنصَبْ معهم فجلس مجلسه، فنزلت الرحمة فدخل فيها معهم وحُرِمَها الأوّلُ؛ فعجبتُ من سعادة هذا وشقاوة هذا.

ويقول الأطبّاء: إن الثُّوم إذا شُوي بالنار ووُضع على الضِّرس المأكول ودُلِكتْ به الأسنان التي يَعرِض[٢] فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام التِّرياق في لَسع الهوامّ، والأمراض الباردة.

ويقول الرومُ في الثُّوم: إنه دواء لمن أصابه وجعُ السَّقْي[٣] في بطنه. وإن أكله مَنْ ظهر [فيه][٤] حَرَّةٌ من شَرًى[٥] أو غيره أبرأه. وإن دُقّ الثُّوم يابسًا فأُغلي بسمنٍ ولبن ثم جعله من يشكي ضِرسه في فيه سُخنًا فأمسكه ساعة، ذهب وجعُ ضرسه؛ وهو نافع لمن اجتوى[٦].

(١) وردت هذه الجملة في الأصل محرفة هكذا: «حنار ما ...».
(٢) يعرض: يظهر. (٣) السقي: ماء أصفر يجتمع في البطن وهو المعروف في الطب الاستسقاء أو الصفار. وفي الأصل: «السقيا». (٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) الشرى: بثور بعضها صغار وبعضها كبار حكاكة مكربة مائلة إلى الحمرة مائية. (٦) اجتوى: أصابه الجوى، من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ في الصدر أو هو كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام.

الكراث

قالت الأطباء : الكُرَّاث النَّبَطِىّ اذا أُدمِن كانت فيه أحلامٌ رديئة ، وولّد بُخَارًا فى الرأس رديئا . وإن صُبّ فى مائه خلٌّ ودُقَاق كُنْدُر(١) وآستُعِطَ به سكّن الصُّدَاع . وإن سُلِق أو طُحِن وأُكِل أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفَع منها .

وماءُ الكرّاث إذا خُلِط بمثله من ألْبانِ النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينٌ من أصابتْه غَشَاوةٌ فى عينه فلم يُبْصر ليلًا نفعه . وأكْلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرُنْبُ والقُنَّبِيط

قالوا : الكُرُنْبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرُنبِ والكَرْم عداوةٌ ، ولا يكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُرُنْبُ اذا تجاوروا . قالت الأطباء : إن آحتملت [المرأةُ](٢) بِزْرَ الكُرُنب بعد الحَيْض أسهل المَنِىّ وأفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشِّيح الأرْمَنىّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُس المُنْقَع مُخْرِجٌ لحَبّ القَرْعِ(٣) من البطن . والقُسْطُ(٤) أيضا خاصّةً بِزْرُه يُفْسِد المَنِىّ إذا آحتملتْه المرأة بعد طُهْرِها ، ومقدارُ ما يُحْتَمل وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرُنب إن طُبِخ وخُلِط ماؤه بالحَنْدَقُوق(٥) وسُقِىَ المرأةَ التى تأخّر حَيْضُها حاضت لحينها .

---

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون فى المعى (ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط : عود هندى يتداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشيشة كالفث الرطب (شجر ينبت فى السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الحنبذ ، والحنبذ : الحنظل ، نبطىّ معرب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خُلط ماءُ الكُرُنب بالبنجِ[1] كان نافعا للسُّعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُنَيْنٍ الطبيب عِلّةً كنتُ أجِدُها فى حَلْقى لا أكاد أبتلِعُ معها رِيقى ؛ فقال : هى بيّنه فى عينك . فتغرغَرْ بعَقيد العنب مع خميرٍ ثلاثةَ أيام فى كل يوم ثلاثَ مرات ، ففعلتُ ذلك يوما واحدًا فذهب .

قالوا : وإذا دُقّ الكُرُنب وخُلِط به شئٌ من زاج[2] الأساكفة وشئٌ من خلّ ، فأُوجِفَ[3] ذلك بالخطِمىّ[4] ، ثم طُلِى به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع بإذن الله تعالى .

السَّلْجَمُ[5] والفُجل

تقول الأطباء فى الفجل : إنه مهيّج للجماع زائدٌ فى المَنِىّ ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم

قالوا : والفُجل هاضمٌ للطعام ، وإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق ؛ وإذا شُدِخَتْ[6] قطعةُ فجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ ؛ وماؤُه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرياق . وإذا طَلَى أحدٌ يدَه بمائه ثم قبض على حيّةٍ أو غيرها من الهوامّ لم يضارّ ذلك

---

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلنار مملوء بزر شبيه ببزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليمانى ، وجاء فى مفردات ابن البيطار أن الزاج العراق هو المعروف بزاج الأساكفة .

(٣) أوجف : حرك .

(٤) فى الأصل كالخطمى . والخطمى نبات ينفع الأمراض الصدرية .

(٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه فى هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص فى النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه فى كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلجم ، وقد تعجم سينه ، هو اللفت . وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافخة ، وأصله نافع عسر الانهضام ويزيد فى المنى ، ويقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدر البول ، وبزره يستعمل فى أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع دوات السموم ، وإذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لغذائه إذا أكل ، غير أنه يحرك شهوة الطعام .

(٦) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل «وإذا شدخ والرطب فطرحت» وهو تحريف .

الموضعَ. قالوا . وإن دُقّ بزرُه مع الكُنْدُر وطُلِي به البَهَقُ الأسودُ في الحمّام أذهبه. وإن شُرِب ماءُ وَرَقِه نفع من الأَرَقانِ[1] الحادث من الطِّحال .

البَـاذِنْجَان

قالوا : والباذنجان مُكْلِف[2] للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأورامَ الصُّلْبَة. وحدثني أبي عن أبي الحارث جُمَّيْزٍ أنه سمعه يقول في الباذنجان : لا آكُلُه ، لونُ العقرب وشِبهُ المِحْجَمة[3] . قيل له . فقد رأيناك تأكله على خِوان فلانٍ ! قال كان مَيْتَةً وأنا مُضْـــطَرّ .

الخِيَـار والقِثَّـاء

قالوا : شَمّ الخِيَار نافع لمن أصابه الغَشْيُ[4] من الحرارة . وبِزْر القِثّاءِ إذا شرِبه من به حُمّى الأَسْي[5] نفعه. وإن أصابت رضيعا حُمّى فأُلزِقَت به خِيارتين تَمَسّان جلدَه إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله ، أقلعت الحُمّى عنه .

السِّـــلْق

قالوا : والسِّلق إن دُقّ مع أصله وعُصِر ماؤُه وغُسِل به الرأسُ ذهب بالأَبْرِية وأطال الشعر .

---

(١) الأرقان لغة في اليرقان وهو، كما في اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفرّ منه الجسد ، وفي الأصل « الأرقال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف مصير للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنمش . (٣) المحجمة : قارورة الحجام .

(٤) الغشي بالفتح ويضم : تعطّل أكثر القوى المحرّكة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع .

(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأُسر » وهو احتباس البول .

الهليون (1)

قالوا : والهليون مُدِرٌّ للبول، نافع من القولنج .

القَـرْع

قالوا : إذا شُوِيَ القرعُ بالنار ثم عُصِر فجُعِل من مائه في أُذُن من اشتكى أُذُنَه نفعه . وإن دُهِنت منابت شعر اللحية بدهن القرع المُرّ، وقثاء الحمار (2) مُذابًا فيه شِيحٌ أرمنيّ أسرع فيها نباتُ الشعر .

البقـول

قالوا : والجرجير زائد في الباه والإنعاظ مُدِرٌّ للبول . وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسياط هَوَّنَ عليه بعضَ ذلك الجَلْدِ . قالوا : وهو ينفع من دَفَر (3) الإبطين إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإبطان بمائه . وتزعم الروم أنّ ماءه ينفع من عَضّة ابن عِرْس (4) .

وقال بعض الأطباء : إن دُقَّ بِزْرُ الجرجير مدقوقًا في البيض وحُسِيَ كان ذلك زائدا في الباه والإنعاظ زيادة بيّنة . قال أبو حاتم عن القحذمي قال : أكله أعرابيّ فأنعظ شهرا، فقال الفرزدق يفخر به :

---

(1) الهليون : نبت ورقه كورق الشبت ولا سوق له البتة وله بزر مدوّر أخضر ثم يسودّ و يحمرّ (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥). (2) قثاء الحمار : نوع برّي من أنواع القثاء . وفي الأصل «قثاء الخيار» وهو تحريف . (3) الدفر : رائحة الإبطين الكريهة . (4) كذا في نهاية الأرب للنويري في باب الحبوب والبقول ومفردات ابن البيطار في اسم الجرجير . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مرص» وهو تحريف

ومنا التميمىُّ الذى قام أيْرُه * ثلاثين يومًا ثم زَادَهُمُ عَشْرَا[(١)]

قالوا : والسَّذَابُ[(٢)] قاطع لشهوة الجمــاع . وقالت الروم : إن أَكَلَتِ آمرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ كلَّ[(٣)] يوم بمــاء سُخْنٍ أو نبيذ خمسةَ عشر يوما أسقطتْ ولَدَها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّـذَابِ * جليــلةٍ فى الرِّقابِ
النــاسُ عنها غُفُولٌ * إلّا ذَوِى الألبــابِ
فالحمــــد لله شكرًا * لولاَ مكانُ السَّذَابِ
لَغَيَّبَ[(٤)] الأرضَ نسلُ الـ * ـمُـتَمَنِّيات القِحابِ

قالوا : والبقلةُ[(٥)] الحمقاء اذا مُصِغت أذهبتِ الطَّرَش ، واذا أُكِلت أذهبتْ شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عنـــد رؤيه الهلال الى الهِنْدِباء[(٦)] فحلف بالله القَمَرِ ألّا يأكلَ هِنْدِباءَ ولا لحمَ فَرَسٍ ، سَلِمَ فى كلّ شهر يحلِف فيه من وجع الضـــرس .

قالت الأطبــاء : الخَسُّ اذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير المـاء ومن يتأذّى باحتلام . واذا شُرِب بِزْره بمــاءٍ باردٍ [قطع شهوة الجماع][(٧)] .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هـــذا البيت فى ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرا » أو «ثمّ أتمها عشرا » أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هـــذه الكلمة فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمـام الـكلام يحتاج الى أن يكون بعـد كلمة « مثاقيل » من «السذاب» أو «من بزر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحمقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء بالنعت . قال ابن سيده : هى التى تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء . صنفان برى وبستانى والأول أعرض ورقا من الثانى ، والبستانى صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفى طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) التكملة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخَرْدل إن أُكْثِرَ من أكله أورثَ ضعفا فى البصر، وهو مُكَثِّر للبن مُدِرٌّ للبول، وهو نافع من الصَّرَع . وإن اكتُحِل بمائه بعد أن يُغْلَى عليه ويُصَفَّى جلا البصرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءه يَصْلُح للأطفال من الحُمّى اذا أصابتهم . وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِفُ البصرَ .

قالت الأطباء : النَّعْنَاع يُسَكِّن القىء، وينفع من الفُوَاق الحادث من البلغم اذا شُرِب مع النَّمَّام.[1]

وتقول الروم : الحَبَقُ[2] الذى على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد اذا دُقّ ونُخِل واكتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه .

وأما الفُوذَنْجُ[3] النَّهرِى — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْثَ[4] . وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبلىّ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رِطل من ماءٍ حتى يبقى الثلث ويُشْرَب، سَهَّل السَّوداء .

وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ[5] يُورِثُ وَجَع الحَلْق، ويَذْهَب بضرره مَن يأكل بعده الكُزْبُرَة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقاء والهِنْدِباء .

والطَّرْخُونُ[6] يُؤكَل مع الكَرَفْس .

قالوا : والرَّاسِنُ[7] ينفع من قِطَار البول اذا كان من بَرْدٍ، ويُقَوِّى المثانةَ .

---

(١) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له زهر كالريحان، عطرى قوىّ الرائحة، سمى بذلك لسطوع رائحته .

(٢) الحبق : نبات طيب الرائحة .

(٣) الفوذنج : نبت، معرّب عن پودينه، ويقال فيه : فودنج (بإهمال الدال وضم الأول والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة فى مفردات ابن البيطار .

(٤) الطمث : دم الحيض .

(٥) تقدم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٦ من هذا المجلد .

(٦) قال ابن البيطار : الطرخون : بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة . ورقه طوال دقاق .

(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : والكَشُوثُ[١] يَذهب بالأَرَقانِ .

قالوا : وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو آحْتُمِل .

وقالوا : الكَرَفْسُ[٢] اذا طُبِخ وشُرِب كان دواءً من وجع الكُلْيَتَيْن ومن الأُسْرِ[٣] .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطبّاء فى حَبّ الفُلْفُل : اذا خُلِط بالسِّمْسِم وعُجِن بعسلِ الطَّبَرْزَذ[٤] يَزِيد فى الجماع .

والعرب تزعُم أنّ الحبّة الخضراءَ وشُرْبَ ألبان الإِيَّلِ عليها تبعَثُ الشَّهوة .

قال جرير :

أَجُعْثُنُ[٥] قد لاقيتِ عِمرانَ شَارِبًا[٦] * على الحبّة الخضراءِ ألبانَ إيَّلِ[٧]

والحِمّص زائد فى الجماع، مُكْثِرٌ للمَنِيّ، مُحسِّن لِلّون، زائدٌ فى لبن المُرْضِع، يُدِرُّ دَم الحيض، وإن خُلِط بالباقِلاء أسْمَنَ .

---

(١) الكشوث (بالفتح وهى أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شىء يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق ، لكن فى أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسمو فى الشجر وتشتبك فروعه ، ويكثر فى الكروم الرطاب ، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (بفتح أوّله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحرار البقول عظيم المنافع .

(٣) الأُسْر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم امرأة وهى أخت الفرزدق . (٦) كذا فى لسان العرب مادة « أول » وفى الأصل : «ساريا» بالسين والياء وهو تحريف (٧) الإيّل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشدّدة) : جمع أيّل (بفتح الألف وكسر الياء المشدّدة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن كلتيهما يتزن الشعر، «لجمع ألبان» ، إذ لو كان واحدا لقال لبن أيّل (انظر اللسان مادة أول) .

الأصمعي قال: قلت لابن أبي عُطارد: بلغني أنّ أباكَ كان ذا منزلةٍ من ابن سيرين، فما حَفِظتَ عنه؟ قال قال أبي: قال لي ابن سيرين: يا أبا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدَّمَ.

قالت الأطبّاء: إنّ الخَرْدَلَ، نافعٌ من حُمّى الرِّبْع[1] والحُمِّيَات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُجفِّف[2] من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السَّلْق المسلوق نفع من الصَّرَع، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال.

وقالت الأطباء: الحُرْفُ[3] يُخرِج حَبّ القَرَع من البطن، وينفَع من عِرْق النَّسَا ووَجع الوَرِك. وإن سُخِّن بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ ونفَع من القُولَنج.

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء في البَاقِلّاء[4]: إنه اذا أُدمِن أَكْلُ البصَر، وأحال الأحلامَ أضغاثاً لا يُنْتفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا إلى تأويلها سبيلا.

ودهن الشَّاهْدَانِج[5] نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها.

---

(١) حمى الربع هي التي تأتي في اليوم الرابع، وذلك أن يحم يوما ويترك يومين لا يحم ويحم في اليوم الرابع. (٢) لم تتبين مكان هذه النقط في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر بالتصوير. وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه «يجفف اللسان الثقيل من البلغم». (٣) الحرف (بالضم) حب الرشاد. (٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦ من هذا الجزء. (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد الشين): القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قصبان طويلة فارعة منتن الرائحة وله حب مستدير يؤكل وتتخذ منه حبال قوية.

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن خُثَم عن جدّته قالت : سمعت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : اذا أكلتُم الرُّمّانَ فكلوه بشحمه فإنه دِباغ للمَعِدة ، وذلك يومَ الجمعه على المِنْبر .

الأصمعىّ : قيل لأعرابىّ : لِمَ تبغض الرمانَ؟ قال : لأنه مَسْحرة[1] مَجْفَرة مَجْعَرة .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيئانِ يُورِثانِ القملَ : التِّينُ اليابس اذا أُكِلَ ، وبخار اللُّبان اذا تُبُخِّر به .

وقالت الأطبّاء : ورق الخوخ وأقماعه إن دُقّ وعُصر وشُرب أسهل حبَّ القَرَع والدّيدانَ والحيّاتِ المتولِّدة فى البطن ، وإن صُبّ ماؤُ ورقه فى الأُذن أمات الدّيدانَ فيها ، وإن دُلِّك بورقه بعد النُّورة[2] قطع ريحَها .

وحُمّاضُ الأُتْرُجّ[3] إن لُطِخ به الكَلَفُ والقُوبُ أذهبه . وحَبُّ الأُتْرُجّ نافع من السّموم .

---

(1) مسحرة : مفعلة للسحر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجعرة [illegible] يبس الطبيعة أى أنه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه «[illegible] مسحرة مجفرة مجعرة» . (انظر اللسان والقاموس مواد سحر وجفر وجعر) (2) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معرّبة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كحلق النوره

وسنة قاشورة : مجدبة تقشر كل شىء . (انظر المصباح المنير مادة نور) . (3) حماض الأترج ما فى جوفه ، قال ابن البيطار فى مفرداته نقلا عن أبى حنيفة الدينورى : الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريا ، وأخبرنى بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرّة واحدة فى السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، ونقاحه شبيه نور النرجس إلا أنه ألطف منه .

وورق التُّفّاح الغضُّ إن دُقّ بالرِّفق أيّامًا خمسةً أو ستةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ قلعه من غير أن يَقرَحَ موضعه .

عن الزُّهريّ قال : حدّثني رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بات وفي بطنه جَزَرةٌ أو جَزَرتانِ أو ثلاثٌ أَمِن القُولَنج والدُّبَيْلة[1] » .

والفُسْتُق : إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفع من لَسْع الهَوَامّ .

واللُّفّاح[2] : سمّ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرّته بالقيء بالشّراب والعسل والإسهال وشمّ[3] الفُلفُل والخردلِ والجندبادستر[4] والسَّذاب والتَّعطُّس .

قال وحدّثني شيخٌ من الدَّهاقين عالمٌ بأيام العجم : أن بُزُرْجِمْهر قال لأهل الحبس : سلُوا الملك أن يرزقكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجّ ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمُه لفاكهتكم ، والحُمّاض لصباغكم ، والحَبّ لدُهنكم . فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمتـــه .

---

(١) الدبيلة (وزان جهينة) : خراج ودمّل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا .

(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليبروح ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى . واليبروح صنفان . أحدهما يعرف بالأنثى ولونه الى السواد و يقال له ربوص أي الخس لأن في ورقه مشابهة لورق الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر ، وهو زهم ثقيل الرائحة ينبسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر يعرف بالذكر له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ، وتأكله الرعاة فيعرض لها سبات وليس له ساق أيضا ، واللفاح أيضا : نوع من البطيخ صغير حجمه مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) في ابن البيطار في الكلام على اليبروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل : «الجندجدستر» .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطّاحين . العجينُ يُملَكُ . وفي الحديث المرفوع : " أمْلِكوا[١] العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعَيْن " .

السَّوِيقُ : يُغسَل بالماء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب .

والمِلْح : يُتقَل به الطبخُ .

والخَلُّ : يُنضِج العَدَسَ ويُصلِحه للأكل .

البَاقِلّى : يُنقَع ثم يُطبخُ . ولا يُؤكَلُ من الفاكهة إلا ما نَضِج على شجره، ويُنَقّى ثُفلُه وعَجَمُه[٢]، ويؤكَل على ريق النّفس .

والعِنَب : يُقطف ويُمهل أيامًا ثم يؤكل . ولا يُؤكل من القِسْب[٣] إلا لُبُّه . ولا يُؤكل من الرأس إلا أسنانُه[٤] وعيونُه .

الباذِنجان : يُشَقّ ويُحشى بالملح ، ويترك ساعةً في الماء البارد، ثم يصبّ عنه ويعاد الى الماء مرارا، ثم يُسلَق بعد ذلك .

الكَبَرُ : يؤكَل بالخلّ بعد غسله بالماء من الخلّ .

الزيتون : يؤكَل وسط الطعام ويُصَبّ في الخل .

---

(١) ملك العجين وأملكه: عجنه فأنعم عجنه وأجاده. والمعنى الزيادة. أراد أن خبزه يزيد بما يحتمله من الماء لجودة العجن. (٢) عجمه: نواه. (٣) القسب: نبات [illegible] الرائحة له حب مستدير يؤكل، وفي الأصل «القصد» وهو سكر القصب ولا لب له والتحريف فيه ظاهر. (٤) كذا في الأصل، ويحتمل أن يكون «لسانه» .

ويؤكل من الأُشْتُرغاز[1] خلّه ولا يُعرض لجسمه .

والكَمْأَةُ : تُنَصَّفُ ويُقْشَرُ عنها قِشْرُها ، وتُسلقُ بالماءِ والملحِ ثم تُستعمل بالسَّعْتَرِ[2] والفُلْفُلِ ، وتُقلى بالزيتِ الرِّكابِيّ[3] ، وكذلك الفُطْرُ .

السِّلْقُ والكُرُنْبُ : يُسْلَقانِ بالماءِ والملحِ ، ويُصَبُّ ماؤهما ثم يُستعملانِ .

والبقولُ : تمسحُ ثم تؤكلُ ولا تُغسلُ بالماءِ .

وأحمدُ التمورِ الهَيْرُونُ[4] . وأحمدُ السُّودِ الجَيْسَرانُ[5] . وما أصفرّ أحمدُ مما اسودّ .

وخيرُ السمكِ الشَّبُّوطُ[6] والبَنَانيّ والمَيّاح . ولا يؤكلُ السمكُ الطَّرِيّ إلا حارًّا بالخردلِ في الشتاءِ ، وفي الصيفِ بالخلِّ وبالأبازيرِ . وأقلُّ السمكِ أذًى المَقُورُ[7] . وشرُّ السمكِ كِبارُه السَّمارِيسُ[8] . وخيرُ السمارِيسِ البِيضُ ، [وأكلُها][9] خيرٌ من أكلِ الحُمرِ ، وشرُّها السودُ .

---

(١) الاشترغاز : تأويله بالفارسية شوك الجمال ، وهو نبات من نبت نجد وليس له صمغ وهو طويل الشوك ترعاه الإبل . (٢) السعتر : نبات طيب الرائحة خفيف زهره أبيض إلى الغبرة ، ويقال له الصعتر بالصاد وهي اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا . (٣) كذا في مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الكمأة . وقد نقل ياقوت أن هذا الزيت منسوب إلى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من المدينة ، ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحي قليله الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها . (٤) الهيرون : البرني من التمر والرطب . (٥) الجيسران : جنس من أفخر النخل معرب ، وفي الأصل «جيسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (بفتح الشين وتضم وضم الباء المشددة) : ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس لين الملمس . (٧) المقور : الخامص المنقوع في الخل أو الماء والملح . (٨) السماريس : صنف من السمك ، رأس المملوح منه إذا أحرق نفع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى في البدن ، ويقلع الثآليل (راجع مفردات ابن البيطار) . وفي الأصل «عماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة في الأصل هكذا «وشر السمك كباره العماريس البيض وخير العماريس السمر الخ» والسياق يقتضي بحذف «البيض» الأولى . (٩) زيادة يقتضيها السياق .

وخيرُ البَيضِ بَيضُ الشَّوابِّ من الدَّجاج، ولا خيرَ في بَيضِ الهَرِمةِ . وأخفّ البَيضِ الرقيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلب .

ولا يُعرَضُ من الرأسِ للدّماغ ولا للِسانِ، ولا الفَلْصَمةِ[1] ولا الخَراطيم .

ولحمُ العُنُقِ خفيفٌ سريعُ الانهضامِ . وفي الحديث المرفوع . "العُنُقُ هاديةُ[2] الشاةِ وهي أبعدُها من الأذى" .

والفُقّـاعُ[3] : يُشرَبُ قبل الطّعامِ ولا يُشرب بعده .

واللَّـبَنُ : لا يُؤكَل ولا يُشرب إلا بعد وضعِ الشاة بشهرٍ ونحوه .

والبَـاقلّى[3] : يُؤكَل بعده الفُوذَنجُ[3] فإنه يَذهَب بنفخته .

اللُّوبِيَاءُ[4] : يؤكل بعده الخَردَلُ الرَّطب ، ويُشرب بعده ماء الرُّمّانِ والسَّكَنْجَبين[5] المعمول بالسكّرِ .

الهَرِيسةُ[6] : تُؤكَل بالفُلفُل الكثيرِ والمُرِّيّ[7] ولا يُجعل فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرة[8] : تُطبَخ بالفُوذَنج والسَّذاب والكَرَفْس .

---

(١) الفلصمة: رأس الحلقوم بشواربه (عروق في الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية من كل شيء: أوله . (٣) تقدم تفسيره في صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء: (بالمد والقصر، ويقال أيضا اللوبيا، وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجبين: شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض، وهو معرب . (٦) الهريسة: طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم (٧) المريّ: الذي يؤتدم به، والعامة تخففه نسبة الى المرارة، ويسمى الكامخ، وهو عند الأطباء من الأدوية القديمة، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار في مفرداته وداود في تذكرته، فراجعهما . (٨) المضيرة: اللحم المطبوخ باللبن الماضر أي الحامض . كان أبو هريرة تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي كرم الله وجهه؛ فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف علي أفضل؛ فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرِّكابِيّ : اذا خُلِط بالخَلّ أو أُغْلِيَ على النار ثم رُفِعت رِغْوتُه عاد كالمغسولِ . وفى الحديث : أن عمر رضى الله عنه قال : عليكم بالزَّيْت، فإن خفتم ضَرَره فأنحوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْن .

عن عُقْبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليكم[1] بالشجرة التى نادى اللهُ منها موسى عليه السلام زيت الزيتون آدّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من البَاسُورِ" .

الخَرْدَل : يُنْخَن بالخَلّ ويُغسل بالماء ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْم مِرارًا بعد أن يُنعَم دقُّه ونَخْله ، ثم يُغسل بالماءِ القَرَاح ويُرَشّ بالماء حتى تخرجَ رغوته ويكثر خلُّه ، ويُخْلَط معه اللَّوزُ الحُلْو أو ماءُ الرُّمّانِ الحامِض وماءُ الزَّبيب .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبارِ لابن قتيبة ، ويتلوه فى الكتابِ العاشِر كتابُ النساءِ . والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه على خيرِ خلقه محمدٍ وآله أجمعينَ .

وكتبه الفقيرُ الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علىّ الجزرىّ الواعظ، فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه فى الجزء العاشر كتاب النساء .

---

(١) ورد هذا الحديث فى الكشاف للزمخشرى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور» .

جاء بعـــد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقــل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :

قال الأصمعىّ : دخلتُ على هارونَ الرشيدِ وبين يديه بَدْرةٌ، فقال يا أصمعىّ، إن حدّثتنى بحديثٍ فى العَجْز فأضحكتنى وهبتُك هذه البدرة، فقال : نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا فى صَحَارَى الأعرابِ فى يومٍ شديدِ البردِ والرِّيحِ وإذا بأعرابىٍّ قاعدٍ على أَكَمَةٍ وهو عُرْيان، قد ٱحتملت الرِّيحُ كساءَه، فألقته على الأَكَمةِ، فقلت له : يا أعرابىّ، ما أجْلَسَــك هاهنا على هــذه الحــالةِ ؟ فقال : جاريةٌ وعدتْنِى يقال لهــا سَلْمى، أنا منتظر لهــا ؛ فقلت : وما يَمنعُك من أخذِ كسائِك ؟ فقال : العَجْز يوقفُنى(١) عن أخْذِه، فقلت له : فهل قلت فى سَلْمى شيئا ؟ فقال : نعم، فقلت : أسمِعنى للهِ أبوك ! فقال : لا أُسْمِعك حتى تأخذ كسائى وتُلْقِيه علىّ، قال : فأخذتُه فألقيتُه عليه، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتِى بسلمى * فيَبْطَحَها ويُلْقِينى عليهــا

ويأتى بعد ذلك سَحَابٌ(٢) مُزْنٍ * تُطَهِّرُنا ولا نَســعَى إليها

فضحك الرشيدُ حتى ٱستلْقى على ظهره، وقال : أعطوهُ البَدْرة، فأخذها الأصمعىّ وانصرف .

---

(١) كذا بالأصل، وأوقفه يوقفه لغة رديئة، والفصحى «وقفه» بغير الهمزة .

(٢) السحاب : الغيم، وهو اسم جنس جمعىّ ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى : «والسحاب المسخر بين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : «وينشئ السحاب الثقال» ويعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أسماء الجموع فيقول : أمرع السحاب ماءه، وأمرعت السحاب ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع .

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما وَلِيَ المدينةَ قال لابن هَرْمة[1] : إني لستُ كمن باعَك دينَــه رجاءَ مدْحِك أو خوفَ ذمِّك، فقد رزقني الله بولادة نبيِّه عليه السلام الممادحَ وجنَّبني المقابحَ، وإنّ من حقّه عليّ ألّا أُغضي على تقصيرٍ في حقّ ربِّه . وأنا أُقسم لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضرِبنّك حدًّا للخمر وحدًّا للسكر، ولأزيدنّك لموضع حُرمتك بي . فليكُنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليــه ، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَلَ إليهم، فنهض ابن هَرْمة وهو يقول .

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدَامِ * وأدّبني بآدابِ الكرامِ

وقال لِيَ اصطبِرْ عنها ودَعْها * لخوفِ الله لا خوفِ الأنامِ

وكيف تصبُّري عنها وحبّي * لها حبٌّ تمكّن في عظامي

أرى طِيبَ الحلالِ عليّ خُبْثًا * وطِيبَ النفسِ في خُبْثِ الحرامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل .

(١) كذا في الكامل للمبرد (طبع ليبزج ص ١٣٨) وفي الأصل «من» .